السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١
ص.ب ٥٧٦٩
بيروت — لبنان

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

باب هجرة مَن هاجر مِن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدَّم ذكرُ أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد والإهانة البالغة.

وكان الله عز وجل قد حَجَرهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ومنَعه بعمه أبي طالب. كما تقدم تفصيله. ولله الحمد والمنة.

وروى الواقدئ أن خروجهم إليها في رجب سنة خمسٍ من البعثة، وأن أولَ من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشٍ وراكب، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة.

وهم: عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حُذَيفة بن عُتْبة وامرأته سَهْلة بنت سُهَيل، والزبير بن العوَّام، ومُصْعَب بن عُمَير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العَنْزِىُّ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم، وحاطب[1] بن عمرو، وسُهَيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود. رضى الله عنهم أجمعين.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل كانوا اثنين وثمانين رجلا، سوى نسائهم

---

(1) في ابن هشام: ويقال بل أبو حطب.

وأبنائهم ، وعمّار بن ياسر ، نشكُّ ، فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

***

وقال محمد بن إسحاق : فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ومن عمِّه أبى طالب ، وأنه لا يَقْدِر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملِكا لا يُظْلم عنده أحد ، وهى أرضُ صِدْق ، حتى يجعل الله لكم فَرَجاً مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم.

فكانت أولَ هجرة كانت فى الإسلام .

فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى البيهقى من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العَنْبرى ، عن بِشْر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البُرْجُمِىِّ[1] ، حدثنا قَتادة ، قال : أولُ مَن هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمانُ بن عفان رضى الله عنه .

سمعت النَّضْر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ، يعنى أنس بن مالك ، يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرُهما ، فقَدِمت امرأة من قريش فقالت :

---

(١) نسبة إلى البراجم ، قبيلة من تميم ، وهو لقب لخمس بطون . اللباب ١ـ١٠٧

يا محمد ، قد رأيتُ خَتَنك[1] ومعه امرأته . قال : على أى حال رأيتيهما ؟

قالت : رأيتُه قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة[2] وهو يسوقها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ! إن عثمان أولُ من هاجَر بأهله بعد لوط عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وأبو حذيفة بن عُتْبة ، وزوجته سهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وولدت له بالحبشة محمدَ بن أبى حذيفة .

والزبيرُ بن العوام ، ومُصْعَب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلَمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وولدت له بها زينبَ .

وعثمانُ بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة حليفُ آل الخطاب ، وهو من بنى عَنْز بن وائل ، وامرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم العامرى . وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو أولُ من قدِمها فيما قيل . وسُهيلُ بن بيضاء .

فهؤلاء العَشْرة أولُ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلَغَنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس . وولدت له بها عبدَ الله بن جعفر .

وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

* * *

وقد زعم موسى بن عُقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل

---

(١) الختن : الصهر .   (٢) الدبابة : الضعيفة التى تدب فى المشى .

أبو طالب ومَن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشِّعب .

وفى هذا نظر . والله أعلم .

وزعمَ أن خروج جعفر بن أبى طالب إنما كان فى الهجرة الثانية إليها ، وذلك بعد عَوْد بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلَّوا ، فلما قدموا مكة ، وكان فيمن قدِم عثمان بن مظعون ، فلم يجدوا ما أُخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة ، وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة وهى الهجرة الثانية . كما سيأتى بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبى طالب فيمن خرج ثانيا .

وما ذكره ابن إسحاق مِن خروجه فى الرَّعيل الأول أظهرُ كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

لكنه كان فى زُمْرةٍ ثانية من المهاجرين أولا ، وهو المقدَّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشى وغيره . كما سنورده مبسوطاً .

* * *

ثم إن ابن إسحاق سردَ الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم .

وهم : عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث ابن شِقّ الكنانى .

وأخوه خالد ، وامرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى ، وولدت له بها سعيدا وأَمَةً التى تزوجها بعد ذلك الزبير فولدت له عمراً وخالداً .

قال : وعبدُ الله بن جحش بن رِئاب ، وأخوه عُبَيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان .

وقيسُ بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة وامرأته برَكة بنت يَسَار مولاة أبى سفيان .

ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دَوْس .

قال : وأبو موسى [الأشعرى] عبد الله بن قيس حليفُ آل عُتْبة بن ربيعة . وسنتكلم معه فى هذا .

وعُتْبة بن غَزْوان ، ويزيد بن زَمْعة بن الأَسْود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطُلَيب بن عُمير بن وهب بن أبى كثير [1] بن عبد ، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة [2] ، وجَهْم بن قيس العَبْدوى ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جَهْم وخزيمة بن جَهْم ، وأبو الرُّوم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِراس بن النضر بن الحارث بن كَلْدة ، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد ، والمطَّلب بن أَزْهر بن عبد عوف الزُّهرى . وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ، وولدت بها عبد الله .

وعبدُ الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمِقْداد بن الأسود ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيْمى ، وامرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة [3] ، وولدت له بها موسى وعائشةَ وزينب وفاطمة .

وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة ، وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد المخزومى . قال : وإنما سمى شَمَّاساً لحسنه ، وأصلُ اسمه عثمان بن عثمان .

وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبى حُذيفة

---

(١) وتروى : كبير . (٢) وتروى : حرملة .

(٣) فى الاستيعاب : ابن جبلة .

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، ومُعَتِّب بن عوف بن عامر ، ويقال له عَيْهامة ، وهو من حلفاء بنى مخزوم .

قال : وقُدَامة وعبد الله أخوا عثمان بن مَظْعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المُجَلِّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فُكَيهة بنت يَسَار ، وسفيان بن مَعْمر بن حبيب ، وامرأته حَسَنة وابناه منها جابر وجُنَادة ، وابنها من غيره ، وهو شُرَحْبيل بن عبد الله ، أحد الغَوْث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذى يقال له شُرَحْبيل بن حَسَنة .

وعثمان بن ربيعة بن أهْبَان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وخُنَيس بن حُذَافة بن قيس بن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد ، وقيس بن حُذَافة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى ، وإخوته : الحارث ومَعْمر والسائب وبِشْر وسعيد ، أبناء الحارث ، و [أخو] سعيد بن قيس بن عدى لأمِّه ، وهو سعيد بن عمرو التميمى .

وعُمير بن رِئاب بن حذيفة بن مُهَشِّم بن سعيد بن سَهْم ، وحليفٌ لبنى سهم وهو مَحْمية بن جزْء (١) ، الزُّبيدى ومَعْمر بن عبد الله العدَوى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدىٌّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَخْرمة العامرى ، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وسَلِيط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدة بنت زَمْعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عَمْرة بنت السَّعدى ، وأبو حاطب (٢) بن عمرو العامرى وحليفهم سعد بن خَولة ، وهو من اليمن .

(١) ويروى كما فى ابن هشام والاستيعاب : ابن جزاء .
(٢) ويروى كما فى الاستيعاب : حاطب بن عمرو .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح الفِهْرى ، وسُهَيل بن بيضاء ، وهى أمه ، واسمها دَعْد بنت جَحْدم بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر ، وهو سهيل بن وهب ابن ربيعة بن هلال [بن أُهَيب] [١] بن ضَبَّة ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال [بن أهيب] [١] بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وعِياض بن زُهَير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير أخوان ، وسعيد بن عبد قيس بن لَقيط ، وأخوه الحارث ، الفِهْريون .

* * *

قال ابن إسحق : فكان جميع من لَحِق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ، : ثلاثةً وثمانين رجلا إن كان عمار ابن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

* * *

قلت : وذِكْرُ ابن إسحق أبا موسى الأشعرى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جدا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت حُدَيْجا [٢] أخا زُهَير بن معاوية ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحوٌ [٣] من ثمانين رجلا ، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عَرْفطة ، وعثمان بن مظعون وأبو موسى - فأتَوْا النجاشىَّ .

---

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الأصل خديج بالخاء . وهو تحريف وما أثبته عن المسند .

(٣) ط : نحوا . وما أثبته عن المسند.

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليومَ . فاتّبعوه .

فسلّم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولا ، ثم أمرنا ألّا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال : فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه .

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول التى لم يمسّها بشر ولم يَفْرضها ولد [1] .

قال : فرفع عودا من الأرض ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله مايزيدون على الذى نقول [2] فيه ماسوى [3] هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ماأنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه [4] !

---

(١) رواية النهاية لابن الأثير : ولم يفترضها ولد . قال : أى لم يؤثر فيها ولم يحزها ، يعنى قبل المسيح . ورواية ابن الجوزى فى الوفا : ولم يقرعها ذكر .

(٢) مسند أحمد : يقول . (٣) المسند : ما يسوى . (٤) زاد فى المسند : وأوضئه .

وأمر بهدية الآخرين فردَّت إليهما .

ثم تعجَّل عبدُ الله بن مسعود حتى أدرك بدراً .

وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .

وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن ، وفيه مايقتضى أن أبا موسى كان فيمن هاجَر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن مُدْرجا من بعض الرواة . والله أعلم .

* * *

وقد رُوِى عن أبى إسحق السَّبِيعىّ من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نُعَيْم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا الغُلاَبىّ ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا الحسن بن عَلُّوية القَطَّان ، حدثنا عباد بن موسى الخُتُلىّ ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدثنا إسحق بن إبراهيم ، هو ابن راهَوَيْه ، حدثنا عبيد الله [1] بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، قال :

أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى [2] .

فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعُمَارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشى هدية .

وقدِما على النجاشى فأتياه بالهدية ، فقَبِلها ، وسجدا له .

---

(١) دلائل النبوة ٢٠٥ : عبد الله . (٢) الدلائل أرض الحبشة .

ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا ، وهم فى أرضك .

قال لهم النجاشى : فى أرضى ؟ !

قالا : نعم .

فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم .

فانتهينا [١] إلى النجاشى وهو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعُمارة عن يساره ، والقسيسون جلوسٌ سِماطين ، وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بَدَرَنا مَن عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك .

فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل .

فلما انتهينا إلى النجاشى قال : ما منعك أن تسجد ؟

قال : لا نسجد إلا لله .

فقال له النجاشى : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث فينا رسولا ، وهو الرسول الذى بشَّر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده ، اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .

فأعجبَ النجاشىَّ قولُه .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملِك ، إنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

فقال النجاشى لجعفر : مايقول صاحبكم فى ابن مريم .

---

(٣) الدلائل : فانتهيت .

قال : يقول فيه قولَ الله : هو روحُ الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البتول التى لم يَقْرَبْها بشرٌ ولم يَفْرِضها ولد .

فتناول النجاشىُّ عوداً من الأرض فرفعه فقال : يامعشر القسيسين والرهبان : مايزيدون هؤلاء على مانقول فى ابن مريم ولا وزنَ هذه .

مرحباً بكم وبمن جئتم مِن عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى بشَّر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من المُلْك لأتيته حتى أقبِّل نعليه ، امكثوا فى أرضى ماشئتم .

وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال : ردُّوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا فى البحر فشربا ، ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو : مُرْ امرأتك فلتقبِّلنى . فقال له عمرو : ألا تستحى ! فأخذ عمارة عمراً فرمى به فى البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة .

فحقد عليه عمرو فى ذلك ، فقال عمرو للنجاشى : إنك إذا خرجت خَلَفك عُمَارة فى أهلك . فدعا النجاشىُّ بعمارة فنفخ فى إحليله ، فطار مع الوحش[1] .

وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى الدلائل عن طريق أبى على الحسن بن سَلَّام السوَّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثله ، إلى قوله : « فأمر لنا بطعام وكسوة » .

قال : وهذا إسناد صحيح ، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيحُ عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة ، عن جده أبى بردة ، عن أبى موسى : أنهم بلغهم مَخْرجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن ، فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين

---

(١) الذى فى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٩٦ ـ ٢٠٧ عدة روايات عن الهجرة إلى الحبشة وليس فيه رواية واحدة كاملة بهذا السياق الذى ذكره ابن كثير ، ولعله أدمج بعضها فى بعض .

رجلا فى سفينة ، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفرَ بن أبى طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر .

قال : وأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشى فأخبر عنه .

قال : ولعل الراوى وَهِمَ فى قوله : « أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق » . والله أعلم .

* * *

وهكذا رواه البخارى فى باب هجرة الحبشة : حدثنا محمد بن العَلَاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْد[1] بن عبد الله ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، قال : بَلَغنا مَخْرَجُ النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فركبنا سفينة ، فألقتنا سفننا إلى النجاشى بالحبشة فوافَقْنا جعفرَ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأقمنا معه حتى قدِمْنا ، فوافينا[2] النبىَّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان » .

وهكذا رواه مسلم عن أبى كُرَيب وأبى عامر عبد الله بن بَرَّاد[3] ، كلاهما عن أبى أسامة به . وروياه فى مواضع أخر مطولا . والله أعلم .

* * *

وأما قصة جعفر مع النجاشى فإن الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبى طالب من تاريخه ، من رواية نفسه ومن رواية عمرو بن العاص ، وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود ، كما تقدم ، وأمِّ سَلَمة كما سيأتى .

---

(١) خ ط : يزيد . وهو تحريف وما أثبته من البخارى ٢ / ١٨٦ .

(٢) ابن يوسف بن أبى بردة بن أبى موسى .

(٣) البخارى : فوافقنا .

فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جدا ،رواها ابن عساكر ، عن أبي القاسم السمرقندى، عن أبي الحسين بن النَّقُور ، عن أبي طاهر المخلِّص ، عن أبي القاسم بن البَغَوى ، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن الجعفى ، عن عبدالله بن عمر بن أبان ، حدثنا أسد بن عمرو البَجَلى، عن مُجَالِد بنِ سعيد ، عن الشّعبيّ عن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه قال :

بعثت قريشٌ عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشى ، فقالوا له ، ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم إلينا .

قال : لا حتى أسمع كلامهم .

قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟

قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنَّا به وصدَّقناه .

فقال لهم النجاشى : أعبيدٌ هم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دَيْن ؟ . قالوا : لا .

قال : فخلُّوا سبيلهم .

قال : فخرجنا مِن عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون فى عيسى غيرَ ما تقول .

قال : إن لم يقولوا فى عيسى مثلَ قولى لم أدَعْهم فى أرضى ساعةً من نهار .

فأرسل إلينا ، فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى .

قال : ما يقول صاحبكم فى عيسى بن مريم ؟

قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بَتُول .

قال : فأرسل فقال : ادعوا لى فلانَ القِسَّ وفلان الراهب ، فأتاه ناس منهم ، فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقالوا : أنت أعلمُنا ، فما تقول ؟

قال النجاشى ، وأخذ شيئاً من الأرض ، قال : ما عَدَا عيسى ماقال هؤلاء مثلَ هذا .

ثم قال : أيؤذيكم أحدٌ ؟ قالوا : نعم .

فنادى منادٍ : من آذى أحداً منهم فأغْرِموه أربعةَ دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا . فأضْعَفَها .

قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عايه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة وقتل الذين كنا حدّثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيلَ إليه ، فرُدَّنا .

قال : نعم . فحملَنا وزوَّدنا ، ثم قال : أَخْبر صاحبَك بما صنعتُ إليكم ، وهذا صاحبى معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لى .

قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقنى ، ثم قال : ما أدرى أنا بفتح خيبر أَفْرح أم بقدوم جعفر !

ووافق ذلك فتحَ خيبر . ثم جلس .

فقال رسول النجاشى : هذا جعفر فسَلْه ماصنع به صاحبنا .

فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا ، وحملنا وزوّدنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وقال لى : قل له يستغفر لى .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشى فقال المسلمون : آمين .

ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابنْ عساكر : حسن غريب .

* * *

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحق ، حدثنى الزُّهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أم سلمة رضى الله عنها ، أنها قالت :

لما ضاقت مكة وأوذى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفعَ ذلك عنهم ، وكان رسول الله فى منعَةٍ من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شىء مما يكره ومما ينال أصحابَه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن بأرض الحبشة ملِكا لا يُظلْم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكمْ فرَجاً ومَخْرجاً مما أنتم فيه» .

فخرجنا إليها أَرْسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخشَ فيها ظلما .

فلما رأت قريش أنا قد أَصَبنا داراً وأمْناً غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشى فينا ليخرجنا من بلاده وليردَّنا عليهم .

فبعثوا عمرو بن العاص وعبدَ الله بن أبى ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يَدَعوا منهم رجلا إلا هَيَّأوا له هدية على حِدَة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلّمهم فافعلوا .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدِمْنا على هذا الملك فى سفهائنا ، فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم .

فبعثنا قومُهم ليردَّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل .
فقالوا : نفعل .

ثم قدَّموا إلى النجاشى هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأَدَم[١] ، وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج .

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومُهم لتردَّهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عينا ، فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك .

فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردُّهم عليهم حتى أدعوهم فأكلِّمهم وأنظر ما أمرُهم ، قومٌ لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أُنْعِمْ عينا .

وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردَّهم إليهم ، فقال : لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أى شىء هم عليه .

فلما دخلوا عليه سلَّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهط ألا تحدّثونى مالكم لا تحيُّونى كما يحيِّينى من أتانا مِن قومكم ؟ !

فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى ، وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفيهودٌ أنتم ؟

---

(١) الأدم : الجلد ، أو المصبوغ منه .

قالوا : لا .

قال : فعلَى دِين قومكم ؟

قالوا : لا .

قال : فما دينكم ؟

قالوا : الإسلام .

قال : وما الإسلام ؟

قالوا : نَعْبد الله ، لا نُشْرك به شيئاً .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونَسَبه ، بعثه الله إلينا كما بَعث الرسلَ إلى مَن قبلنا ، فأمرنا بالبرِّ والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدَّقناه وعرَفْنا كلامَ الله ، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا وعادَوا النبيَّ الصادق ، وكذّبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرَرْنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله إن هذا لمن المِشْكاة التى خرج منها أمرُ موسى .

قال جعفر : وأما التحيةُ : فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرَنا بذلك فحيَّيْناك بالذى يحيِّي بعضنا بعضا .

وأما عيسى بن مريم ، فعبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وابن العذراء البَتُول .

فأخذ عُودا وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود .

فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشةُ لتخلعنَّك .

فقال : والله لا أقول فى عيسى غيرَ هذا أبدا ، وما أطاع اللهُ الناسَ فىَّ حين ردَّ علىَّ مُلْـكى فأطيعَ[١] الناس فى دين الله ، معاذَ الله من ذلك .

وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشىُّ فجمعَهم ، ولم يكن شىء أبغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم .

فلما جاءهم رسولُ النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟

فقالوا : وماذا نقول ! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنٌ من ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه .

فقال له النجاشى : ما هذا الدِّين الذى أنتم عليه ؟ فارقتم دينَ قومكم ولم تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية .

فقال له جعفر : أيها الملك ، كنا قوماً على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسىء الجوار ، يستحل المحارمَ بعضُنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحلُّ شيئا ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نَعْبد الله وحده لا شريك له ، ونَصِلَ الأرحام ونَحْمى الجوارَ ، ونصلى لله عز وجل ونَصوم له ولا نعبد غيره .

وقال زياد[٢] عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام وحُسْن الجِوار والـكَفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور

---

(١) المطبوعة : فاطع . وهو تحريف .

(٢) هو زياد البكائى راوى السيرة عن إبن اسحق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بـكير .

وأ كل مال اليتيم وقَذْف المُحْصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قال : فعدَّد[1] عليه أمورَ الإسلام .

فصدَّقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبَدْنا الله وحده لا شريك له ، ولم نشرك به شيئا ، وحرَّمنا ما حرم علينا وأحلَلْنا ما أحل لنا .

فعَدَا علينا قومنا فعذَّبونا ليفتْنونا عن ديننا ويردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَن سِواك ، ورغِبْنا في جوارك ورجونا ألا نُظْلم عندك أيها الملِك .

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟

فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى أخْضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخْضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام لَيخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلِقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أُنْعِمُكم عَيْناً .

فخرجنا مِن عنده ، وكان أبْقَى الرجلين فينا عبدُ الله بن ربيعة ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصلُ به خَضَراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلٰه الذى يَعْبد ، عيسى بن مريم ، عَبْدٌ !

فقال له عبد الله بن ربيعة : لا تفعل ، فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحما ولهم حقًّا .

---

(١) الأصل : فعدوا . محرفة ، وما أثبته عن ابن هشام .
(٢) هو زياد البكائى راوى السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغدُ دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسَلْهم عنه .

فبعث والله إليهم ، ولم ينزل بنا مثلُها .

فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له فى عيسى إن هو يسألكم عنه ؟

فقالوا : نقولِ والله الذى قاله الله فيه ، والذى أمرَنا نبينا أن نقوله فيه .

فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلَّى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عودا بين إصبعيه فقال : ما عدَا عيسى بن مريم مما قلت هذا العُوَيد .

فتناخَرَتْ بطارقته[1] ، فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم فى الأرض . الشيوم : الآمنون فى الأرض . من سبَّكم غرِم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا . ما أحب أن لى دَبْرا وأنى آذيت رجلا منكم ، والدَّبْر بلسانهم : الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب أن لى دبْراً من ذهب . قال ابن هشام : ويقال : زَبراً . وهو الجبل بلغتهم .

ثم قال النجاشى : فوالله ما أخذ الله منى الرِّشوةَ حين ردَّ علىَّ مُلْكى ، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه ، ردُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لى بها ، واخرجا من بلادى .

(١) ط : بطراقته وهو تحريف .

فخرجا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به .

* * *

قالت : فأقمنا مع خير جار فى خير دار .

فلم ينشب[١] أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه .

فوالله ما علمتنا حزنَّا حزنًا قط هو أشد منه ، فرَقًا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يَعْرف من حقِّنا ما كان يعرفه .

فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى ، فخرج إليه سائرا .

فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض : من يخرج فيحضُر الوقيعة حتى ينظر على من تكون .

فقال الزبير ، وكان من أحْدَثهم سنًّا : أنا .

فنفخوا له قِربةً فجعلها فى صدره ، فجعل يَسْبَح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة .

فهزم الله ذلك الملِكَ وقتله وظهر النجاشى عليه .

فجاءنا الزبير ، فجعل يُلِيح لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ، فقد أظهر الله النجاشيّ .

قالت[٢] : فوالله ماعلمتُنا فرحنا بشىء قط فَرَحنا بظهور النجاشى. ثم أقمنا عنده حتى خرج مَن خرج منا إلى مكة وأقام من أقام .

* * *

(١) ط : نشب . محرفة .

(٢) ط . قلت : محرفة .

قال الزهرى : فحدَّثتُ هـذا الحديث عُرْوة بن الزبير عن أم سَلَمة ، فقال عروة : أتدرى ماقوله : ما أخذ الله منى الرشوة حين ردَّ علىَّ مُلْكى فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناسَ فىَّ فأطيع الناس فيه ؟

فقلت : لا ، ماحدَّثنى ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحـارث بن هشام عن أم سلمة .

فقال عروة : فإنّ عائشة حدَّثتنى أن أباه كان ملِكَ قومه ، وكان له أخ له من صُلْبه اثنا عشر رجلا ، ولم يكن لأبى النجاشى ولدٌ غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها بينهـا فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملَّـكنا أخاه ، فإن له اثنى عشر رجلا من صُلْبه فتوارثوا المُلْك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف .

فعدَوْا عليه فقتلوه وملَّـكوا أخاه .

فدخل النجاشىُّ بعمه حتى غَلَب عليه ، فلا يُدير أمرَه غيرُه ، وكان لبيبا حازماً من الرجال .

فلما رأت الحبشة مكانَه من عمه ، قالوا : قد غَلَب هذا الغلامُ على أمر عمه ، فما نَأْمن أن يملـكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدَعْ منا شريفا إلا قتله ، فكلِّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا .

فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفتَ أنا قتلنـا أباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحـكم ! قتلتم أباه بالأمس وأقتـله اليـوم ! بل أُخرجـه من بلادكم .

فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه فى سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به .

فلما كان العشىّ هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمه يتمطَّر تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته .

ففَزِعوا إلى ولده، فإذاهم مُحْمِقُون ليس فى أحد منهم خير . فمَرَج[1] على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض : تَعْلمون والله إن مَلِككم الذى لا يُصْلح أمركم غيرُه ٱلذى بعْتم الغَداةَ ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأَدرِكوه قبل أن يذهب .

فخرجوا فى طلبه ، فأدركوه فردُّوه ، فعقدوا عليه تاجَه وأجلسوه على سريره وملَّكوه .

فقال التاجر : ردوا علىَّ مالى كما أخذتم منى غلامى . فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذاً والله لأكلمنَّه .

فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيها الملك ، إنى ابتعتُ غلاما فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدَوْا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردُّوا علىَّ مالى .

فكان أولَ ماخُبِر من صلابة حُكْمه وعَدْله أن قال : لترُدُّن عليه ماله أو لتَجْعلن يدَ غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء .

فقالوا : بل نعطيه مالَه . فأعطوه إياه .

فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرِّشوة فآخذ الرشوة حين ردَّ علىَّ ملكى ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيع الناس فيه .

* * *

وقال موسى بن عُقْبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير، فأوصَى إلى أخيه أنَّ إليك مُلْكَ قومك حتى يَبْلغَ ابنى ، فإذا بلغ فله المُلْك .

---

(١) مرج : اضطرب واختلط .

فرَغِب أخوه فى الملك ، فباع النجاشىَّ من بعض التجار .

فمات عمُّه من ليلته وقضى ، فردَّت الحبشة النجاشىَّ حتى وضعوا التاج على رأسه .

هكذا ذكره مختصرا ، وسياق ابن إسحق أحسن وأبسط فالله أعلم .

* * *

والذى وقع فى سياق ابن إسحاق إنما هو ذِكْرُ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة .

والذى ذكره موسى بن عُقْبة والأموى وغيرُ واحد أنهما عمرو بن العاص وعُمارة ابن الوليد بن المغيرة .

وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجَزُور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة .

وهكذا[1] تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الأَشْعرى .

والمقصود أنهما حين خرجا من مكة ، كانت زوجة عمرو معه ، وعُمَارة كان شابا حسنا ، فاصطحبا فى السفينة ، وكأن عمارة طمع فى امرأة عمرو بن العاص ، فألقَى عمراً فى البحر ليهلكه ، فسبح حتى رجع إليها ، فقال له عمارة : لو أعلم أنك تُحْسن السباحة لمَا ألقيتك . فحقد عمرو عليه .

فلمَّا لم يُقْضَ لهما حاجةٌ فى المهاجرين من النجاشى ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشى ، فوشى به عمرو ، فأمر به النجاشى فسُحر حتى ذهب عقله وساح فى البَرِّية مع الوحوش .

وقد ذكر الأموى قصته مطولة جداً ، وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسِلْنى أرسلنى وإلا متُّ . فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم .

(١) أى كونهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد .

وقد قيل : إن قريشا بعثت إلى النجاشي فى أمر المهاجرين مرتين : الأولى مع عمرو ابن العاص وعُمارة ، والثانية مع عمرو وعبد الله بن أبى ربيعة .

نص عليه أبو نُعَيم فى الدلائل . والله أعلم .

وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر . قاله الزُّهرى . لينالوا ممن هناك ثأرا ، فلم يجبهم النجاشيُّ رضى الله عنه وأرضاه إلى شىء ، مما سألوا . فالله أعلم .

* * *

وقد ذكر زياد عن ابن إسحق أن أبا طالب لمَّا رأى ذلك من صنيع قريش ، كتب إلى النجاشي أبياتا يحضُّه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألَا ليت شِعْرى كيفَ فى النَّأْىِ جعفرٌ ... وعمرٌو وأعــــداء العدو الأقاربُ

وما نالت[١] أفعالُ النجاشىِّ جعفراً ... وأصحابَه ، أو عاقَ ذلك شاغِبُ

تعلَّم أبيتَ اللَّعنَ أنك ماجـــــدٌ ... كريمٌ فلا يشقَى إليك[٢] المجانبُ

ونعلَمُ أن الله زادك بَسْطـــــةً ... وأسبابَ خير كلُّها بك لازِبُ[٣]

* * *

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : إنما كان يكلم النجاشيَّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضى الله عنه .

وقال زياد البكَّائى عن ابن إسحق : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما مات النجاشى كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

---

(١) وتروى : وهل نالت .
(٢) وتروى : لديك .
(٣) لازب : لاصق ملازم .

ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازى ، عن سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق به : لما مات النجاشى رضى الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

* * *

وقال زياد عن محمد بن إسحق : حدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا . وخرجوا عليه .

فأرسَل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا .

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم . ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن .

وخرج إلى الحبشة وصُفُّوا له ، فقال : يامَعْشرَ الحبشة ، ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة .

قال : فما بكم ؟ قالوا : فارقتَ ديننَا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله .

قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟

قالوا : نقول هو ابن الله .

فقال النجاشى ، ووضَع يدَه على صدره على قبائه : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزدْ على هذا . وإنما يعنى ما كتب .

فرضُوا وانصرفوا .

فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشى صلَّى عليه واستغفر له .

* * *

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَعَى النجاشىَّ فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى فصفَّ بهم وكبَّر أربع تكبيرات .

وقال البخارى : « موت النجاشى » حدثنا أبو الرَّبيع ، حدثنا ابن عُيَيْنة ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن جابر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى: مات اليومَ رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمة » .

وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد .

وفى بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفى رواية مصحمة ، وهو أصحمة بن بحر [(١)] . وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا ، وكان عادلا عالما رضى الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحق : اسم النجاشى مَصْحمة . وفى نسخة صححها البيهقى : أصحم . وهو بالعربية عطية .

قال : وإنما النجاشى اسم المِلك ، كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ، ولعله يريد به قيصر ، فإنه علَم لـكل من ملَك الشامَ مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علَم على من ملَك الفُرْس ، وفرعون علَم لمن ملَك مصرَ كافة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتُبَّع لمن ملك اليمن والشَّحْر ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، وبطليموس لمن ملك اليونان ، وقيل الهند ، وخاقان لمن ملك الترك .

---

(١) الأصل : أصحمة بن أبجر . وما أثبته من القاموس .

وقال بعض العلماء : إنما صلَّى عليه لأنه كان يكتم إيمانَه من قومه ، فلم يكن عنده يومَ مات مَن يصلِّى عليه ، فلهذا صلى عليه .

قالوا : فالغائب إن كان قد صلِّى عليه ببلده لا تُشْرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يصلَّ [على] النبى صلى الله عليه وسلم فى غير المدينة ، لا أهلُ مكةَ ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، لم يُنْقل أنه صلِّى على أحد منهم فى غير البلدة التى صلِّى عليه فيها . فالله أعلم .

* * *

قلت : وشهودُ أبى هريرة رضى الله عنه الصلاة على النجاشى دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [فى السنة] التى قدم [فيها] بقيةُ المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر .

ولهذا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والله ما أدرى بأيهما أنا أَسرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبى طالب !

وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشى رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحبتُهم أهلُ السفينة اليمنية أصحاب أبى موسى الأشعرى،وقومه من الأشعريين رضى الله عنهم .

ومع جعفر وهدايا النجاشى : ابن أخى النجاشى ذو نختر أو ذو مِخْمر ،أرسله ليخدم النبى صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه ، رضى الله عنهما وأرضاهما .

وقال السُّهيلى : توفى النجاشى فى رجب سنة تسع من الهجرة ، وفى هـذا نظر والله أعلم .

* * *

وقال البيهقى : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطُّوسى ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقى ، حدثنا أبى العلاء بن مُدْرِك ، حدثنا أبو هلال بن العلاء ، عن أبيه ، عن غالب ، عن أبى أمامة قال :

قدِم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابى مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم » .

ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبى ، حدثنا طلحة بن يزيد ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة ، عن أبى قتادة ، قال : قدم وفدُ النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال أصحابُه: نحن نكفيك يارسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين ، وإنى أحب أن أكافئهم » .

تفرَّد به طلحةُ بن زيد ، عن الأوزاعى .

وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسين بن بِشْران ، حدثنا أبو عمرو بن السمَّاك ، حدثنا حنبل بن إسحق ، حدثنا الُحمَيدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، قال : لمَّا قدِم عمرو ابن العاص من أرض الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ماشأنه ماله لا يخرج ؟

فقال عمرو : إن أَصْحَمة يَزْعم أن صاحِبكم نبى .

[إسلام عمر بن الخطاب]

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ماطَلبوا من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردَّهم النجاشى بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شَكيمة لا يُرَامُ ماوراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة ، حتى غاظوا [1] قريشا .

فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمرُ قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزةً منذ أسلمَ عمر بن الخطاب » .

وقال زياد البَكَّائى : حدثنى مِسْعر بن كِدَام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلينا معه .

* * *

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر بعد خروج مَن خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة قالت : والله إنا

---

(١) ابن هشام : حتى عازوا قريشا . أى غلبوهم .

لنترحَّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذًى لنا وشدة علينا .

قالت : فقال : إنه لَلانطلاق يا أم عبد الله ؟ !

قلت : نعم ، والله لنَخْرجن فى أرضٍ من أرض الله، إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مَخْرجا .

قالت : فقال : صحبكم الله !

ورأيتُ له رقةً لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزَنه فيما أرى خروجُنا .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ؛ فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقّتَه وحزنه علينا !

قال : أطمعتِ فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم .

قال : لا يُسْلم الذى رأيت حتى يُسْلم حمارُ الخطاب !

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

* * *

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمامَ الأربعين من المسلمين . فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .

اللهم إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

ويؤيد هـذا ماذكره ابن إسحاق ههنا فى قصة إسلام عمر وحده رضى الله عنـه ، وسياقُها ، فإنه قال :

وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفَيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجُها سعيد بن زيد ، وهم مُسْتَخْفون بإسلامهم من عمر .

وكان نُعَيم بن عبد الله النحَّام ، رجل من بنى عَدِى ، قد أسلم أيضاً مستخفيا بإسلامه من قومه .

وكان خَبَّاب بن الأَرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشِّحا سيفَه ، يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذُكروا (١) له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصَّفا ، وهم قريب من أربعين ، مِن بَيْن رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه حمزة وأبو بكر بن أبى قُحافة الصدِّيق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نُعيم بن عبد الله فقال : أين تريد ياعمر ؟

قال : أريد محمدا ، هذا الصابئ الذى فرَّق أمر قريش ، وسفَّه أحلامها وعابَ دينَها وسبَّ آلهتها ، فأقتله .

فقال له نُعيم : والله لقد غرَّتك نفسُك ياعمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : وأىُّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعَا محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائدا إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأَرتّ معه صحيفة فيها « طه » يُقْرِئها إياها .

فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة

---

(١) الأصل : فذكروا . والتصويب من ابن هشام .

بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خبَّاب عليها .

فلما دخل قال : ما هذه الهيْنمة التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئاً .

قال : بلى والله لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمدا على دينه . وبطش بختَنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفَّه عن زوجها فضربها فشجَّها .

فلما فعل ذلك قالت له أخته وختَنُه : نعم قد أسلمنا وآمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع وارعوَى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ماهذا الذى جاء به محمد . وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال: لا تخافى . وحلف بآلهته ليردَّنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسُّه إلا المطهَّرون .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها «طه» . فلما قرأ منها صدرا قال : ماأحسنَ هذا الكلامَ وأكرَمه ! .

فلما سمع ذلك خبَّاب بن الأرَتّ خرج إليه فقال له : والله ياعمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيِّد الإسلام بأبى الحكَم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فالله الله ياعمر .

فقال عند ذلك : فدُلَّنى ياخباب على محمد حتى آتيه فأُسْلِمَ . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفَه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال : يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة فَأْذَنْ له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيذن له .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ بحُجْزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة ، فقال : ماجاء بك يابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة .

فقال عمر : يارسول الله ، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة ، فعرَف أهلُ البيت أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح المكى ، عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك ، أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول :

كنت للإسلام مُباَعداً ، وكنت صاحبَ خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجاس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرة [1]

نخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمَّار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها .

نخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطُفْت سبعا أو سبعين .

قال : فجئت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبلَ الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمَانى .

قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمع مايقول .

فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروِّعنه ، فجئت مِن قِبَل الحِجْر ، فدخلتُ تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قِبلته مُسْتَقْبلَه مابينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآنَ رقَّ له قلبى وبكيتُ ودخلنى الإسلامُ .

فلم أزَلْ فى مكانى قائما حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين ، وكان مسكنه فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعتهُ ، حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركتُه ، فلما سمع

---

(١) الحزورة : كانت سوق مكة ، ثم دخلت المسجد لما زيد فيه .

حتى عرفني ، فظن أني إنما اتبعته لأوذيه ، فنَهَمني (١) ثم قال : ماجاء بك يابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئتُ لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فحمد الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « قد هداك الله ياعمر » ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات .

ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحق : فالله أعلم أي ذلك كان .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وماورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتُها على حِدَة . ولله الحمد والمنة .

* * *

قال ابن إسحق : وحدثني نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أيُّ قريش أَنْقَلُ للحديث ؟

فقيل له : جميل بن معمر الجُمحيّ .

فغدَا عليه . قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر مايفعل وأنا غلام أعقل كلّ مارأيت .

حتى جاءه فقال له : أعلمت ياجميل أني أسلمتُ ودخلتُ في دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فوالله ماراجعه حتى قام يجرُّ رداءه ، واتبعه عمر واتبعتُه أنا ، حتى [إذا] قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش . وهم في أنديتهم حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

---

(١) نهمني : زجرني .

قال : يقول عمر من خَلْفه : كذب ولكنى قد أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم .

قال : وطَلِح [1] فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلفُ بالله أنْ لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حَبَرة وقميص موشًّى ، حتى وقف عليهم .

فقال : ماشأنكم ؟

فقالوا : صبأ عمر .

قال : فمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عَدِى يُسْلمون لكم صاحبكم هكذا ؟ ! خلُّوا عن الرجل .

قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه .

قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك بمكة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك .

قال : ذاكَ أى بُنَىَّ العاصُ بن وائل السَّهمى .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ، لأن ابن عمر عُرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت أُحد فى سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميِّزاً يوم أسلمَ أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين . وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين . والله أعلم .

* * *

---

(١) طلح : تعب وأعيى .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحق قال :

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة ، أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ، ورجالُ قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خيَّبكم الله من ركب ! بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترْتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال لكم ، ما نَعْلم ركبًا أحمقَ منكم ! أو كما قال .

قالوا لهم : لا نُجاهلكم ، سلامٌ عليكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نَألُوَنَّ أنفسنا خيرا .

فيقال : إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان .

ويقال ، والله أعلم ، أن فيهم نزلت هذه الآيات : « الذين آتيناهم الكتابَ مِنْ قَبْله هم به يؤمنون ، وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنَّا به ، إنه الحقُّ من ربِّنا ، إنا كنا مِنْ قَبْله مُسْلمين ، أولئك يُؤْتَوْن أجرَهم مرَّتَيْن بما صَبَروا ويَدْرَأون بالحسنةِ السيئةَ ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سَمِعوا اللَّغْوَ أعرَضوا عنه، وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغِى الجاهلين [1] » .

---

(١) سورة القصص ٥٢ ـ ٥٥

فصـــــل

قال البيهقى فى الدلائل : باب ماجاء فى كتاب النبى صـلى الله عليـه وسلم إلى النجاشى :

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحق ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى الأصْحَم عظيم الحبشة ، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولَدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسوله ، فأَسْلِمْ تَسْلَم : « يا أهل الـكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء بَيْنَنا وبَيْنكم ألّا نَعْبُدَ إلا اللهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ، ولا تتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [1] » .

فإن أبَيْتَ فعليك إثمُ النّصارَى مِنْ قومك » .

هكذا ذكره البيهقى بعد قصة هجرة الحبشة ، وفى ذكره هاهنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الـكتاب إنما هو إلى النجاشى الذى كان بعدَ المسْلِم صاحب جعفر وأصحابه .

وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشى .

قال الزهرى : كانت كتب النبى صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة ، يعنى نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية ، وهى من سورة آل عمران ، وهى مدنية بلا خلاف ، فإنها من صدر السورة .

---

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها فى وفد نجران ، كما قررنا ذلك فى التفسير ، ولله الحمد والمنة .

فهذا الكتاب إلى الثانى لا إلى الأول .

وقوله فيه : « إلى النجاشى الأصحم » لعل « الأصحم » مقحم من الراوى بحسب ما فهم . والله أعلم .

* * *

وأنسبُ من هذا هاهنا ماذكره البيهقى أيضا ، عن الحاكم ، عن أبى الحسن محمد بن عبد الله الفقيه ، بمَرْو ، حدثنا حمَّاد بن أحمد ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، قال :

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، وكتب معه كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونَفْخَته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى ، فإنى رسول الله ، وقد بعثتُ إليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فاقْرِهم ، ودَعِ التجبر فإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلَّغتُ ونصحتُ ، فاقبلوا نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى

محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر[1] ، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقرَيْنا ابنَ عمك وأصحابه ، فأشهدُ أنك رسول الله صادقا ومصدَّقا ، وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبى الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنى لا أملك إلا نفسى ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقول حق .

فصـــل

فى ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب فى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحَصْرهم إياهم فى شِعْب أبى طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر فى ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عُقْبة عن الزهرى : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ المسلمون[2] الجَهْدَ واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية .

فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بنى عبد المطلب ، وأمرَهم أن يُدْخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعْبَهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله .

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعلَه حَمِيَّة ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا .

---

(١) الذى فى القاموس : ابن بحر .
(٢) ط : المسلمين .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألاّ يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يَدْخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقْبلوا من بنى هاشم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجَهْدُ ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاما يَقْدُم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه .

يريدون بذلك أن يُدْركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعهم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه ، حتى يرى ذلك من أراد به مكرا أو اغتيالا له ، فإذا نام الناسُ أمرَ أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه .

* * *

فلما كان رأسُ ثلاث سنين تلاوَمَ رجال من بنى عبد مناف ومن قصيّ ، ورجال مِن سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحم واستخفّوا بالحق .

واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه .

وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلّ ما كان فيها من عهد وميثاق .

ويقال : كانت معلقةً فى سقف البيت ، فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسَتْه ، وبقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم .

وأطلع الله عز وجل رسولَه على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذَبنى .

فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب ، حتى أتى المسجد وهو حافلٌ من قريش ، فلما رأوهم عامدِين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتكلم أبو طالب فقال : قد حدَثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فَأْتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها ، فعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صلح .

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها ، لا يشكُّون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم ، فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومَكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد ، جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نَصَف ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يَكْذِبنى ، أن الله بَرِئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ، ومحا كلَّ اسم هو له فيها ، وترك فيها غَدْركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم .

فإن كان الحديث الذى قال ابنُ أخى كما قال فأفيقوا ، فو الله لا نُسْلمه أبدا حتى يموت مِنْ عندنا آخرُنا .

وإن كان الذى قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

قالوا : قد رضينا بالذى تقول .

ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أُخْبر خبرَها .

فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا : والله إنْ كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم .

فارتكسوا وعادوا بشرٍّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أَوْلَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترون ، فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أَقْرَبُ إلى الجِبْت والسِّحر مِن أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسُد صحيفتكم وهى فى أيديكم ، طَمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغيٍ تركه ، أفنحن السَّحرة أم أنتم .

* * *

فقال عند ذلك النفرُ من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجالٌ من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم ، منهم أبو البَخْتَرى ، والمُطْعِم بن عَدِى ، وزُهير بن أبى أمية بن المغيرة ، وزَمْعة ابن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ، فى رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن بُرَاء مما فى هذه الصحيفة .

فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمرٌ قُضى بليل .

وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى .

* * *

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، يعنى من طريق ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، يعنى كسياق موسى بن عُقبة رحمه الله .

وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشِّعْب ، عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى ذلك . فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشِّعب أيضا ، فذكْرها ههنا أنسبُ . والله أعلم .

ثم روى البيهقى من طريق يونس ، عن محمد بن إسحق قال :

لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذى بُعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطَّلب دونه ، وأبوا أن يُسْلموه ، وهم من خلافه على مثالِ ماقومُهم عليه . إلا أنهم اتقوا أن يَسْتذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفَه من قومه .

فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب ، وعرفت قريش ألاّ سبيل إلى محمد ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب : ألاَّ يُنْكحوهم ولا يَنْكحوا إليهم وألا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة .

ثم عدَوْا على من أسْلَم فأوثقوهم وآذوهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا .

ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شِعْبَ أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد ، حتى كان يُسمع أصواتُ صبيانهم يتضاغَوْن من وراء الشِّعب من الجوع .

حتى كره عامةُ قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة .

وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة ، فلم تدَعْ فيها اسما هو لله إلا أكلَتْه ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك عمَّه أبا طالب .

ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عُقْبة وأتمَّ .

* * *

وقال ابن هشام عن زِيَاد عن محمد بن إسحق :

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا منه[1]

(١) ابن هشام : أصابوا به .

أمناً وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل ، فاجتمعوا[١] وائتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب، على ألاَّ ينْكحوا إليهم ولا يُنْكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرِمَة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّ بعض أصابعه .

وقال الواقدى : كان الذى يكتب الصحيفة طلحةُ بن أبى طَلْحة العبدرى .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة ، كما ذكره ابن إسحق ، وهو الذى شُلَّت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة .

قال الواقدى : وكانت الصحيفة معلقةً فى جوف الكعبة .

***

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبه واجتمعوا إليه .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم .

وحدثنى حسين بن عبد الله أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق

---

(١) ابن هشام : اجتمعوا . وهو الصواب .

قومه وظاهر عليهم قريشا فقال : يابنة عُتْبة ، هل نصرتُ اللاتَ والعُزَّى وفارقتُ من فارقَها[1] وظاهر عليها .

قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحق : وحُـدثت أنه كان يقول فى بعض مايقول : يَعِدُنى محمدٌ أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعدَ الموت ، فماذا وضع فى يدىَّ بعد ذلك ؟ !

ثم ينفخ فى يديه فيقول : تبًّا لـكما ، لا أرى فيـكما شيئا مما يقول محمد .

فأنزل الله تعالى : « تبَّتْ يدَا أبى لَهَبٍ وتبَّ » .

قال ابن اسحق : فلمـا اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيـه الذى صنعوا قال أبو طالب :

ألاَ أَبلغـــاَ عنَّا على ذاتِ بيْننـاَ ... لُؤَيًّا وخُصًّا من لـــؤىٍّ بنى كعبِ

ألمَ تعلموا أنَّا وجَـــدْنا محمـــداً ... نبيًّا كموسى خُطَّ فى أول الـكُتْبِ

وأنَّ عليـــه فى العِبادِ محبـــةً ... ولا خـــيرَ ممَّن خصَّه الله بالحبِّ

وأنَّ الذى أَلْصَقْتمُ مِنْ كتابـكم ... لكم كائنٌ نحساً كراغيَـةِ السَّقْبِ[2]

أفيقوا أفيقوا قَبْلَ أنْ يُحْفَر الثَّرَى ... ويُصْبِح مَنْ لم يَجْنِ ذَنْباً كذى الذَّنْبِ

ولا تَتْبعوا أمرَ الوشـــاةِ وتَقْطعوا ... أواصرَنا بعـــدَ المودَّةِ والقُرْبِ

وتَسْتجلبوا حرباً عَوَاناً[3] وربَّمـــا ... أَمَرَّ على مَنْ ذاقـــه حَلَبُ الحَرْبِ

فلسنا وربِّ البيتِ نُسْلِم أحمـــداً ... لعَزَّاء مِنْ عَضِّ الزمانِ ولا كَرْبِ

---

(١) ابن هشام : فارقهما.

(٢) راغية السقب : أراد ناقة صالح . والسقب : ولد الناقة : والراغية من الرغاء ، وهو صوت الإبل .

(٣) عوانا : مستمرة .

ولمَّا تَبِنْ منَّا ومنكم سوالفٌ ... وأَيْدٍ أُتِرَّتْ بالقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ (١)

بمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ ترى كِسَر القَنَا ... بهوالنسورَالطُّخْم يَعْكِفْن كالشَّرْبِ (٢)

كأن مُجَال (٣) الخيل فى حَجَراته ... ومَعْمَعَة الأبطال مَعْركة الحربِ (٣)

أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أَزْرَه ... وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضَّربِ

ولَسْنا نَمَلُّ الحربَ حتى تملَّنا ... ولا نشتكى ماقد ينوبُ من النكبِ

ولكننا أهلُ الحفائظ والنُّهَى ... إذا طار أرواحُ الكماةِ من الرُّعبِ

***

قال ابن إسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جَهِدوا ولم يصل إليهم شىء إلا سرًّا مُسْتخفياً به مَن أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام ، فيما يذكرون ، لقى حكيمَ بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب ، فتعلَّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتَرِىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ .

فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم .

فقال له أبو البَخْترى : طعامٌ كان لعمته عنده بعثت به إليه، أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل .

قال : فأَبَى أبو جهل لعنه الله ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لَحْىَ بعيرٍ فضربه به فشجَّه ووطئه وطئا شديداً .

---

(١) تبن : تفصل، والسوالف : صفحات الأعناق . وأترت : قطعت . والقساسية : نوع من السيوف .
(٢) النسور الطخم : السود الرءوس . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .
(٣) الأصل : صحال . ولا معنى لها . وما أثبته عن نسخة من ابن هشام .

وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يَبْلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتون بهم .

[المستهزئون]

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومَه ليلا ونهارا وسرًّا وجهارا ، مناديا بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحدا من الناس .

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمُّه وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يَهْمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه .

وجعَل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم ، وفيمن نَصَب لعداوته .

منهم مَنْ سمِّى لنا ، ومنهم من نزل القرآن فى عامة مَنْ ذكَر الله من الكفار .

فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزولَ السورة فيه ، وأمية بن خَلَف ونزول قوله تعالى: « ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ » السورة بكمالها فيه .

والعاصَ بن وائل ونزول قوله « أفرأيتَ الذى كَفَر بآياتنا وقال : لأوتيَنَّ مالاً وولَدا »[1] فيه . وقد تقدم شيء من ذلك .

وأبا جهل بن هشام ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : لتتركَنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسبَّن إلهك[2] [الذى تعبد][3] ، ونزولَ قول الله فيه : « ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعون من دون الله فَيَسبُّوا الله عَدْواً بغير علم »[4] الآية .

والنضرَ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة ، ومنهم من يقول علقمة بن كلدَة ، قاله السهيلى ، وجلوسَه بعدَ النبى صلى الله عليه وسلم فى مجالسه ، حيث يتلو القرآن ويدعوا إلى

---

(١) سورة مريم ٧٧ . (٢) الأصل : آلهتك . وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام . (٤) سورة الأنعام ١٠٨ .

الله ، فيتلو عليهم النضرُ شيئا من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفُرْس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا منّى ، وما حديثه إلا أساطيرُ الأولين اكتَتَبْتُها كما اكتتبها .

فأنزل الله تعالى : « وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهى تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأصيلا[١] » وقوله : « ويلٌ لكل أفّاكٍ أثيم »[٢] .

* * *

قال ابن اسحق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ، يوماً مع الوليد بن المغيرة فى المسجد .

فجاء النضرُ بن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غيرُ واحد من رجال قريش .

فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعرضَ له النضرُ ، فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمَه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدونَ مِنْ دونِ الله حَصَبُ جهنم أنتم لها وارِدون ، لو كان هؤلاءِ آلهةً ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون ، لهم فيها زَفِيرٌ وهم فيها لا يَسْمعون »[٣] .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى حتى جلس .

فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النَّضْرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم .

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أمَا والله لو وجدتُه لخصَمْتُه ، فسَلُوا محمدا : أ كلُّ

---

(١) سورة الفرقان ٥ . (٢) سورة الجاثية ٧ . (٣) سورة الأنبياء ٩٨ ـ ١٠٠

من يعبد من دون الله حَصَبُ جهنم مع من عبَدَه ؟ فنحن نعبد الملائـكة ، واليهود تعبد عُزَيْراً ، والنصارى تعبد عيسى .

فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزِّبَعْرَى ، ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصم .

فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كلُّ من أحبَّ أن يُعْبَد من دون الله فهو مع مَنْ عَبَدَه فى النار ، إنهم إنمـا يعبدون الشياطين ومَن أمرَتْهم بعبادته » .

فأنزل الله تعالى : « إنَّ الذين سبقَتْ لهم منَّا الحُسْنَى أولئك عنها مُبْعَدُون . لا يَسْمعون حسِيسَها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون »[١] .

أى عيسى وعُزَير ومن عُبِدَ من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى .

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائـكة وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عِبَادٌ مُـكْرَمون »[٢] . والآيات بعدها .

ونزل فى إعجاب المشركين بقول ابن الزِّبعْرَى : « ولمَّا ضُرِبَ ابنُ مريم مَثَلاً إذَا قومُك منه يَصِدُّون . وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو ؟ ما ضربوه لك إلاَّ جَدَلاً بل هم قومٌ خَصِمُون »[٣] .

وهذا الجدل الذى سلـكوه باطل .

وهم يعلمون ذلك ، لأنهم قوم عرب ، ومِن لغتهم أن « ما » لمـا لا يعقل ، فقوله « إنـكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم أنتم لها واردون » إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التى كانت صُوَرَ أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائـكةَ الذين

---

(١) سورة الأنبياء ١٠١، ١٠٢ . (٢) سورة الأنبياء ٢٦–٢٩ . (٣) سورة الزخرف ٥٧، ٥٨

زعموا أنهم يعبدونهم فى هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عُزَيراً ، ولا أحدا من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدلٌ باطل ، كما قال الله تعالى : « ما ضربوه لك إلاَّ جَدَلاً بل هم قَوْمٌ خَصِمون » .

ثم قال : « إنْ هو » أى عيسى « إلا عبدٌ أنعمْنَا عليه » أى بنبوتنا « وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » أى دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء ، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلَقْنا سائرَ بنى آدم من ذكر وأنثى .

كما قال فى الآية الأخرى : « ولنَجْعلَه آيةً للناس » أى أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة « ورحمة منا » نرحم بها من نشاء .

* * *

وذكر ابنُ إسحق الأخنس بن شَرِيق ونزول قوله تعالى فيه : « ولا تُطِعْ كلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ »[1] الآيات .

وذكَر الوليدَ بن المغيرة حيث قال : أيُنزَل على محمد وأُترَك وأنا كبير قريش وسيدُها ، ويُترَك أبو مسعود عمرو بن عمرو[2] الثّقفى سيد ثقيف ، فنحن عظيما القريتين ، ونزولَ قوله فيه : « وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القريتين عظيم »[3] والتى بعدها .

وذكر أُبيَّ بن خلف حين قال لعُقْبة بن أبى مُعَيط : ألم يَبْلُغنى أنك جالَسْت محمدا وسمعت منه ؟ وجهى مِن وجهك حرامٌ إلا أن تَتْفُل فى وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عُقْبة لعنه الله . فأنزل الله : « ويومَ يعَضُّ الظالم على يديه يقول : ياليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلا ، يا ويْلَتَا ليتنى لم أتَّخِذْ فلاناً خليلا[4] » والتى بعدها .

---

(١) سورة نون ١٠ (٢) ابن هشام : عمرو بن عمير . (٣) سورة الزخرف ٣١ .
(٤) سورة الفرقان ٢٧ ، ٢٨

قال : ومشى أبيُّ بن خَلَف بعظْم بالٍ قد أرَمَّ فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمَّ ؟ ! ثم فتَّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار .

وأنزل الله تعالى : « وضرَب لنا مثلاً ونَسى خَلْقه ، قال : من يُحْيي العظامَ وهى رميم . قل : يُحْييها الذى أنشأها أولَ مرَّةٍ وهو بكلِّ خَلْقٍ عليم [1] » إلى آخر السورة .

قال : واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسودُ بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد ، هلمَّ فلنَعْبُد ما تَعْبد وتعْبُد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر .

فأنزل الله فيهم : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبدُ ما تعبدون » إلى آخرها .

ولما سَمع أبو جهل بشجرة الزَّقُّوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يُضْرب بالزُّبد ! ثم قال : هلم فلنتزقَّم .

فأنزل الله تعالى : « إنَّ شجرةَ الزقُّوم طعامُ الأثيم [2] » .

قال : ووقف الوليدُ بن المغيرة فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلِّمه وقد طمع فى إسلامه .

فمرَّ به ابنُ أم مكتوم ، عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة ، الأعمى ، فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن . فشق ذلك عليه حتى أضجَره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه .

فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى : « عبَس وتولَّى ، أنْ جاءه الأعمى » إلى قوله : « مرفوعةٍ مطهَّرة » .

---

(١) سورة يس ٧٨، ٧٩ (٢) سورة الدخان ٤٣، ٤٤

وقد قيل : إن الذى كان يحدِّث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابنُ أم مكتوم : أميةُ بن خلف . فالله أعلم .

* * *

ثم ذكر ابن اسحق مَن عاد مِن مُهاجِرة الحبشة إلى مكة .

وذلك حين بلغهم إسلامُ أهل مكة ، وكان النَّقْل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب .

وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع المشركين ، وأنزل الله عليه : « والنَّجْمِ إذا هوَى، ما ضَلَّ صاحبُكم » يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجَد ، فسجَد مَنْ هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس .

وكان لذلك سببٌ ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : « وما أَرسَلْنا مِنْ قَبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنَّى ألقَى الشيطانُ فى أُمْنيته ، فيَنْسَخُ اللهُ ما يُلْقِي الشيطان ثم يُحْكِم الله آياته والله عليمٌ حكيمٌ(١) » .

وذكروا قصة الغَرَانيق ، وقد أحبَبْنا الإضراب عن ذِكْرها صَفْحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة فى الصحيح .

قال البخارى : حدثنا أبو مَعْمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » .

انفرد به البخارى دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعْبة ، عن أبى إسحق ،

---

(١) سورة الحج ٥٢ .

سمعت الأسودَ ، عن عبد الله قال : قرأ النبى صلى الله عليه وسلم « والنجم » بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخٍ أخذ كفًّا من حصاً أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفينى هذا ، فرأيتُه بعدُ قُتل كافراً » .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث شُعْبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا رباح ، عن مَعمر ، عن ابن طاووس ، عن عِكْرمة بن خالد ، عن جعفر بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة ، عن أبيه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم ، فسجَد وسجد مَن عنده ، فرفعتُ رأسى وأبيتُ أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطَّلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه .

وقد رواه النسائى ، عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .

وقد يُجْمع بين هذا والذى قَبْله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكبارا ، وذلك الشيخ الذى استثناه ابنُ مسعود لم يسجد بالكلِّية . والله أعلم .

* * *

والمقصود أن الناقل لمَّا رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يَبْقَ نزاع بينهم .

فطار الخبرُ بذلك وانتشر حتى بلغ مُهاَجِرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك .

فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة ، وكلاهما مُحْسن مصيب فيما فعل .

فذكر ابن إسحق أسماءَ من رجع منهم :

عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة ابن عُتبة بن ربيعة ، وامرأته سَهْلة بنت سُهيل ، وعبد الله بن جحش بن رِئَاب ، وعُتبة

ابن غَزْوان ، والزبير بن العوام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وسُوَيْبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمِقْداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وشمَّاس بن عثمان .

وسلمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبى ربيعة ، وقد حُبسا بمكة حتى مضت بدرٌ وأُحدٌ والخندق .

وعمَّار بن ياسر ، وهو ممن شكَّ فيه : أخرَج إلى الحبشة أم لا .

ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنيس بن حُذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقد حُبس بمكة إلى بعد الخندق ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حَثْمة ، وعبد الله بن مَخْرمة .

وعبدُ الله بن سهيل بن عمرو ، وقد حُبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا .

وأبو سَبْرَة بن أبى رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سُهيل .

والسَّكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سَوْدة بنت زَمْعَة ، وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلَف على امرأته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وسعد بن خَوْلة ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهيل ابن بيضاء ، وعمرو بن أبى سرْح .

فجميعهم : ثلاثةٌ وثلاثون رجلا ، رضى الله عنهم .

* * *

وقال البخارى : وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريتُ دارَ هجرتكم ذات نخل بين لابتَيْن » .

فهاجرَ من هاجر قِبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة .

وفيه عن أبى موسى وأسماء رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم حديث أبى موسى ، وهو فى الصحيحين ، وسيأتى حديث أسماء بنت عُمَيس ، بعد فتح خَيْبر حين قدم من كان تأخر من مُهَاجرة الحبشة ، إن شاء الله ، وبه الثقــة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن حمَّاد ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن سليمان بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا نسلِّم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيردُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى سلَّمنا عليه فـلم يردَّ علينا ، فقلنا : يارسول الله ، إنا كنا نسلِّم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا .

قال : « إنَّ فى الصلاة شُغْلا » .

وقد روى البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق أخر ، عن سليمان بن مهران ، عن الأعمش به .

وهو يقوى تأويلَ من تأوَّل حديث زيد بن أرقم الثابت فى الصحيحين : كنا نتكلم فى الصلاة ، حتى نزل قوله : « وقوموا لله قانتين »[1] فأُمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام » .

على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيدا أنصارى مدنىّ ، وتحريمُ الكلام فى الصلاة ثبت بمكة ، فتعيَّن الحَمْلُ على ما تقدم .

وأما ذِكْره الآية وهى مدنية فمُشْكل ، ولعله اعتقد أنها المحرِّمة لذلك ، وإنما كان المحرِّم له غيرها معها . والله أعلم

* * *

قال ابن إسحق : وكان ممن دخل منهم بجوار[2] [فيما سمّى لنا[3]] عثمان بن

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (٢) الأصل : وكان ممن دخل معهم بجوار . وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام
(٣) من ابن هشام

مَظْعون فى جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد فى جوار خاله أبى طالب ، فإن أمّه بَرّة بنت عبد المطلب[1] .

فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان قال : لمّا رأى عثمان بن مظعون مافيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يروح ويَغْدو فى أمان من الوليد بن المغيرة قال : والله إنّ غُدوِّى ورَواحى فى جوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهلُ دينى يَلْقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لَنقصٌ كثير[2] فى نفسى !

فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : ياأبا عبد شمس ، وَفَتْ ذمتُك ، وقد ردَدْتُ إليك جوارَك .

قال : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ علىّ جوارى علانيةً كما أجَرْتُك علانية .

قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يردُّ علىّ جوارى .

قال : صدَق ، قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألاّ أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جوارَه .

ثم انصرف عثمان رضى الله عنه ، ولَبيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* ألَا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ *

---

(١) ابن هشام : وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب (٢) ابن هشام : كبير .

فقال عثمان : صدقتَ .

فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لا يزول .

فقال لبيد : يامعشر قريش ، واللهِ ما كان يُؤذَى جليسُكم ، فمتى حدَث هذا فيكم ؟ !

فقال رجل من القوم : إن هذا سفيهٌ في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدَنّ في نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضَّرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى مابلغ [من] (١) عثمان ، فقال : أمَا والله يابن أخى إنْ كانت عينُك عمَّا أصابها لغنيَّة ، ولقد كنتَ فى ذمة منيعة .

قال : يقول عثمان : بل والله إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ! وإنّى لفى جوارِ مَن هو أعزُّ منك وأقدَرُ يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد : هلم يابن أخى إلى جوارك فعُدْ . قال : لا .

* * *

قال ابن إسحق : وأما أبو سلَمة بن عبد الأسد ؛ فحدثنى أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن سلمة بن عبد الله بن أبى سلمة ، أنه حدَّثه أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هــذا منعتَ منا ابنَ أخيك محمدا ، فمالك ولِصاحبنا تمنعه منا ؟

---

(١) من ابن هشام .

قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابنَ أخى .

فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه فى جواره مِن بين قومه ، والله لتنتهُنَّ أو لنقومن معه فى كل ماقام فيه حتى يبلغ ما أراد .

قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة . وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقَوا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنَّ امرءًا أبو عُتيبة عمُّه ... لفى روضةٍ ما إنْ يُسامُ المَظالمَا

أقول له وأين منه نصيحتى ... أبا مُعْتبٍ ثَبِّتْ سَوادَك قائما

ولا تَقْبلنَّ الدهرَ ماعشتَ خطةً ... تُسبُّ بها إمَّا هبطتَ المواسِمَا

وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهمُ ... فإنّك لم تُخلق على العجزِ لازمَا

وحاربْ فإن الحربَ نَصْفٌ ولن ترى ... أخا الحربِ يعطِى الخَسْفَ حتى يُسالمَا

وكيف ولم يَجْنُوا عليك عظيمةً ... ولم يخذلوك غانمًا أو مُغارمَا

جزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ... وتَيمًا ومخزومًا عقوقًا ومَأْثما

بتفريقهم مِن بعدِ ودٍّ وألفةٍ ... جماعتَنا كيْما ينالوا المحارمَا

كَذبتم وبيتِ الله نُبْزَى[1] محمدًا ... ولمَّا تروا يومًا لدَى الشِّعب قائمَا

قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

---

(١) نبزى : نسلب

ذكر عَزْمِ الصدِّيق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرى ، عن عروة ، عن عائشة، حين ضاقت عليه مكةَ وأصابه فيها الأذى ، ورأى مِن تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مارأى ، استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فأذن له .

فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجِرا ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابنُ الدَّغِنَة [1] ، أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش .

قال الواقدى : اسمه الحارث بن يزيد ، أحد بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقال السُّهيلى : اسمه مالك .

فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا علىّ .

قال : ولمَ ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسِب المعدومَ ، ارجع فإنك فى جوارى .

فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدَّغِنة فقال : يامعشر قريش ، إنى قد أجَرْتُ ابنَ أبى قحافة ، فلا يَعْرض له أحد إلا بخير .

قال : فكفُّوا عنه .

---

(١) ابن الدغنة ، بفتح الدال المشددة وكسر الغين المعجمة والنون مخففة مفتوحة ، كذا ضبطه الزرقانى، وهو ضبط الرواة ، وأهل اللغة يضبطونه بالدال مشددة مضمومة والغين مضمومة والنون مشددة مضمومة ومعنى الدغنة : المسترخية .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يصلِّى فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى .

قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته .

قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدَّغِنة فقالوا : يا ابن الدغنة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يرقّ وكانت له هيئة ، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمُرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء .

قالت : فمشى ابن الدّغنة إليه فقال : يا أبا بكر ، إنى لم أُجرْك لتؤذى قومَك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذَّوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

قال : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قال : فارْدُدْ علىّ جوارى . قال : قد رددته عليك .

قال : فقام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد ردَّ علىّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

* * *

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديثَ (١) متفرداً به ، وفيه زيادة حسنة .

فقال : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، قال ابن شهاب (٢) فأخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت :

لم أَعْقل أبوىَّ (٣) قط إلّا وهما يَدِينان الدِّينَ ، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه

---

(١) صحيح البخارى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٢/١٩٠

(٢) الأصل : قال ابن هشام : وهو تحريف وما أثبته من صحيح البخارى ٢/١٩٠

(٣) الأصل: أبواى . وهو خطأ . وما أثبته عن البخارى .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية .

فلما ابتُلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد [١] لقيه ابنُ الدَّغِنة وهو سيد القارَة [٢] ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟

فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبدَ ربى .

فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرج ولا يُخْرج مثله ، إنك تكسب المعدومَ ، وتصِل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتَقْرى الضيفَ ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جارٌ ، فارجع فاعبد ربَّك ببلدك .

فرجع ، وارتحل معه ابنُ الدغنة ، وطاف ابن الدَّغنة عشيةً فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرج مثله ولا يُخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكلَّ ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ !

فلم يكذّب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ويصلِّ فيها ، وليقرأ ماشاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يَسْتعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ابنُ الدغنة ذلك لأبى بكر .

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن .

فيتقذَّف [١] نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكَّاء لا يملك عينه إذا قرأ القرآن .

---

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر . وقد حكى فى الباء الضم والكسر

(٢) قبيلة تشتهر بالرمى وهم مايقال : قد أنصف القارة من راماها .

(٣) أى يتدافعون فيقذف بعضهم بعضا فيتساقطون عليه . وروايةالمواهب : « فيتقصف » أى يزدحم ورواية المروزى والمستملى : فينقذف بالنون . شرح المواهب ١/٢٨٩

فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجَرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقدجاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن الصلاةَ والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه ، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبَى إلا أن يعلن ذلك فَسَلْه أن يردَّ عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نَخْفرك ، ولسنا مقرّين لأبى بكر الاستعلانَ .

قالت عائشة : فأتى ابنُ الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمتَ الذى قد عاقدتُك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تردَّ إلىّ ذمتى ، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ فى رجل عقدتُ له .

فقال أبو بكر : فإنى أردُّ عليك جوارَك وأرضى بجوار الله عز وجل .

ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتى مبسوطا.

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، قال : لقيه ، يعنى أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدَّغِنة ، سفيه من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه ترابا ، فمرَّ بأبى بكر الوليدُ ابن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ ! فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول : أىْ ربِّ ما أَحْلَمك ، أى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك !

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحق معترضاً بها بَيْن تعاقُد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحَصْرهم إياهم فى الشِّعْب ، وبَيْن نَقْض

الصحيفة وما كان من أمرها ، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن إسحق .

قال ابن إسحق : هذا وبنو هاشم وبنو المطّلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها .

ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفرٌ من قريش .

ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابنَ أخى نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه . وكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه .

فكان ، فيما بلغنى ، يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوْقَره طعاما ، حتى إذا بلغ به فمَ الشِّعْب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشّعْب عليهم ، ثم يأتى به قد أَوْقَره بُرًّا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالُك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكَح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوالَ أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ماأجابك إليه أبدا .

قال : ويحك ياهشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نقضها .

قال : قد وجدتَ رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغنا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عَدِىّ فقال له : يامطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من

بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعا .

قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية . قال ابغنا رابعا . فذهب إلى أبى البَخْترى بن هشام فقال نحوَ ماقال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل تجد أحدا يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال: من هو ؟قال : زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك .قال: ابغنا خامسا .

فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟

قال : نعم . ثم سمَّى القومَ .

فاتّعدوا خَطمَ الحجُون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير :أنا أبدؤكم فأكون أولَ من يتكلم .

فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حُلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : والله لا تُشقّ .

قال زَمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت .

قال أبو البَخْترى : صدق زَمْعَة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به .

قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد .

وقام المُطْعم بن عَدِىّ إلى الصحفة ليشقها فوجد الأرَضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة فشُلَّت يده ، فيما يزعمون.

قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب : ياعم إن الله قد سلَّط الأرضةَ على صحيفة قريش ، فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفَتْ منها الظُّلم والقطيعة والبهتان .

فقال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : فوالله مايَدْخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتَكم ، فإن كانت كما قال فانتهُوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذبا دفعتُ إليكم ابنَ أخى .

فقال القوم : قد رضينا . فتعاقدوا على ذلك .

ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شرًّا .

فعند ذلك صَنع الرهط من قريش فى نَقْض الصحيفة ماصنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مُزِّقت وبَطَل مافيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريّنا صُنْعُ ربِّنا … على نأيهم واللهُ بالناس أرْوَدُ [(١)]

فيُخبرهم أنّ الصحيفةَ مُزِّقت … وأنْ كلُّ مالم يرْضَه الله مُفْسَدُ

تَراوحَها إفكٌ وسِحْرٌ مُجَمَّع … ولم يُلْفَ سحرٌ آخرَ الدهر يَصْعدُ

تداعَى لها مَنْ ليس فيها بقَرْقَرٍ [(٢)] … فطائرُها فى رأسها يتردَّدُ

وكانت كِفاءً وقعةٌ بأثيمةٍ … ليُقطَع منها ساعدٌ ومُقلَّدُ [(٣)]

ويَظْعنَ أهلُ المكَّتيْن فيهْربوا … فرائصُهم مِن خشيةِ الشرِّ تُرْعَدُ

ويُتْرَكَ حَرَّاثٌ يقلِّب أمرَه … أيُتهِم فيها عند ذاكَ ويُنْجِدُ

فمَنْ ينشَ من حُضّار مكة عِزَّهُ … فعزتُنا فى بطنِ مكة أتْلَدُ

نشأنا بها والناسُ فيها قلائلٌ … فلم نَنْفكِكْ نزدادُ خيراً ونُحْمَدُ

ونُطْعمُ حتى يَتْركَ الناس فضلَهم … إذا جَعلت أيدى المُفيضين تُرْعَدُ

جزى الله رهطا بالحَجُون تجمَّعوا … على مَلإٍ يَهْدى لحزمٍ ويُرشِدُ

قعوداً لَدَى حَطْم الحَجُون كأنهم … مَقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ

أعان عليها كلُّ صَقْرٍ كأنه … إذا مامشَى فى رَفْرفِ الدِّرعِ أحْرَدُ [(٤)]

جرىءٌ على جُلٍّ [(٥)] الخطوب كأنه … شهابٌ بكَفَّيْ قابسٍ يتوقَّدُ

مِن الأكرمين مِنْ لُؤَىٍّ بنِ غالبٍ … إذا سيمَ خَسْفاً وجهُه يتربَّدُ

طويلُ النجاد خارجٌ نصفُ ساقِه … على وجهه يُسْقَى الغمامُ ويُسْعدُ

---

(١) بحرينا : أراد بهم الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . كما قال عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : « البحرية الحبشية » وأرود : أرفق .

(٢) القرقر : أراد الذليل ، والقرقر : الأرض الموطوءة التى لاتمنع سالكها . ويجوز أن يريد به : ليس بذى هزل . الروض .

(٣) المقلد : العنق .

(٤) رفرف الدرع : فضولها . والأحرد : الذى فى مشيه تثاقل ، وهو من الحرد ، وهو عيب فى الرجل .

(٥) وتروى : جلى ..

عظيمُ الرَّمادِ سيــــدٌ وابنُ سيدٍ   يحضُّ على مَقْرَى الضيوف ويَحْشِدُ
ويَبْنِى لأبناء العشـــــيرة صالحاً   إذا نحن طُفْنـــا فى البلاد ويَمْهَدُ
ألظَّ (١) بهـــذا الصُّلح كلُّ مُبَرَّإٍ   عظــــيمُ اللواء أمرُه ثمَّ يُحْمَدُ
قضَوْا ما قضوا فى ليلهمْ ثم أصبحوا   على مَهَـــلٍ وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رَجَعُوا سَهْل بن بيضـــاءَ راضياً   وسُرَّ أبو بكر بهــــا ومحمدُ
متى شُرِّكَ الأقوامُ فى جَـــلِّ أمرنا   وكنَّا قديماً قبلهــــا نُتَوَدَّدُ
وكنَّا قديما لا نقرُّ ظُلاَمَــــةً   وندرك ماشئنا ولا نتشـــددُ
فيالَ قُصىٍّ هــل لــكمْ فى نفوسكم   وهــــل لكمُ فيما يجىء به غَدُ
فإنى وإياكم كما قال قائــــلٌ   لديك البيانُ لو تــكلمتَ أسودُ

قال السهيلى : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول : لديك البيانُ لو تــكلمتَ أسودُ . أى يا أسود لو تــكلمت لأَبَنْتَ لنا عمَّن قتَله (٢) .

ثم ذكر ابن إسحاق شعرَ حسان يَمْدح المُطْعِم بن عدى وهشامَ بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموى هاهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق .

وقال الواقدى : سألت محمدَ بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشِّعْب ؟ قالا : فى السنة العاشرة ، يعنى من البعثــة ، قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفى هــذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله صلى الله عايه وسلم ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنهــا . كما سيأتى بيانــ ذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) ألظ : ألح وطالب .   (٢) السهيلى : فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا .

فصـــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نَصْبَ عداوة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفيرَ أحياء العرب والقادمين إلى مكةَ لحجٍ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهارَ الله المعجزات على يديه ، دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقوّل ، والله غالب على أمره .

* * *

فذكر قصة الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسىّ مرسلةً .

وكان سيداً مطاعا شريفا فى دوس ، وكان قد قَدِم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذَّروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه .

قال : فوالله مازالوا بى حتى أَجْمَعْت ألّا أسمع منه شيئا ولا أكلِّمه ، حتى حشَوْت أذنىّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفا (١) فَرَقًا مِن أنْ يبلغنى شىءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة .

قال : فقمت منه قريبا ، فأبَى الله إلا أن يُسْمعنى بعضَ قوله .

قال : فسمعت كلاما حَسَنا ، قال : فقلت فى نفسى : واثُكْل أمى ! والله إنى لرجل لبيبٌ شاعر ما يَخْفَى علىَّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول، فإن كان الذى يأتى به حسناً قَبلتُه ، وإن كان قبيحا تركته .

---

(١) الكرسف : القطن

قال : فمكثت حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته [فاتبعته حتى إذا دخل بيته [1]] دخلت عليه فقلت : يامحمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا . للذى قالوا .

قال : فوالله مابرحوا بى يخوفوننى أمركَ حتى سدَدْت أذنىّ بكُرْسُف لئلا أسمعَ قولك ، ثم أبَى الله إلا أن يُسْمعنى قولَك ، فسمعت قولا حسنـا ، فاعرِضْ علىّ أمركَ .

قال: فعرض علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلامَ وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدَلَ منه .

قال : فأسلمتُ وشهدت شهادةَ الحق ، وقلت : يانبى الله إنى امرؤ مُطَاعٌ فى قومى ، وإنى راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يَجْعل لى آيةً تـكون لى عَوْنا عليهم فيما أدعوهم إليه .

قال فقال : اللهم اجعل له آيةً .

قال فخرجت إلى قومى، حتى إذا كنت بثَنِيَّةٍ تُطلعنى على الحاضر ، وقع بين عينىّ نورٌ مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم فى غَيْرِ وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها [2] مُثْلَةٌ وقعت فى وجهى لفراق دِينهم .

قال : فتحوّل فوقع فى رأس سَوْطى . قال : فجعل الحاضرون [3] يتراءون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل المعلّق وأنا أنهبط [4] عليهم من الثَّنِيَّة ، حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

---

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : يظنوا بها وما أثبته من ابن هشام .
(٣) ابن هشام : الحاضر (٤) ابن هشام : أهبط

فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيراً ، فقلت : إليك عنى ياأبتِ ، فلستَ منك ولستَ منِّى .

قال : ولم يابنى ؟

قال : قلت أسلمتُ وتابعت دِينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : أى بنىَّ فدِينُك دينى . فقلت : فاذهب فاغتسل وطهِّر ثيابَك ، ثم ائتنى حتى أعلِّمك مما علِّمت .

قال : فذهب فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتَتْنى صاحبتى ، فقلت : إليكِ عنى ، فلستُ منك ولستِ منِّى .

قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى .

قال : قلت : فرَّق بينى وبينك الإسلامُ ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم . قالت : فدِينى دينُك .

قال : فقلت فاذهبى إلى حِمَى [1] ذى الشَّرَى فتطهَّرى منه . وكان ذو الشرى صنماً لدَوْس ، وكان الحِمَى حمًى حَمَوْه حوله ، به وَشَلٌ [2] من ماء يهبط من جبل .

قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصِّبْية من ذى الشرى شيئا ؟

قلت : لا ، أنا ضامن لذلك .

قال : فذهبَتْ فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلَمَتْ .

ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبْطأوا علىَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة . فقلت : يارسول الله ، إنه قد غَلَبنى على دوسٍ الزنا ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهْدِ دَوْساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُقْ بهم » .

---

(١) ويقال له أيضا : حنى

(٢) الوشل : الماء القليل .

قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، ثم قدِمْت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلَم معى من قومى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزَلْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت : يارسول الله ابعثنى إلى ذى الكَفَّين صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل الطُّفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذَا الكَفَيْن [1] لستُ مِنْ عُبَّادِكَا ميلادُنا أَقْدَمُ مِنْ ميلادِكَا

إنى حشَوْتُ النارَ فى فؤادكا

قال : ثم رجع [إلى [2]] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ارتدَّت العربُ خرج الطُّفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل .

فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا فاعْبُروها لى ، رأيت أن رأسى حُلق ، وأنه خرج من فمى طائر ، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حُبس عنى .

قالوا : خيراً . قال : أمَّا أنا والله فقد أوَّلتُها .

---

(١) الكفين : أراد الكفين بالتشديد فخفف للضرورة . وذكر السهيلى أنه قد يخفف فى غير الشعر ، فإن صح هذا فهو تثنية كفء من كفأت الإناء ثم سهلت الهمزة ونقلت حركتها إلى الفاء كالخبء والخب . الروض ١/٢٣٥

(٢) من ابن هشام .

قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حَلْق رأسى فوَضْعه ، وأما الطائر الذى خرج منه فروحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تُحفر لى فأغيَّب فيها . وأما طلبُ ابنى إياى ثم حَبْسه عنى فإنى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى .

فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحةً شديدة ، ثم استَبَلَّ منها ، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً . رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطُّفَيل بن عمرو مُرْسلةً بلا إسناد . ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح .

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ؛ قال : لما قدم الطُّفيل وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن دَوْساً قد استعصت ، قال : « اللهم اهد دَوْساً وائتِ بهم » .

رواه البخارى ، عن أبى نُعيم ، عن سفيان الثورى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قَدِم الطفيل بن عمرو الدَّوسى وأصحابه ، فقالوا : يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبَتْ فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقلت : هلكت دوس ! فقال : « اللهم اهدِ دوسا ، وائت بهم » .

إسناده جيد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حَرْب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حجاج الصوَّاف ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن الطفيل بن عمرو الدَّوْسى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك فى حِصْنٍ حصين ومَنَعة ؟ قال : حصنٌ كان لدَوْس فى الجاهلية .

فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، للذى ذَخَر الله للأنصار .

فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينةهاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتَوَوْا[1] المدينة ، فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه[2] ، فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات .

فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة ، ورآه مغطِّيا يديه ، فقال له : ما صنع ربك ؟ فقال : غفر لى بهجْرتى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . قال : فما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى لن يَصْلح منك ما أفسدت !

قال : فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم وليديه فاغفر » .

رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شَيْبة وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان ابن حَرْب به .

فإن قيل : فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق الحسن ، عن جُنْدب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحزَّ بها يده فما رقأَ الدمُ حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدى بادرَنى بنفسه فحرَّمت عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد يكون ذاك مُشْركا وهذا مؤمن .

ويكون قد جعل هذا الصَّنيع سبباً مستقلا فى دخوله النار ، وإن كان شِرْكه مستقلاً إلا أنه نبَّه على هذا لتعتبر أمته .

---

(١) اجتووا المدينة : كرهوا المقام بها لضجر وسقم .

(٢) المشاقص : جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض : والبراجم : مفاصل الأصابع

الثانى : قد يكون هٰذاك عالما بالتحريم ، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعلَه مستحلاًّ له ، وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه ، بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كِبَر ذنبه المذكور ، فدخل النار وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يَلج النارَ ، بل غُفر له بالهجرة إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

ولكن بقى الشَّيْنُ فى يده فقط وحَسُنت هيئة سائره فغطىَّ الشَّين منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له : مالك ؟ قال : قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت. فلما قصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أى فأصلح منها ما كان فاسداً .

والمحقق أن الله استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب الطُّفيل ابن عمرو .

قصة أَعْشَى بن قيس

قال ابن هشام : حدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسىّ وغيره من مشايخ بَكْر ابن وائل ، عن[1] أهل العلم ، أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن على ابن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، فقال يمدح النبيَّ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) ابن هشام : من أهل العلم .

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ ليـلةَ أَرْمَدا ... وبِتَّ كما باتَ السليمُ مُسَهَّدَا
وما ذاكَ مِنْ عِشْقِ النساء وإنمـا ... تناسَيْتَ قبلَ اليوم خُلَّةَ(١) مَهْدَدا
ولكنْ أرى الدهرَ الذى هو خائنٌ ... إذا أصلحَتْ كَفَّاىَ عاد فأفْسدَا
كهولاً وشُبَّاناً فقـدتُ وثروةً ... فلله هـذا الدهرُ كيف تردَّدَا
وما زلتُ أبغى المالَ مُذْ أَنا يافعٌ ... وليداً وكهلا حين شِبْتُ وأمردَا
وأَبْتَذِلُ العيسَ المَرَاقيـلَ تعتلى ... مسافةَ ما بَيْنَ النُّجَيْرِ فصَرْخَدا(٢)
ألا أيُّهـذا السائلى أين يَمَّمَتْ ... فإنَّ لهـا فى أهلِ يَثْرِب مَوْعِدَا
فإنْ تسألِى عـنى فيارُبَّ سائلٍ ... حَفِىٍّ عن الأعشى به حيث أَصْعدَا
أَجَدَّتْ برجليْها النَّجَاءَ(٣) وراجعَتْ ... يداها خِنَافاً لَيِّناً غـيرَ أَحْرَدَا(٤)
وفيهـا إذا ما هَجَّرت عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظهيرة أَصْيدَا(٥)
وآليتُ لا آوى لهـا مِنْ كلالةٍ ... ولا من حَفًى حتى تُلاقى محمدَا
متى ما تُنَاخِى عند باب ابن هاشم ... تُرَاحِى وتَلْقَىْ مِنْ فواضله ندَى
نبىٌّ يرى مالا تَرَوْن وذِكْرُه ... أغارَ لَعَمْرى فى البلاد وأَنْجَدَا(٦)
له صدقات ما تَغِبُّ ونائـلٌ ... فليس عطاءُ اليومِ مانِعَه غَـدَا
أَجِدَّكَ لم تَسْمع وَصَـاةَ محمدٍ ... نبىِّ الإله حيث أَوْصَى وأَشْهَدَا

(١) وتروى : صحبة . (٢) العيس المراقيل : الإبل المسرعة . والنجير وصرخد : بلدان .
(٣) ط : النجاء . وهو تحريف .
(٤) خنفت الناقة بيديها فى السير إذا مالت بهما نشاطا .
(٥) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها ، والأصيد : المائل العنق ، والمقصود حين تكون الشمس فى وسط السماء وذلك أحر ماتكون الرمضاء ، يصف ناقته بالنشاط وقوة المشى فى ذلك الوقت .
(٦) رواية ابن دريد فى الاشتقاق ١ /١٨ :

نبىٌّ يرى مالا ترَوْن وذكره ... لعمرىَ غارَ فى البلاد وأَنْجَدَا

قال : « ومن روى : « أغار لعمرى » فقد لحن وأخطأ » .

إذا أنت لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ... ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدَا
نَدِمْتَ على أن لا تكون كمثله ... فتُرْصِد للأمر الذى كان أرْصَدَا
فإياكَ والميتات لا تقربنَّهـا ... ولا تَأْخُذَنْ سهماً حديدا لتُفصدا
وذا النُّصُبِ المنصوب لا تنْسُكَنَّه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبُدَا
ولا تقربنَ حُرَّةً[1] كان سرُّها ... عليك حراماً فانكحَنْ أو تأبَّدا[2]
وذا الرَّحِمِ القُرْبى فلا تَقْطَعنَّه ... لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيَّدَا
وسبِّحْ على حين العشيَّةِ[3] والضُّحَى ... ولا تَحْمَد الشيطانَ والله فاحمدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائس ذى ضرارةٍ ... ولا تحسَبنَّ المال للمرء مُخْلدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة أو قريب منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِم .

فقال له : يا أبا بَصِير : إنه يحرِّم الزنا . فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أَرَب .

فقال : يا أبا بصير : إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروَّى منها عامِى هذا ، ثم آتيه فأسلم .

فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعُدْ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله !

فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النَّضير كما سيأتى بيانه .

---

(١) وتروى : جارة .
(٢) تأبد : ترهب ، لأن الراهب أبدا أعزب ، فقيل له متأبد ، اشتق من لفظ الأبد .
(٣) ابن هشام : العشيات .

فالظاهر أن عَزْم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفى شعره مايدل على ذلك ، وهو قوله :

ألا أيُّهذا السائلى أين يَمَّمَتْ   فإن لها فى أهلِ يَثْرب مَوْعِدَا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخِّر ذِكرَ هذه القصة إلى مابعد الهجرة ولا يوردها هاهنا . والله أعلم .

قال السُّهيلى : وهذه غفلة من ابن هشام ومَن تابعَه ، فإن الناس مُجْمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا فى المدينة بعد أحد .

وقد قال : وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام فى دار عتبة ابن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطُّفَيل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقوله : ثم آته فأسلم لا يُخْرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الإراشى وكيف استعدَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى جهل فى ثمن الجمل الذى ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنة فى الساعة الراهنة .

وقد قدمنا ذلك فى ابتداء الوحى ، وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة رُكَانة

وكيف أراه الشجرة التى دعاها فأقبلت صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسَار قال : كان رُكَانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش .

فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شِعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكانة ألا تتقى الله وتَقْبل ما أدعوك إليه .

قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك .

فقال له رسول الله : « أفرأيتَ إنْ صَرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » .قال: نعم . قال: « فقم حتى أصارعك » .

قال : فقام رُكانة إليه فصارعه ، فلما بطَش به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَضْجعه لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال: عُدْ يامحمد . فعاد فصرعه . فقال : يامحمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعُنى ؟!

قال: « وأعجب من ذلك إن شئت أُريكه ، إن اتقيت الله واتبعتَ أمرى » .

قال : وما هو ؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى » . قال: فادْعُها .

فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : ارجعى إلى مكانك ! فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكَانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله مارأيت أسحرَ منه قط ! ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان .

وقد روى أبو داود والترِّمذى من حـديث أبى الحسن العَسْقلانى ، عن أبى جعفر بن محمـد بن ركانة ، عن أبيه ، أن ركانة صارع النبى صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبى صلى الله عليه وسـلم . ثم قال الترمـذى : غريب . ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبى صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كلُّ مرة على مائة من الغنم ، فلما كان فى الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أحدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغضَ إلىّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وردَّ عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت ، فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة . إن شاء الله وبه الثقة .

وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبى صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى . ولله الحمد والمنة .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد فجلس (١) إليه المستضعفون من أصحابه ، خَبَّاب ، وعمار ، وأبو فُـكيهة يسار (٢) مولى صفوان بن أمية ، وصُهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض :

---

(١) الأصل : يجلس وهو تحريف لايستقيم به المعنى ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) الاصل : وأبو فـكيهة ويسار . وهو خطأ . وما أثبته من ابن هشام .

هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصَّهم الله به دوننا .

فأنزل الله عز وجل فيهم : « ولا تَطْرُدِ الذين يَدْعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجْهه ، ما عليك مِنْ حسابهم مِنْ شيء ، وما من حِسابك عليهم من شيء ، فتطْرُدَهم فتكونَ من الظالمين ، وكذلك فتنَّا بعضَهم ببعضٍ ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم مِن بَيْننا . أليس الله بأعلَم بالشاكرين . وإذا جاءكَ الذين يُؤمنون بآياتنا فقُلْ سلامٌ عليكم كتَبَ ربُّكم على نفسه الرحمة أنه مَنْ عَمِلُ منكم سُوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصْلح فأنه غفورٌ رحيمٌ[1] » .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجلس عند المَرْوة إلى مَبْيَعَة[2] غلام نصرانى يقال له جبر ، عبد لبنى الحضرمى ، وكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جَبْر .

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم « إنما يعلِّمه بَشَرٌ . لسانُ الذى يُلْحِدون إليه أعجمىٌّ وهذا لسان عربى مبين[3] » .

ثم ذكر نزول سورة الكوثر فى العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أبتر . أى لا عقب له . فإذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : « إنَّ شانِئك هو الأبْتَرُ » أى المقطوع الذكر بعده ، ولو خلَّف ألوفا من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . وقد تكلمنا على هذه السورة فى التفسير . ولله الحمد .

---

(١) سورة الأنعام ٥٢ ـ ٥٤ . (٢) الأصل بيعة وما أثبته عن ابن هشام . والمبيعة : مفعلة مثل المعيشة .
(٣) سورة النحل ١٠٣ .

وقد روى عن أبى جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النَّجِيبة .

ثم ذكر نزول قوله : « وقالوا لولا أُنزِل عليه مَلَكٌ ، ولو أَنْزلنا مَلَكاً لقُضِى الأمرُ [١] » وذلك بسبب قول أُبَىّ بن خَلَف وزَمْعَة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث : لولا أنزل عليك ملَك يكلم الناس عنك .

قال ابن إسحاق : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خَلَف وأبى جهل ابن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم « ولقد استُهْزِئَ برُسُلٍ مِنْ قَبلك فحاق بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يَسْتهزءون »[١] .

قلت : وقال الله تعالى « ولقد كُذِّبت رُسُلٌ مِنْ قَبْلك فصَبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نَصْرُنا ولا مبدِّل لكلماتِ الله ولقد جاءك مِنْ نَبأ المُرْسَلِين[١] »وقال تعالى « إنَّا كفَيْناك المستهزئين[٢] » .

قال سفيان : عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : المستهزءون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يَغُوث الزُّهرى ، والأسود بن المطَّلب أبو زَمْعة ، والحارث بن عيطل [٣] ، والعاص بن وائل السَّهمى .

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراه الوليدَ فأشار جبريل إلى أنمله وقال : كُفِيته .

ثم أراه الأسودَ بن المطلب ، فأومأ إلى عنقه وقال : كُفيته .

ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال : كُفِيته .

---

(١) سورة الأنعام (٢) سورة الحجر ٩٥ . (٣) سيأتى أنه ابن الطلاطلة . كما فى ابن هشام والروض .

ثم أراه الحارث بن عَيْطل فأومأ إلى بِطنه وقال : كُفيته .

ومرَّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أَخمصه وقال : كفيته .

فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يَرِيش نَبْلاً له فأصاب أَنمله فقطعها .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعمِىَ . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سَمُرة فجعل يقول : يابنىَّ ألا تدفعون عنى ! قد قُتلت . فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً . وجعل يقول : يا بنى ألا تمنعون عنى قد هلكت ، ها هو ذا الطعن بالشوك فى عينى . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل فى رأسه شِبْرقة حتى امتلأت منها فمات منها .

وقال غيره فى هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ، يعنى شوكة ، فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته .

رواه البيهقى بنحو من هذا السياق .

* * *

وقال ابن إسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رَوْمان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم أعم بصرَه وأثكله ولدَه » .

والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث ابن الطلاطلة .

وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم « فاصْدَعْ بما تُؤمر وأعرِضْ عن المشركين ، إنا كَفَيْناكَ المستهزئين الذين يَجْعلون مع الله إلهًا آخرَ فسوفَ يعلمون » .

وذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى .

ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حَبَناً .

ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، من مروره برجل يَرِيش نَبْلا له من خزاعة ، فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات .

ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربَض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته .

ومر به الحارث بن الطلاطل فأشار إلى رأسه فامتحض قيحا فقتله .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أى بَنِيَّ ، أوصيكم بثلاث : دَمِى فى خُزاعة فلا تَطُلُّوه [1] ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُراء ولكنى أخشى أن تُسبُّوا به بعدَ اليوم ، ورِبَاى فى ثَقِيف فلا تدَعُوه حتى تأخذوه ، وعُقْرى [2] عند أبى أُزَيْهر الدَّوسى فلا يفوتَنَّكم به . وكان

(١) لاتطلوه : لاتهدروه . وفى ابن هشام : فلا تطلنه .

(٢) العقر بالضم فى الأصل : دية فرج المرأة إذا غصبت على نفسها ، ثم كثر ذلك حتى استعمل فى المهر .

أبو أُزيهر قد زوّج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يُدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عُقْرَها منه، وهو صداقها .

فلما مات الوليد وثبَتْ بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد، وقالوا إنما قتله سهمُ صاحبكم، فأبَتْ عليهم خزاعةُ ذلك، حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الأمر. ثم أعطتهم خزاعة بعضَ العَقْل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق : ثم عدَا هشامُ بن الوليد على أبى أُزَيهر وهو بسوق ذى المَجاز فقتله، وكان شريفا فى قومه، وكانت ابنته تحت أبى سفيان، وذلك بعد بدر، فعمد يزيد بن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائبا، فلما جاء أبو سفيان غاظه ماصنع ابنه يزيد، فلامه على ذلك وضربه وودَى أبا أُزيهر وقال لابنه : أعمدتَ إلى أن تَقْتل قريشٌ بعضُها بعضا فى رجل من دَوس ؟ !

وكتب حسانُ بن ثابت قصيدة له يحضُّ أبا سفيانَ فى دم أبى أُزيهر، فقال : بئس ماظنَّ حسانُ أن يَقْتل بعضنا بعضا وقد ذهب أشرافنا يوم بدر .

ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائفَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله فى رِبَا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك « يا أيُّها الذين آمَنُوا اتقوا الله وذَرُوا ما بَقِيَ مِن الرِّبا إنْ كنتم مؤمنين [(١)] » وما بعدها .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نَعْلمه حتى حجز الإسلامُ بين الناس، إلا أن ضِرَار بن الخطَّاب بن مِرْداس الأَسْلَمى [(٢)] خرج فى نفر من قريش إلى أرض

---

(١) سورة البقرة ٢٧٨ . (٢) فى ابن هشام : الدوسى . وهو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب، كان فارس قريش فى الجاهلية وأدرك الإسلام، وكان شاعرا فارسا، وهو من رجال بنى فهر أخذ مرباعهم فى الجاهلية . الاشتقاق ١ / ١٠٣

دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فأرادت دوسٌ قتلهم بأبى أزيهر ، فقامت دونه أم غَيْلان ونسوة كُنَّ معها حتى منعتهم .

قال السُّهيلى : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب ، أتته أم غيلان وهى ترى أن ضِرَاراً أخوه ، فقال لها عمر : لستُ بأخيه إلا فى الإسلام ، وقد عرفتُ مِنَّتَك عليه . فأعطاها على أنها بنتُ سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لَحِقَ عمرَ بن الخطاب يوم أُحد ، فجعل يضربه بعَرْض الرمح ويقول : انْجُ يا بن الخطاب لا أقتلْك . فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام . رضى الله عنهما .

فصل

وذكر البيهقى هاهنا دعاء النبى صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصَتْ عليه بسَبْعٍ مثل سَبْع يوسف .

وأورد ما أخرجاه فى الصحيحين [١] من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمسٌ مضَيْنَ : اللِّزامُ ، والروم ، والدُّخَان ، والبَطْشة ، والقمر .

وفى رواية عن ابن مسعود قال : إن قريشا ، لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام ، قال : « اللهم أعنِّى عليهم بسبعٍ كسبع يوسف » .

---

(١) أورد البخارى هذه الروايات فى تفسير سورة الفرقان والدخان فى صحيحه ٢ /٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ . وهى مختلفة عما هنا

قال : فأصابتهم سَنَة حتى حَصَّتْ[1] كلَّ شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة ، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية « إنا كاشِفُو العذابِ قليلاً إنكم عائدون » قال فعادوا فكفروا فأخِّروا إلى يوم القيامة ، أو قال فأخروا إلى يوم بدر ، قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم « يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنا مُنْتقمون » قال : يوم بدر .

وفى رواية عنه : قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدباراً قال : « اللهم سَبْع كسبع يوسف » فأخذتهم سَنَة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يامحمد إنك تزعم أنك بُعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سَبْعاً فشكا الناس كثْرَة المطر ، فقال : « اللهم حوالَيْنا ولا علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسُقى الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذى أصابهم ، وذلك قوله « إنا كاشفوا العذابِ قليلاً إنكم عائدون » وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

قال البيهقى : يريد ، والله أعلم ، البطشة الكبرى والدخان وآية اللِّزَام كلُّها حصلت ببدر .

---

(١) الأصل : فحصت . وهو تحريف والتصويب من البخارى ٢/٢٦٢ ولفظ البخارى : فأصابتهم سنة حصت كل شىء . وحصت : أهلكت . والحص : حلق الشعر .

قال : وقد أشار البخارى إلى هـذه الرواية ، ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى : « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرَّعون » قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقى : وقد روى فى قصة أبى سفيان مادل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين . والله أعلم .

فصـــل

ثم أورد البيهقى قصة فارس والروم ونزولَ قوله تعالى « الٓمٓ. غُلبتِ الرومُ فى أدنى الأرض، وهم من بعد غَلبهم سيَغلبون. فى بِضع سنين، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد، ويومئذ يَفرح المؤمنونَ بنصرِ الله ينصرُ مَن يشاء وهوَ العزيزُ الرحيمُ » . ثم روى من طريق سفيان الثورى ، عن حبيب بن أبى عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر ، فذكره أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليـه وسلم فقال : « ألا جعلتهُ أداة » . قال : دون العشر . فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هـذا الحديث فى التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أى المراهن ـ لأبى بكر أمية بن خلف ، وأن الرهن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد

فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ، أو كان يوم الحديبية ، فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا أُسيد الكلابى ،أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبةَ فارسٍ الرومَ ، ثم رأيت غلبة الروم فارسَ ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارسَ والروم، وظهورهم على الشام والعراق .

كلٌّ ذلك فى خمس عشرة سنة !

فصـــل

في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، ثم عروجه من هناك إلى السموات، وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين.

وروى البيهقي من طريق موسى بن عُقْبة، عن الزهري أنه قال: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة.

قال: وكذلك ذكره ابن لهَيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوة.

ثم روى الحاكم، عن الأصمّ، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بنُ بكَيْر، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل السُّديّ. أنه قال: فُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمسُ ببيت المقدس ليلة أُسْرى به، قبل مُهاجَره بستة عشر شهراً.

فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزُّهري وعروة يكون في ربيع الأول.

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبة: حدثنا عثمان، عن سعيد بن ميناء، عن جابر وابن عباس، قالا: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بُعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

فيه انقطاع. وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المَقْدسي في سيرته، وقد أورد حديثاً لا يصح سنده، ذكرناه في فضائل شهر رجب، أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم.

ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك . والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبى ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركاكة ، وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : « سبحان الذى أسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارَكْنا حولَه لنُرِيه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

فلتُكتب من هناك على ماهى عليه من الأسانيد والعَزْو ، والكلام عليها ومعها . ففيها مَقْنع وكفاية . ولله الحمد والمنة .

* * *

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله : فإنه قال بعد ذِكر ماتقدم من الفصول .

« ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلامُ بمكةَ فى قريش وفى القبائل كلها . »

قال : وكان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْراه صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود ، وأبى سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم ، والحسن بن أبى الحسن، وابن شهاب الزُّهرى ، وقتَادة وغيرهم من أهل العلم ، مااجتمع فى هذا الحديث، كلٌّ يُحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره .

وكان فى مَسْراه صلى الله عليه وسلم وماذكر لى منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله

وقدرته[١] وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدَّق وكان من أمر الله على يقين .

فأسْرَى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد .

وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالبُراق ، وهى الدابة التى كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها فى موضع منتهى طرفها ، فحمل عليها .

ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض .

حتى انتهى إلى بيت المقدس،فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم .

ثم أُتى بثلاثة آنية من لبن وخمر وماء . فذكر أنه شرب إناء اللبن ، فقال لى جبريل : هُديت وهديت أمتك .

* * *

وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مُرْسلاً أن جبريل أيقظه ، ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام ، فأركبه ، البُرَاق ، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار ، وفى فخذيه جناحان يَحْفز بهما رجليه ، يضع حافره فى منتهى طرفه ، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث ، وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوب البراق شَمَس به ، فوضع جبريل يده على مَعْرَفته ثم قال

(١) ابن هشام : فى قدرته

ألا تستحى يابراق مما تصنع ! فوالله ماركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرمَ عليه منه . قال : فاستحى حتى ارفَضَّ عرقا ، ثم قَرَّ حتى ركبتُه .

قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم .

ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر ، وقولَ جبريل له : هدُيت وهديت أمتك ، وحرِّمت عليكم الخمر .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فأصبح يخبر قريشاً بذلك .

فذكر أنه كذَّب به أكثرُ الناس ، وارتدَّت طائفة بعد إسلامها .

وبادر الصدِّيقُ إلى التصديق وقال : إنى لأصدِّقه فى خبر السماء بُكْرة وعيشة ، أفلا أصدقه فى بيت المقدس !

وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس ، فذكرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فيومئذ سمِّى أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله فى ذلك « وما جعَلْنا الرؤيَا التى أريناكَ إلا فتنةً للناس » الآية .

* * *

وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ ، أنها قالت : ما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من بيتى ، نام عندى تلك الليلة بعد ماصلى العشاء الآخرة ، فلما

كان قُبيل الفجر أهبَّنا (١) فلما كان الصبح وصلينا معه ، قال : « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة فى هذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » .

ثم قام ليخرج، فأخذتُ بطرف ردائه فقلت : يانبىّ الله لا تحدِّث بهذا الحديث الناسَ فيكذبونك ويؤذونك .

قال : « والله لأحدّثنّهموه » . فأخبرهم فكذبوه .

فقال : وآية ذلك أنى مررتُ بِعِير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنْفَرَهم حسُّ الدابة ، فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجَنان (٢) مررت بعير بنى فلان ، فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تُصوِّب الآن من ثَنِيَّة التَّنْعيم البيضاء ، يقْدُمها جمل أَوْرَقُ عليه غِرارتان إحداهما سوداء والأخرى بَرْقاء . قال : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أولَ من الجمل الذى وَصف لهم وسألوهم عن الإناء وعن البعير ، فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بُكَير ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّى ، أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يَقْدم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قَدِموا كما وصف لهم .

قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحد إلا عليه ذلك اليومَ وعلى يوشع بن نون .

رواه البيهقى .

* * *

(١) أهبنا : أيقظنا . (٢) ضجنان : جبل بناحية تهامة . وفى الأصل : صحنان محرفة .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لمَّا فرغتُ مما كان فى بيت المقدس أُتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسنَ منه ، وهو الذى يَمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حُضر .

فأصعدنى فيه صاحبى حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه بريد[1] من الملائكة يقال له إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك .

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا حدّث بهذا الحديث : « وما يَعْلَمَ جنودَ ربِّك إلا هو » .

ثم ذكر بقيةَ الحديث وهو مطوّل جداً ، وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله فى التفسير وتكلمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفى إسناده ضعف .

وكذا فى سياق حديث أم هانئ ، فإن الثابت فى الصحيحين من رواية شُريك بن أبى نمر ، عن أنس ، أن الإسراء كان من المسجد من عند الحِجر .

وفى سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك . ومنها قوله : «وذلك قبل أن يوحى إليه » والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شىء ، ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل فى ذلك: «وذلك قبل أن يوحى إليه » بل جاءه بعد ما أوحى إليه .

فكان الإسراء قطعا بعد الإيحاء ، إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر .

وغسْل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلا ثانيا ، أو ثالثا على قول ، أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلهية .

---

(١) ابن هشام : ملك من الملائكة .

ثم ركب البراقَ رفعة له وتعظيما وتكريما ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التى كانت تَربط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس فصلى فى قبلته تحية المسجد .

وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخولَه إلى بيت المقدس ورَبْطه الدابة وصلاته فيه .

وهذا غريب ، والنص المُثْبِت مقدَّم على النافى .

ثم اختلفوا فى اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم : أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم ، أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسَبُ . كما سنذكره على قولين . فالله أعلم .

وقيل : إن صلاته بالأنبياء كانت فى السماء .

وهكذا تخيرُّه من الآنية اللبن والخمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم ؟ أوفى السماء كما ثبت فى الحديث الصحيح .

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة .

فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج ، حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماءً تلقَّته منها مقرَّبوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكر أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم فى سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانية وإدريس فى الرابعة ، وموسى فى السادسة(١) على الصحيح ، وإبراهيم فى السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافا ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة .

---

(١) لم يذكر المؤلف من رأى فى الثالثة والخامسة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم ، حتى ظهر لمستوًى يُسْمع فيه صريفُ الأقلام ، ورُفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرةُ المنتهَى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونَبْقها كقِلال هجر ، وغَشِيها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرةً ، وفَراشٌ من ذهب ، وغَشِيها من نور الرب جل جلاله .

* * *

ورأى هناك جبريلَ عليه السلام ، له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين السماء والأرض ، وهو الذى يقول الله تعالى : « ولقد رآه نَزْلةً أُخرى . عندَ سِدْرة المُنْتهى عندها جنةُ المأْوى . إذ يَغْشَى السِّدْرةَ ما يَغْشَى . مازاغ البَصَرُ وما طَغَى » أى مازاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حُدَّ له النظر إليه .

وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم .

وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين .

والأُولى هى قوله تعالى : « علَّمه شديدُ القُوَى ذو مِرَّةٍ فاستوَى . وهو بالأُفق الأعلَى . ثم دنا فتدلَّى . فكان قابَ قَوْسين أو أدْنَى . فأوحَى إلى عبده ماأوحى » وكان ذلك بالأبطح ، تدلَّى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادًّا عِظَمُ خَلْقه مابين السماء والأرض ، حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى .

هذا هو الصحيح فى التفسير ، كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء : « ثم دنا الجبَّارُ ربُّ العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » فقد يكون مِنْ فَهْم الراوى فأقحمه فى الحديث[1] والله أعلم .

---

(١) قال السهيلى : « وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره ، لاستحالة ظاهره أو للغفلة عن موضعه . ولا استحالة فيه » انظر رأيه فى الروض ١ / ٢٤٩

وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة ، بل هو شيء آخر غير مادلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات ليلتئذ، خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب، جل جلاله وله الحمد والمنة، إلى خمس، وقال : « هى خمسٌ وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها » .

فحصَل له التكليمُ من الرب عز وجل ليلتئذ . وأئمةُ السنة كالمُطْبقين على هذا .

واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم : رآه بفؤاده مرتين . قاله ابن عباس وطائفة .

وأطلق ابنُ عباس وغيره الرؤيةَ ، وهو محمول على التقييد .

وممن أَطْلَق الرؤيةَ أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما .

وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين .

واختاره ابن جَرير ، وبالغَ فيه ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين .

وممن نص على الرؤية بعينَىْ رأسه الشيخُ أبو الحسن الأشعرى فيما نقله السُّهيلى عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك ، لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم : قلت : يارسول الله هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقى بالعين الفانية .

ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الإلٰهية : ياموسى إنه لا يرانى حىٌّ إلا مات ، ولا يابس إلا تَدَهْدَه .

والخلاف فى هذه المسئلة مشهور بين السَّلَف والخلَف . والله أعلم .

ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس . والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الإلٰهية العظيمة ، كما هى عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذى طُلبوا إليه .

ولهذا كان كلما مرَّ على واحد منهم يقول له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه : هذا فلان فسلِّم عليه .

فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية .

ومما يدل على ذلك أنه قال : « فلما حانت الصلاة : أممتُهم » ولم يحِنْ وقتٌ إذ ذاك إلا صلاةُ الفجر ، فتقدَّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل ، فيما يرويه عن ربه عز وجل .

فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدَّم فى الإمامة على ربِّ المنزل ، حيث كان بيت المقدس مَحلَّتهم ودارَ إقامتهم .

ثم خرج منه فركب البُراق وعاد إلى مكةَ ، فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .

***

وقد عايَن فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها أو بعضَها غيرُه لأصبح مندهشا أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجما ، أى ساكنا ، يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطَّف بإخبارهم أولا بأنه جاء بيتَ المقدس فى تلك الليلة .

وذلك أن أبا جهل لعنه الله ، رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام وهو جالس واجمٌ . فقال له : هل من خَبَر ؟ فقال : نعم . فقال : وما هو ؟

فقال : إنى أُسْرِى بى الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ قومَك لك لتخبرهم ، أتخبرهم بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم .

فأراد أبو جهل جَمْعَ قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلِّغهم .

فقال أبو جهل : هيَّا معشرَ قريش ، وقد اجتمعوا من أنديتهم . فقال : أخبرْ قومَك بما أخبرتنى به .

. فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلَّى فيه .

فمِنْ بَيْن مصفِّق وبين مصفِّر تكذيبا له واستبعاداً لخبره ، وطار الخبر بمكة .

وجاء الناس إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فأخبروه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا .

فقال : إنكم تكذبون عليه . فقالوا : والله إنه ليقوله .

فقال : إن كان قاله فلقد صدَق .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله مشركو قريش ، فسأله عن ذلك ، فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ، ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفى الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

قال : فجعلت أُخبرهم عن آياته ، فالتبس علىَّ بعضَ الشىء ، فجلَّى الله لى بيت المقدس ، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأَنعَته لهم . فقال : أمَّا الصفةَ فقد أصاب .

وذكر ابن إسحاق ما تقــدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ماءهم .

فأقام الله عليهم الحجّة واستنارت لهم المَحجّة ، فآمن مَن آمن على يقين مِن ربّه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

كما قال الله تعالى « وما جعَلنا الرُّؤيا التى أَرَيْناك إلا فتنةً للناس » أى اختباراً لهم وامتحانا .

قال ابن عباس : هى رؤيا عينٍ أُريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مذهبُ جمهور السلف والخلف ، من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه ، كما دل على ذلك ظاهرُ السياقات من ركوبه وصعوده فى المعراج وغير ذلك . ولهذا قال : « سُبْحان الذى أَسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصَى الذى بارَكْنا حولَه لنُريَه » والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة ، فدلَّ على أنه بالروح والجسد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما .

وأيضا فلو كان مناما لما بادر كفارُ قريش إلى التــكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس فى ذلك كبيرُ أمر ، فدلَّ على أنه أخبرهم بأنه أُسرى به يقظةً لا مناما .

وقوله فى حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحِجْر » معدود فى غلطات شُريك ، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقَظة .

كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فــكذبوه ، قال : « فرجعت مهموما فلم أستفقْ إلا بقَرن الثعالب » .

وفى حديث أبى أُسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنِّــكه فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحديث مع الناس ، فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد الصبى ، فسأل عنه فقالوا رُفع فسماه الُمنْذرَ .

وهذا الحَمْلُ أحسنُ من التغليط . والله أعلم .

* * *

وقد حكى ابن إسحاق فقال : حدثنى بعض آل أبى بكر ، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فُقد جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه .

قال : وحدثنى يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن إسحاق : فلم يُنْكَر ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك « وما جَعلنا الرُّؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناس » وكما قال إبراهيم عليه السلام « يابنى إنى أَرَى فى المنام أنِّى أذبحك » وفى الحديث : « تنام عيناى [1] وقلبي يقظان » .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أىّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى ، على أى حالة كان نائما أو يقظانَ [2] ، كل ذلك حقٌّ وصدق .

* * *

قلت : وقد توقف ابنُ إسحاق فى ذلك وجوّز كلاًّ من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذى لا يُشك فيه ولا يُتمارى أنه كان يقظان لا محالة ، لما تقدم .

وليس مقتضَى كلام عائشة رضى الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فُقد وإنما كان الإسراء بروحه ، أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق ، بل قد يكون وقع

(١) الأصل : عيني : وما أثبته من ابن هشام . (٢) ط : يقظانا . وهو خطأ

الإسراءَ بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ماعاين حقيقة ويقظة لا مناما .

لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك ، لاما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم.

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوعَ منام قبل الإسراء طبقَ ماوقع بعد ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلقَ الصبح ، وقد تقدم مثلُ ذلك فى حديث بدء الوحى ، أنه رأى مثلَ ماوقع له يقظةً مناما قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبت والإيناس . والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء فى أن الإسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كل فى ليلة على حِدة ؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء فى اليقظة ، والمعراج فى المنام .

وقد حكى المهلَّب بن أبى صُفرة[1] فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء [وقع] مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظةً .

وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه .

قال السهيلى : وهذا القول يجمع الأحاديث ، فإن فى حديث شريك عن أنس : وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال فى آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر » وهذا منام . ودل غيره على اليقظة .

ومنهم من يدعى تعدد الإسراء فى اليقظة أيضاً ، حتى قال بعضهم : إنها أربع إسراءات . وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة .

وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع

---

(١) الذى فى السهيلى : « ورأيت المهلب فى شرح البخارى » وليس هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى أمير خراسان

فى روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد، فجعل ثلاث إسراءات ، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حَمله على القول بهذه الثلاث اختلافُ الروايات ، فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات .

ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصًى فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى « سُبْحان الذى أسرَى بعبده ليلا » .

وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات ، فلا يَلْزم مِن الحصْر العقلىّ الوقوعُ كذلك فى الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

* * *

والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبى طالب ، فوافق ابن إسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر ، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب .

وابنُ إسحاق أخَّر ذكرَ موت أبى طالب على الإسراء . فالله أعلم أى ذلك كان .

والمقصود أن البخارى فرّق بين الإسراء وبين المعراج ، فبوّب لكل واحد منهما بابا على حدة .

فقال : « باب حديث الإسراء » وقول الله سبحانه وتعالى « سُبحان الذى أَسْرى بعبده ليلاً » حدثنا يحيى بنُ بُكير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، حدثنى

أبو سَلمة بن عبد الرحمن ، قال : سمعت جابرَ بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما كذَّبتني قريش كنت[١] في الحجر ، فجلَّى الله لى بيتَ المَقْدس ، فطفقت أحدثهم[٢] عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى، عن أبى سلمة، عن جابر به .

ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .

***

ثم قال البخارى : باب حديث المعراج : حدثنا هُدْبة بن خالد ، حدثنا همَّام ، حدثنا قَتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعْصَعة أن النبى صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسرى به قال : « بينما أنا فى الحَطِيم ، وربما قال فى الحِجْر ، مُضْطَجعا[٣] إذ أتانى آت ، فقدَّ ، قال[٤] : وسمعته يقول : فشقَّ ، ما بين هذه إلى هذه ، فقلت للجارود وهو إلى جنبى ، ما يعنى به ؟ قال : من نُقْرة[٥] نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته .

« فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حُشى ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » .

فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم .

« يضع خَطْوه عند أقصى طرفه . فَحُملت عليه، فانطلق بى جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل. قيل : ومن معك ؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

(١) البخارى : قمت. (٢) البخارى : أخبرهم . (٣) الأصل: مضجعا . وما أثبته من البخارى .
(٤) الأصل : فقال وسمعته . وما أثبته من صحيح البخارى ٢/١٨٧
(٥) البخارى : ثغرة . وهى بمعنى نقرة .

ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلِّم عليه . فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال: جبرائيل. قيل : من ومعك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ [قال : نعم .] قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يحيي وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيي وعيسى فسلِّم عليهما . فسلمت عليهما فردَّا ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به . فنعم المجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلِّم عليه . فسلَّمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال :. نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلِّم عليه . فسلمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه فردَّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلِّم عليه ، فسلَّمت عليه فردَّ ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

فلما تجاوزتُ بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثرُ ممَّن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رُفعت إلى سِدْرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأَخذت اللَّبن . قال : هى الفِطْرة التى أنت عليها وأمَّتك .

ثم فرض علىَّ الصلوات ، خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال : بمَ أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمسين

صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جرّبت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

فرجعت فوضع عنى عَشْرا . .

فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عَشْرا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله .

فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، و إنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : سألت ربى حتى استحييت ولـكن أرضى وأسلِّم .

قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيتُ فريضتى ، وخففَّتُ عن عبادى » .

* * *

هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة .

ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب . ومن حديث أنس عن أبىُ ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير .

ولم يقع فى هذا السياق ذِكْرُ بيت المقدس ، وكأن بعض الرواة يحذف بعضَ الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفعُ عندَه .

ومَنْ جَعل كلَّ رواية إسراءً على حِدَة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعدَ جدا .

وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفى كلٍّ منها يعرِّفه بهم ، وفى كلها يُفْرض عليه الصلوات ، فكيف يمكن أن يُدَّعى تعدُّدُ ذلك ؟ !

هذا فى غاية البعد والاستحالة ..والله أعلم .

ثم قال البخارى : حدثنا الُحميدىّ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وما جَعلنا الرُّؤيا التى أَرَيْناك إلا فتنةً للناس» . قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . « والشجرة الملعونة فى القرآن » قال : هى شجرة الزَّقوم .

فصـــل

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبيَّن له كيفية الصلاة وأوقاتها .

وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا ، وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمُّون بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقتدى بجبرائيل ، كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمَّنى جبرائيل عند البيت مرتين » .

فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهُما وما بَيْنهما الوقت الموسَّع ، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى وبُرَيدة وعبد الله بن عمرو ، وكلها فى صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك فى كتابنا « الأحكام » ولله الحمد .

فأما ماثبت فى صحيح البخارى عن مَعْمر ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : « فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرَّت صلاة السفر وزيدَ فى صلاة الحضر » .

وكذا رواه الأوزاعى ، عن الزُّهرى ، ورواه الشَّعبى عن مسروق عنها .

وهذا مُشْكل من جهة أن عائشة كانت تُتم الصلاةَ فى السَّفر ، وكذا عثمان بن عفان ، وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : « وإذا ضَرَبْتُم فى الأرض فليس عليكم جُنَاحٌ أنْ تَقْصُروا من الصلاة إنْ خِفْتم أنْ يَفْتنكم الذين كفروا » [(١)] .

قال البيهقى : وقد ذهب الحسنُ البصرى إلى أن صلاة الحضر أولَ مافُرضت أربعا ، كما ذكره مُرْسلا من صلاته عليه السلام صبيحةَ الإسراء : الظهرَ أربعاً ، والعصر أربعا ، والمغرب ثلاثا يَجْهر فى الأوليين ، والعشاء أربعا يَجْهر فى الأوليين ، والصبح ركعتين يجهر فيهما .

قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس فرضت حضَرا على ماهى عليه ، ورخِّص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديما ، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلِّيَّة . والله أعلم .

فصـــل

[فى] انشقاق القمر فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم

وجعل الله له آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق ، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة .

قال الله تعالى فى مُحْكم كتابه العزيز : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ ، وإنْ يرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِر ، وكذَّبوا واتبعوا أهواءَهم وكلُّ أمرٍ مُسْتقِر » [(٢)] .

---

(١) سورة النساء ١٠١ (٢) سورة القمر ١ ـ ٣

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديثُ المتواترة من طرق متعددة تفيد القطعَ عند من أحاط بها ونظر فيها .

ونحن نذكر من ذلك ماتيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد تقصَّينا ذلك فى كتابنا التفسير ، فذكرنا الطرقَ والألفاظ محرَّرة ، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف مِن طُرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته .

وذلك مرويٌّ عن أنس بن مالك ، وجُبير بن مُطْعِم ، وحُذيفة ، وعبدالله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزَّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتَادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهلُ مكة النبيَّ صلى الله عليه وسلم آيةً ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » .

ورواه مُسْلِم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به .

وهذا من مرسلاَت الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجمِّ الغفير من الصحابة ، أو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن الجميع .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى : وسعيد ابن أبى عروبة ، وزاد مسلم : وشُعبة ، ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آيةً فأراهم القمرَ شقتين حتى رأوا حراءَ بينهما . لفظ البخارى .

وأما جُبَير بن مطعم فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، [عن أبيه] . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فرقةً على هذا الجبل ،

وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحَرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرَنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

تفرد به أحمد .

وهكذا رواه ابن جَرير من حديث محمد بن فضيل وغيره، عن حصين به .

وقد رواه البيهقى من طريق إبراهيم بن طَهْمَان وهُشَيم كلاهما عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا فى الإسناد .

* * *

وأما حُذيفة بن اليَمَان فروى أبو نُعيم فى « الدلائل » [1] من طريق عن عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السُّلمى . قال : خطبنا حُذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفِراق ، ألا وإن اليوم المِضْمار وغدا السِّباق .

فلما كانت الجمعة الثانية انطلقتُ مع أبى إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سَبق إلى الجمعة .

فلما كنا فى الطريق قلت لأبى : مايعنى بقوله ـ « غداً السِّباق » قال : من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخارى : حدثنا يحيي بن بُكَيْر [2] ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : إن القمر انشقَّ فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ليس فى دلائل النبوة المطبوع . وفيها روايات أخرى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ٢٣٣ ـ ٢٣٦ . (٢) الأصل : ابن كثير . وهو تحريف وما أثبته عن صحيح البخارى ٢/٢٦٩ باب التفسير .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر ، وهو ابن نصر ، عن جعفر قوله : « اقتربت الساعة وانشقَّ القمرُ ، وإن يَروا آيةً يُعْرِضوا ويقولوا سحرٌ مُستمر » . قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمرُ حتى رأوا شِقَّيه .

وهكذا رواه العَوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته .

وقال الحافظ أبو نُعَيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا بكر بن سُهيل ، حدثنا عبد الغنى بن سعيد ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء عن ابن عباس . وعن مقاتل ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس فى قوله : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود ابن عبد يَغُوث ، والأسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العُزَّى] [1] ، وزَمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم [كثير] [1] .

فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقا فشُقَّ لنا القمرَ فرقتين نصفاً على أبى قُبَيس ونصفاً على قُعَيْقعان . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتُ تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم . وكانت ليلة بدر ، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ماسألوا ، فأمسى القمرُ قد سلب [2] نصفا على أبى قُبيس ونصفاً على قُعيقعان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا .

ثم قال أبو نُعيم : وحدثنا [3] سليمان بن أحمد ، حدثنا الحسن بن العباس الرازى ، عن الهيثم بن النُعمان ، حدثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آيةٍ نعرف بها أنك رسول الله .

(١) من دلائل النبوة ٢٣٤ . (٢) دلائل النبوة : قد مثل نصفا (٣) ليس فى دلائل النبوة المطبوع .

فهبط جبرائيل فقال : يامحمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هـذه الليلة فسَيَرَوا آيةً إن انتفعوا بها .

فأخبرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبرائيل ، فخرجوا ليلة الشّق ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين،نصفاً على الصفا و نصفا على المروة فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا ، فقالوا : يامحمد ماهذا إلا سحرُ راهب .

فأنزل الله : « اقتربت الساعةُ وانشقّ القمرُ » .

ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها .

فسأل ربَّه ، فأراهم القمرَ قد انشق بجزئين ؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر مابين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب . فقالوا : هذا سحر مفترى .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الرزّاز ، حدثنا محمد بن يحيى القِطَعى ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : كُسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سُحر القمر فنزلت : « اقتربت الساعةُ وانشق القمر ، وإن يروا آيةً يُعْرِضوا ويقولوا سحر مستمر » .

وهذا إسناد جيد،وفيه أنه كسف تلك الليلة ، فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه، ولهذا خفى أمره على كثير من أهل الأرض ، ومع هذا قد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الأرض، ويقال : إنه أرِّخ ذلك فى بعض بلاد الهند ، وبُنى بناء تلك الليلة وأرِّخ بليلة انشقاق القمر .

وأما ابن عمر ، فقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد ابن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري ، حدثنا وهب بن جرير ، عن شُعبة ، عن الأعمش، عن مجاهد به .

قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبي مَعْمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبي مَعمر ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ، وهو ابن عُيَينة ، به . ومن حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن سَمرة ، عن ابن مسعود قال : انشق القمرُ ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اشهدوا» وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخاري[1] .

ثم قال البخاري : وقال أبو الضحَّاك ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة ، وتابعه محمد بن مسلم ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله رضي الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطَّيالسيّ حديث أبي الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشقّ القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحرُ ابن أبي كَبْشة .

فقالوا : انظروا مايأتيكم به السُّفّار ، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

---

(١) ليس بلفظ البخاري .

قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا العباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشيم ، حدثنا مغيرة ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين .

فقال كفارُ قريش لأهل مكة : هذا سحرٌ سحرَكم به ابنُ أبى كبشة ، انظروا السُّفّار . فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدَق ، وإن كانوا لم يروا مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ سحرَكم به .

قال : فسئل السُّمار قال ، وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا .

وهكذا رواه أبو نُعيم من حديث جابر ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمّل ، حدثنا إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت الجبلَ بين فُرْجتى القمر .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سِمَاك به .

وقال الحافظ أبو نُعيم : حدثنا أبو بكر الطَّلْحى ، حدثنا أبو حُصين محمد بن الحسين الوادِعىّ ، حدثنا يحي الِحمَّانى ، حدثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن عَلقمة ، عن عبد الله . قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بمنًى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا ، اشهدوا » .

وقال أبو نُعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا جعفر بن محمد القَلاَنِسىّ ، حدثنا

آدم بن أبي إياس ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عُتبة ، عن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحدَ شِقَّيه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو بَكر بن أبي عاصم ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن عبدالله ، قال : انشقَّ القمر بمكة فرأيته فرقتين .

ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق ، حدثنا موسى بن عُمير ، عن منصور ابن المعتمِر ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيت القمرَ والله منشقًّا باثنتين بينهما حراء .

وروى أبو نُعيم من طريق السُّدِّى الصغير ، عن الكَلْبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : انشق القمر فلقتين ، فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت .

قال ابن مسعود : لقد رأيت جبلَ حِراء بين فَلْقتى القمر ، فذهب فلقة ، فتعجب أهل مكة من ذلك ، وقالوا : هذا سحر مصنوع سيذهب .

وقال ليث بن أبي سُلَيم ، عن مجاهد قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « فاشهد يا أبا بكر » .

وقال المشركون : سَحر القمر حتى انشق .

* * *

فهذه طُرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأمَّلها وعرف عدالةَ رجالها .

وما يذكره بعضُ القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل فى كُم النبى

صلى الله عليه وسلم وخرج من الكم الآخر ، فلا أصل له ، وهو كذب مفترًى ليس بصحيح .

والقمر حين انشق لم يُزايل السماء ، غير أنه حين أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم انشق عن إشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه . كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك .

وما وقع فى رواية أنس فى مسند أحمد : « فانشق القمر بمكة مرتين » فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين . والله أعلم .

فصـــــل

فى وفاة أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم مِن بعــده خــديجة بنت خُويلد زوجة رسول الله صـلى الله عليــه وسلم ورضى الله عنها .

وقيل : بل هى توفيت قبلَه . والمشهور الأول .

وهذان المُشْفِقان ؛ هذا فى الظاهر ، وهذه فى الباطن ، هذاك كافر ، وهــذه مؤمنة صدِّيقة رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلَــكا فى عام واحد .

فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهُلْك خديجة ، وكانت له وزيرَ صِدْق على الابتلاء يَسْــكُن إليها[1] ، وبهُلْك عمه أبى طالب ، وكان له عَضُداً وحِرْزاً فى أمره ، ومنَعة وناصرا على قومه .

وذلك قبل مُهَاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تــكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا .

فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن هشام : وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها .

يقول : « لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « مانالت منّى[1] قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طَرح الأذى فى بُرْمته صلى الله عليه وسلم إذا نُصبت له .

قال : فكان إذا فعلوا ذلك ، كما حدثنى عمر بن عبد الله عن عروة ، يَخرج بذلك الشىء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : «يابنى عبد مناف أىُّ جِوارٍ هذا ؟! » ثم يلقيه فى الطريق .

***

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشا ثِقَلُه ، قالت قريش بعضُها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منّا ، فإنا والله ما نأمن أن يَبْتزونا أمرَنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه ، وهم أشراف قومه عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم ، . فقالوا : ياأبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرَك ماترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعُه فخُذْ لنا منه وخُذْ له منّا ليَكُفَّ عنا ولنكف عنه ، وليدَعنا ودِيننا ولندَعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يابن أخى ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك .

---

(١) الأصلى : ما نالتنى . وما أثبته عن ابن هشام .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العربَ وتدينُ لكم بها العجمُ » .

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال : « تقولون لا إله إلا الله . وتخلعون ماتعبدون من دونه » .

فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب .

قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ماهذا الرجلُ بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يابن أخى مارأيتك سألتهم شَططا .

قال : فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجعل يقول له : « أى عم فأنت فقُلْها أستحلُّ لك بها الشفاعة يومَ القيامة » .

فلما رأى حرصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابن أخى والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزَعا من الموت لقلتُها ، لا أقولها إلا لأسرَّك بها .

قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه .

قال : فقال : يابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أسمع » .

قال: وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط « ص والقرآن ذى الذِّكْر بل الذين كفروا فى عِزَّة وشقاق » الآيات .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

* * *

وقد استدل بعض مَن ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس [فى] هذا الحديث : يابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرتَه أن يقولها . يعنى لا إله إلا الله .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن فى السند مُبْهَمًا لا يُعرف حاله وهو قوله : « عن بعض أهله » وهذا إبهام فى الاسم والحال ، ومثله يُتَوقف فيه لو انفرد .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبى أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبَير . فذكره ولم يذكر قول العباس .

ورواه الثورى أيضا ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة الكوفى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكره بغير زيادة قول العباس .

ورواه الترمذى وحسّنه ، والنسائى وابن جرير أيضا .

ولفظ الحديث من سياق البيهقى ، فيما رواه من طريق الثّورى ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، فجاءت قريش وجاء النبى صلى الله عليه وسلم [و] عند رأس أبى طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كى يمنعه ذلك ، وشكَوْه إلى أبى طالب ، فقال : يابن أخى ماتريد من قومك ؟

فقال : « ياعم إنما أريد منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العربُ ، وتؤدّى إليهم بها الجزيةَ العجمُ ، كلمةً واحدة » .

قال : : ماهى ؟

قال : « لا إله إلا الله » .

قال : فقالوا : أجعل الآلهةَ إلها واحداً ؟ إن هذا لشئ عُجَاب .

قال : ونزل فيهم: « ص والقرآن ذى الذِّكر » الآيات إلى قوله : « إلاّ اختلاق » .

* * *

ثم قد عارَضه ، أعنى سياقَ ابن إسحاق ، ماهو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا :

حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن ابن المسيَّب ، عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله » .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرنّ(1) لك مالم أُنه عنك » .

فنزلت : « ماكان للنبىّ والذين آمنُوا أن يَسْتغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ ماتبيّن لهم أنهم أصحابُ الجحيم(2) » ونزلت : « إنك لا تَهْدِى مَنْ أحببت »(3)

ورواه مسلم، عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله ، عن عبد الرزاق .

وأخرجاه أيضاً من حديث الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه بنحوه . وقال فيه : فلم يزَلْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعْرِضها عليه ، ويعُودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ماقال : على ملة عبد المطلب . وأبىَ أن يقول : لا إله إلا الله .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أمَا لأستغفرن لك مالم أُنهَ عنك » فأنزل الله

---

(1) الأصل: لأستغفر . وهو تحريف . (2) سورة التوبة ١١٣ (3) سورة القصص ٥٦ .

يعنى بعد ذلك : « ما كان للنبيِّ والذين آمَنوا أنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولى قربى » .

ونزل فى أبى طالب : « إنك لا تَهْدى من أحببتَ ولـكن الله يَهْدى من يشـاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى ، من حديث يزيد بن كَيْسان عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : لمـا حضرت وفاةُ أبى طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا عمّاه ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » .

فقال : لولا أن تعيِّرنى قريش، يقولون ما حَمله عليه إلا فزعُ الموت ، لأقررت بها عينَك ولا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينَك .

فأنزل الله عز وجل : « إنك لا تَهْدِى مَنْ أحببتَ ، ولـكن الله يهدى من يشاء وهو أعلمُ بالمهتدين » .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشّْعبى وقتادة : أنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يقول : لا إله إلا الله. فأبى أن يقولهـا ، وقال : هو على ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

ويؤكد هذا كله ما قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، حدثنى عبد الله بن الحارث ، قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : ما أغنيتَ عن عمِّك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟

قال : « [هو] فى ضَحْضَاح من نار ، ولولا أنا لـكان فى الدَّرك الأسفل[1] » .

---

(١) زاد فى البخارى : من النار .

ورواه مسلم فى صحيحه من طرق ، عن عبد الملك بن عمير به .

[و] أخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث ، حدثنى ابن الهادّ ، عن عبد الله بن خبَّاب ، عن أبى سعيد ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وذُكر عنده عمُّه فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيُجعلَ فى ضَحْضاح من النار يبلغ كعبيه يَغْلى منه دماغه » .

لفظ البخارى . وفى رواية « تغلى منه أمُّ دماغه » .

وروى مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شَيبة ، عن عفَّان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى عثمان ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَهون أهل النار عذابا أبو طالب ، مُنْتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه » .

وفى مغازى يونس بن بُكَير « يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلى .

وقال الحافظ أبو بكر البَزَّار فى مسنده : حدثنا عمرو ، هو ابن اسماعيل بن مُجَالِد ، حدثنا أبى، عن مجالد ،عن الشَّعبى ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قيل له : هل نفعتَ أبا طالب ؟

قال : « أخرجتُه من النار إلى ضَحْضَاح منها » .

تفرد به البَزَّار .

قال السُّهيلى : وإنما لم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم شهادةَ العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافرا غيرَ مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صحَّ لضعف سَنده . كما تقدم .

ومما يدل على ذلك أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له ما تقدم .

وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغَرْغَرة ، حين لا يَنفع نفساً إيمانُها . والله أعلم .

***

وقال أبو داود الطَّيالسيّ : حدثنا شُعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت ناجيةَ بن كعب يقول : سمعت عليا يقول : لمـا توفى أبي أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن عمك قد توفى . فقال : « اذهب فوارِه » فقلت : إنه مات مشركا ، فقال : « اذهب فوارِه ولا تُحْدِثنَّ شيئا حتى تأتى » .

ففعلت فأتيته ، فأمرنى أن أغتسل .

ورواه النسائى عن محمد بن المثنى ، عن غُنْدَر ، عن شُعبة .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية ، عن على : لمـا مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضالّ قد مات ، فمن يواريه ؟

قال : « اذهب فوارِ أباك ولا تُحْدِثن شيئا حتى تأتينى » .

فأتيته فأمرنى فاغتسلت ، ثم دعا لى بدعوات ما يسرُّنى أن لى بهن ما على الأرض من شىء .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالِينىّ ، حدثنا أبو أحمد بن عدى ، حدثنا محمد بن هارون بن حُميد ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، حدثنا الفضل ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد من[1] جنازة أبي طالب فقال : وصَلَتْك رَحِم ، وجُزيت خيراً ياعم » .

---

(١) فى الوفا لابن الجوزى : عارض جنازة . وهذا ما يتفق مع قوله بعد : « ولم يقم على قبره » .

قال : وروى عن أبى اليمان الهَوْزَنىّ ،عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا وزاد : ولم يقم على قبره .

قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمى تكلموا فيه .

قلت : قد روَى عنه غيرُ واحد منهم الفضل بن موسى السِّينَانى[1] ، ومحمد بن سَلَّام البِيكَنْدى[2] . ومع هذا قال ابن عَدِى : ليس بمعروف ، وأحاديثُه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من المدائح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى أشعاره التى أسلفناها ، وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه ، بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التى لا تدانَى ولا تسامى ، ولا يمكن عربيا مقارنتها ولا معارضتها .

وهوفى ذلك كله يَعْلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صادقٌ بارٌّ راشد ، ولكن مع هذا لم يُؤْمن قلبُه .

وفرقٌ بَيْن عِلم القلب وتصديقه . كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى .

وشاهدُ ذلك قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتابَ يَعْرفونه كما يَعْرفون أبناءهم ، وإنَّ فريقاً منهم لَيكتمون الحقَّ وهم يَعْلمون » .

وقال تعالى فى قوم فرعون : « وجَحدوا بها واستَيْقَنَتها أنفسُهم » وقال موسى

---

(١) كان من أقران ابن المبارك فى السن والعلم ، ولد سنة ١١٥ ومات سنة ١٩١ . ونسب إلى سينان إحدى قرى مرو .

(٢) نسبة إلى بيكند ، بلدة بين بخارى وجيحون .

لفرعون : « لقد علمتَ ماأنزلَ هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائرَ وإنى لأظنك يافرعون مثبوراً » .

وقول بعض السلف فى قوله تعالى : « وهم يَنْهَوْن عنه ويَنْأون عنه » أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مُخَيمرة ، وحبيب بن أبى ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهرُ والله أعلم ، الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير .

وتوجيهه : أن هذا الكلام سِيق لتمام ذمِّ المشركين ، حيث كانوا يصدُّون الناسَ عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به .

ولهذا قال : « ومِنهم مَن يَستمع إليك وجَعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً أن يَفقَهوه وفى آذانهم وَقراً ، وإن يرَوا كلَّ آيةٍ لا يُؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأولين ، وهم يَنْهون عنه ويَنْأون عنه وإن يُهلكون إلا أنفسَهم وما يشعرون » .

وهذا اللفظ وهو قوله « وهُمْ » يدلُّ على أن المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورون فى سياق الكلام وقوله : « وإنْ يُهلكون إلا أنفسهم وما يَشْعرون » يدل على تمام الذم .

وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصدُّ الناس عن أذية رسول الله صلى الله وسلموأصحابه بكل ما يَقْدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال .

ولـكن مع هذا لم يقدِّر الله له الإيمانَ ، لماله تعالى فى ذلك من الحـكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها .

ولولا مانهـانا الله عنـه من الاستغفـار للمشركين ، لاستغفرنا لأبى طـالب وترحَّمنا عليه !

فصـــــل

فى موت خديجة بنت خويلد

وذِكْر شىء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها . وقد فعـل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق ، حيث بشَّرها ببيت فى الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصَب .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى عُقَيل ، عن ابن شهاب قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة .

ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد .

وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام . ذكره عبدالله بن منْده فى كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأباطالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشِّعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

وكان الأنسبُ بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الإسراء ، كما ذكره البيهقى وغير واحد ، ولكن أخَّرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطّلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب. كما تقف على ذلك إن شاء الله .

وقال البخارى : حدثنا قُتَيبة ، حدثنا محمد بن فُضَيل بن غزْوان ، عن عُمارة ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ،أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّى ، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قَصب لا صخَب فيه ولا نصَب .

وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به .

وقال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن إسماعيل ، قال : قلت لعبد الله بن أبى أَوْفَى: بشَّر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة ؟ قال : نعم ، ببيت من قصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَب .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به .

قال السهيلى : وإنما بشَّرها « ببيت فى الجنة من قَصَب » ، يعنى قصب اللؤلؤ ، لأنها حازت قصب السَّبْق إلى الإيمان « لا صخَب فيه ولا نصَب » لأنها لم ترفع صوتها على النبى صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوماً من الدهر ، فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا .

وأخرجاه فى الصحيحين ، من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غِرْتُ على امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ماغرتُ على خديجة ـ وهلَكَتْ قبل أن يتزوجنى ـ لما كنت أسمعه يذكرها .

وأمره الله أن يبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب ، وإنْ كان ليَذبح الشاةَ فيُهْدى فى خَلاَئلها منها ما يَسعُهن .

لفظ البخارى .

وفى لفظ عن عائشة : ما غِرْت على امرأةٍ ما غرتُ على خديجة ، مِن كثرة ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وتزوجنى بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ، أو جبرائيل ، أن يبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب .

وفى لفظ له قالت : ما غِرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما رأيتُها ، ولـكن كان يُـكْثِر ذِكْرها ، وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » .

ثم قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنت هالَةُ بنت خويلد أختُ خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فعرف استئذان خديجةَ ، فارتاع فقال : اللهم هالة ! .

[قالت(١)] فغِرْتُ فقلت : ما تَذْكر مِنْ عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدْقين هلـكت فى الدهر [قد(١)] أبدلك الله خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم ، عن سُوَيد بن سعيد ، عن على بن مُسْهر به .

وهذا ظاهر فى التقرير على أن عائشة خير من خديجة ، إما فضلاً وإما عِشْرةً ، إذ لم يُنْـكِر عليها ولا ردَّ عليها ذلك ، كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله .

---

(١) من البخارى .

ولـكن قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمّل أبو عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك — هو ابن عُمير — عن موسى بن طلحة ، عن عائشة قالت : ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما خديجة فأطنبَ فى الثناء عليها ، فأدركنى ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت : لقد أعقَبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من عجائز قريش حمراء الشدقين .

قال : فتغيَّر وجـه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيُّرا لم أره تغيَّر عنـد شىء قط إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى يَعْلَم رحمةً أو عذابا .

وكذا رواه عن بهْز بن أسد ، وعثمان بن مسلم ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير به .

وزاد بعد قوله : « حمراء الشدقين » : « هلـكت فى الدهر الأول » . قال : قالت : فتمعَّر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد أيضاً : عن ابن إسحاق ، أخبرنا مُجَالد ، عن الشَّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا ذَكَر خديجةَ أثْنى عليها بأحسن الثناء .

قالت : فغِرْت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشِّدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها .

قال : « ما أبدَلنى الله خيراً منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدَّقتنى إذ كذبنى [الناس] ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولادَ النساء » .

تفرد به أحمد أيضا . وإسناده لا بأس به . ومُجَالِد روَى له مسلم مُتابعةً ، وفيه كلام مشهور . والله أعلم .

ولعل هذا، أعنى قوله : « ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم من مارية ، وقبل مَقْدمها بالـكلِّية وهذا مُتَعين فإن جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم وكما سيأتى ، من خديجة إلا إبراهيم ، فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها .

وقد استدل بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

وتـكلم آخرون فى إسناده .

وتأوَّله آخرون على أنها كانت خيراً عِشرةً ، وهو محتمل أو ظاهر ، وسببه أن عائشة تمتُّ بشبابها وحُسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : « قد أبدَلك الله خيراً منها » أنها تزَكّى نفسها وتُفَضِّلها على خديجة ، فإن هذا أمرٌ مَرْجعه إلى الله عز وجل ، كما قال : « فلا تُزَكُّوا أنفسكم هو أَعْلَمَ بمن اتقى[1] » وقال تعالى : « ألم تَرَ إلى الذين يُزَكُّون أنفسهم ، بل الله يُزَكى من يشاء[2] » الآية .

***

وهذه مسألة وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديما وحديثا ، وبجانبها طرقٌ يقتصر عليها أهل التَّشَيُّع وغيرُهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء : لسلام الربِّ عليها ، وكون ولدِ النبى صلى الله عليه وسلم جميعهم، إلا إبراهيم ، منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها وتقدير إسلامها ، وكونها من الصِّديقات ، ولها مقامُ صِدْق فى أول البعثة ، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة النجم ٣٢ . (٢) سورة النساء ٤٩ .

وأما أهل السُّنة فمنهم من يغلو أيضا ويُثْبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحمْلهم قوة التَّسُّن على تفضيل عائشة لكونها ابنةَ الصَّديق ، ولكونها أعلم من خديجة ، فإنه لم يكن فى الأمم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتُها مِن فَوق سبع سموات ، وروَتْ بَعده عنه عليه السلام علما جَمًّا كثيراً طيباً مبارَكا فيه ، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطرَ دينكم عن الحميراء » .

* * *

والحقُّ أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبَهره وحيَّره .

والأحسنُ التوقُّف فى ذلك إلى الله عز وجل .

ومَن ظهر له دليلٌ يقْطع به ، أو يَغْلب على ظنه فى هذا الباب ، فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم .

ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها ، فالطريق الأقومُ والمسلكُ الأَسْلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، من طريق هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خُوَيلد » أى خير زمانهما .

وروى شُعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أبيه قرة بن إياس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

رواه ابن مردويه فى تفسيره ، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده .

قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أن كلاً منهن كَفَلَتْ نبيًّا مرسلا ، وأحسنت الصُّحبة فى كفالتها وصدَّقته حين بُعث .

ومريم كفلت ولدها أتمّ كفالة وأعظَمها وصدَّقته حين أرسل .

وخديجة رغبت فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت فى ذلك أموالها ، كما تقدم ، وصدَّقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل .

وقوله : « وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضا ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن مرة الطيب الهمدانى ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعاً ، وهو أفخر طعام العرب ، كما قال بعض الشعراء :

إذا ما الُخبز تَأْدِمه بلحمٍ فذاك أمانةَ الله الثريدُ

ويحمل قوله : « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظاً فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عامًّا فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفاً يحتمل التسوية بينهن ، فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج . والله أعلم .

فصل

فى تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضى الله عنها بعائشة بنت الصديق ، وسَوْدة بنت زَمْعة رضى الله عنهما

والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتى .

قال البخارى فى باب تزويج عائشة ، حدثنا مُعلًّى بن أسد ، حدثنا وُهَيْب ، عن هشام ابن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « أُريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سَرَقة[١] من حرير ، ويقول[٢] : هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هى أنت ، فأقول إن كان هذا[٣] من عند الله يُمضِه » .

قال البخارى : باب نكاح الأبكار . وقال ابن أبى مُلَيْكة : قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى صلى الله عليه وسلم بكراً غيرك .

حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ، أرأيت لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، فى أيها كنت تُرْتع بعيرَك ؟ قال : « فى التى لم يُرْتع منها » تعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها .

انفرد به البخارى .

ثم قال : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة . قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريتك فى المنام فيجىء

---

(١) السرقة : القطعة .
(٢) أى جبريل . وفى رواية : ويقال .
(٣) البخارى : إن يك هذا .

بك الملَك فى سَرَقة من حرير فقال لى هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوبَ فإذا أنت هى ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يُمضِه » .

وفى رواية : « أُرِيتُك فى المنام ثلاثَ ليال » .

وعندَ الترمذى أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة .

وقال البخارى : [باب] تزويج الصغار من الكبار ؛ حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث عن يزيد ، عن عِراك ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخى فى دين الله وكتابه ، وهى لى حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مُرسل ، وهو عند البخارى والمحققين مُتَّصِل ، لأنه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها ، وهذا من أفراد البخارى رحمه الله .

وقال يونس بن بُكَير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشةَ بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبَنَى بها وهى ابنة تسع ، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة .

وهذا غريب .

وقد روى البخارى عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين ، ثم بَنَى بها وهى بنت تسع سنين .

وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ، ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر .

وقوله : « تزوَّجها وهى ابنة ست سنين ، وبنى بها وهى ابنة تسع » مالا خلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت فى الصحاح وغيرها .

وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة .

وأما كَوْن تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر .

فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال : حدثنا الحجَّاج ، حدثنا حمَّاد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفَّى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع أو ست سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألعب فى أرجوحة وأنا مُجَمَّمة ، فهيأننى وصَنَعْنَنى ثم أتين بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبنَى بى] . وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله فى هذا الحديث : « متوفَّى خديجة » . يقتضى أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفَّى خديجة ، فلا ينفى ماذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى وقد وفَتْ لى جُمَيْمَة ، فأتتنى أمى أم رومان وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحِب لى ، فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ماتريد منى ، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإنى لأَنْهج حتى سكن بعضُ نفَسى ، ثم أخذت شيئا من ماء فمسَّت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى

الدار . قال: فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقُلْن: على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرُعْنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحىً ، فأسْلمَتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وقال الإمام أحمد فى مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد بن بِشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى ، قالا : لما هلكت خديجة جاءت خَوْلة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يارسول الله ألا تزوّج ؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بِكراً ، وإن شئت ثيِّبا .

قال : فمَنَ البِكْر ؟ قالت أحبُّ خَلْق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر .

قال : ومن الثيب ؟ قالت سَوْدة بنت زَمْعة ، قد آمنَتْ بك واتبعتك . قال : فاذهبى فاذكريهما علىّ .

فدخلَتْ بيتَ أبى بكر فقالت : ياأم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت :وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت : انظرى أبا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر فقلت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؟ إنما هى ابنة أخيه .

فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال : « ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام وابنتك تصلح لى » .

فرجعتُ فذكرت ذلك له قال: انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ماوعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبى قحافة لعلك مُصْبِىء صاحبنا تدْخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوَّج إليك ؟ ! فقال أبو بكر للمطعم بن عدى أقَوْلَ هذه تقول؟ [قال:](١) إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عِدَته التى وعده .

فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سَوْدة بنت زَمْعة فقالت: ماأدخل الله عليك من الخير والبركة؟! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه . قالت : وددتُ ، ادخلى إلى أبى بكر فاذكرى ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خَوْلة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سَوْدَة . فقال : كفء كريم ، ما تقول صاحبتُكِ ؟ قالت : تحب ذلك . قال : ادعيها إلىّ . فدعتها قال : أَىْ بُنَية ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفء كريم ، أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم . قال : ادعيه لى .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوَّجها إياه .

فجاء أخوها عبد بن زَمْعة من الحج ، فجاء يَحْثى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمْرك إنى لسفيه يوم أحْثى فى رأسى التراب أنْ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة !

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السُّنْح .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار

(١) من المسند ٦/٢١١ .

ونساء ، فجاءتنى أمى وإنى لفى أرجوحة بين عَذْقين يرجح بى ، فأنزلتنى من الأرجوحة ولى جُمَيْمة ففرّقتها ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب ، وإنى لأنهج حتى سكن من نفسى ، ثم دخلت بى فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستنى فى حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا مانحرت علىّ جزور ، ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه . وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مُرْسل ، وهو متصل .

لما رواه البيهقى من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا عبد الله بن إدريس الأَزْدى ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ألا تزوّج ؟ قال : ومن ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال : من البِكْرُ ومن الثيب ؟ قالت : أما البكر فابنة أحب خَلْق الله إليك ، وأما الثيب فسَوْدَة بنت زَمْعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذكريهما على .

وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم .

وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة .

ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة فى السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة

قالت : لما كبرت سَودة وهبت يومَها لى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنى شَهْر ، حدثنى عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مُصْبِية ، كان لها خمس صبية أو ست من بعلها مات : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مايمنعك منى ؟ » قالت : والله يانبى الله مايمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية إلى ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال : فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت : لا والله. قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ! إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل ؛ صالح ؟ نساء قريش ، أَحْنَاه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده .

قلت : وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه .

هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى .

واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة ، وحكاه عن قتادة وأبى عبيد . قال : ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان ناصراً له وقائما فى صفه ومدافعاً عنه بكل مايقدر عليه من نفس ومال ومَقال وفِعال .

فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه مالم يكونوا يَصِلون إليه ولا يقدرون عليه .

كما قد رواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعانى ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عمن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه الترابَ وتبكى ، فجعل يقول : « أىْ بنية لا تبكى ، فإن الله مانع أباك » .

ويقول مابين ذلك : « مانالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » .

وقد رواه زياد البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلا . والله أعلم .

وروى البيهقى أيضا عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعِّين [1] حتى مات أبو طالب » .

---

(١) كاعين : جبناء

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن عباس الدُّورى ، عن يحيى بن مَعِين ، حدثنا عقبة المجدر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعَّة حتى توفى أبو طالب .

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صُعَير [(١)] وحكيم بن حزام ، أنهما قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام ، اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، ولزم بيته وأقلَّ الخروجَ ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه .

فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يامحمد امضِ لما أردتَ ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه ، لا واللات لا يُوصَل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلَة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولَّى يصيح : يامعشر قريش صبأ أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال : مافارقتُ دينَ عبد المطلب . ولكنى أمنع ابنَ أخى أن يُضَامَ حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنتَ وأجْمَلْت ووصلت الرحم .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يأتى ويذهب لايعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ، إذ جاء عقبةُ بن أبى مُعَيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَل أبيك ؟

فقال له أبو لهب : يامحمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال : مع قومه. فخرج إليهما فقال : قدسألته فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم أنه فى النار !

---

(١) الأصل : صعير . وهو تحريف . وما أثبته من الوفا لابن الجوزى ٢١٠ .

فقال : يامحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن مات على مامات عليه عبـد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ : والله لابرحت لك إلا عدوا [١] أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

واشتد عند ذلك أبو لهب وسائرُ قريش عليه .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته : أبولهب ، والحـكَم بن أبى العاص بن أمية ، وعُقبة بن أبى معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الُهذلى .

وكانوا جيرانه ، لم يُسْلِم منهم أحد إلا الحـكم بن أبى العاص .

وكان أحـدهم ، فيما ذكر لى ، يَطْرح عليه رحمَ الشاة وهو يصلِّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فـكان إذا طرحوا شيئا من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يابنى عبد مناف أىُّ جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه فى الطريق .

قلت : وعندى أن غالب ماروى مما تقدم ـ مِنْ طَرْحهم سلا الجَزُور بين كتفيه وهو يصلى ، كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ماأخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص مِنْ خَنْقهم له عليه السلام خنقا شـديداً ،

---

(١) ابن الجوزى : لا برحت لك عدوا ، وهى كذلك فى طبقات ابن سعد .

حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! وكذلك عزمُ أبى جهل ، لعنه الله ، على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك ـ كان بعد وفاة أبى طالب والله أعلم . فذِكْرها ههنا أنْسَبُ وأَشْبَه .

فصلٌ

فى ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى نصرة دينه ، فردُّوا عليه ذلك ولم يقبلوا ، فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن نالته منه فى حياة عمه أبى طالب .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثَقِيف النَّصرةَ والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله تعالى .

فخرج إليهم وحده .

فحدثنى يزيد بن أبى زياد ، عن محمد بن كعب القُرظى ، قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف وهم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة :عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب، بنوعمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمَح .

فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لمَا جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يَمْرُط ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرَك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ، فيما ذكر لى ، إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه فيُذْئرهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

فعمد إلى ظل حُبْلة [١] من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويَريان مايلقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أَحْمائك !

فلما اطمأن قال فيما ذكر : « اللهم إليك أشكو ضَعْف قوّتى وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيدٍ يتجهَّمنى ، أم إلى عدو ملَّكته أمرى ؟! إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أُبَالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى .

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بى غضبك أو تُحلَّ على سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، لاحول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عُتْبة وشَيْبة وما لقى تحركت له رَحِمُهما ، فدعَوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عَدَّاس [وقالا له] خذ قطفاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

---

(١) الحبلة : الكرمة .

ففعل عَدَّاس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له كل .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى بلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال : نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

فقال له عداس : ومايدريك مايونس بن متىَّ ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى .

فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاء عداس قالا له : ويلك ياعداس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

قال : ياسيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبىٌّ .

قالا له : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

* * *

وقد ذكر موسى بن عُقْبه نحواً من هذا السياق ، إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد : وقعد له أهلُ الطائف صَفَّين على طريقه ، فلما مرَّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رَضَخوهما بالحجارة حتى أَدْمَوه ، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء ، فعمد إلى ظل نخلة

وهو مكروب ، وفى ذلك الحائط عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله .

ثم ذكر قصة عَدَّاس النصرانى ، كنحو ماتقدم .

وقد روى الإمام أحمد ، عن أبى بكر ابن أبى شَيْبة ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العَدْوانى ، عن أبيه ، أنه أبصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مَشْرق ثَقِيف وهو قائم على قوس أو عصى ، حين أتاهم يبتغى عندهم النصرَ ، فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها .

قال : فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها فى الإسلام . قال : فدعَتْنى ثقيف فقالوا : ماذا سمعتَ من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه .

وثبت فى الصحيحين ، من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشدَّ عليك من يوم أُحد ؟

قال : « مالقيتُ من قومك كان أشدَّ منه يومُ العقبة ، إذ عَرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل فلم يجبْنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفقْ إلا وأنا بقرَن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث لك ملكَ الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم .

ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد قد بعثنى الله ، إن الله قد سمع قولَ

قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ماشئت ، إن شئت تُطْبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم مَن يعبد الله لايشرك به شيئا » .

فصلٌ

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماعَ الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك مَرْجَعَه من الطائف حين بات بنخلَة وصلّى بأصحابه الصبحَ ، فاستمع الجن الذين صُرِفوا اليه قراءته هنالك .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : « وإذْ صرَفْنا إليك نَفراً من الجن » .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصىً فى التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك ، والله أعلم .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مَرْجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى ، وازداد قومُه عليه حَنَقاً وغيظا وجرأة وتكذيبا وعناداً . والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموى فى مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أُرَيقط إلى الأخنس بن شَرِيق ، فطلب منه أن يجيره بمكة ، فقال : إن حليف قريش لايجير على صميمها .

ثم بعثه إلى سُهَيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى .

فبعثه إلى المطعم بن عَدِىّ ليجيره فقال : نعم ، قل له فليأت .

فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنـده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة ، متقلدِّى السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفْ . واحتَبَوا بحمائل سيوفهم فى المطاف .

فأقبل أبو سفيان إلى مُطعم فقال : أمجيرٌ أو تابع ؟ قال : لا بل مجير .

قال : إذاً لا تُخْفَر .

فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

قال : فمكث أياما ثم أُذن له فى الهجرة .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه . فقال فيما قال :

فلو كان مجدٌ مخلدَ اليوم واحداً ... من الناس نجَّى مجدُه اليوم مُطْعِمَا

أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبادك مالبَّى مُحِلٌّ وأحرمَا

فلو سُئلت عنه مَعَدٌّ بأَسْرِها ... وقحطانُ أو باقى بقية جُرْهما

لقالوا : هو المُوفِى بخفْرة جاره ... وذمتِ يوماً إذا ما تجشما

وما تَطْلُع الشمسُ المنيرة فوقَهم ... على مثله فيهم أعزَّ وأكرمَا

إباء إذاً يأبىٰ وألين شيمةً ... وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلَما

قلت : ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيًّا ثم سألنى فى هؤلاء النَّتْنَى (١) لوهبتهم له » .

---

(١) المطبوعة : النقباء . وهو تحريف شنيع أعان عليه كتابتها فى الأصل بالألف بلا نقط والرواية كما فى الوفا والمواهب : ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لأطلقتهم له . وسماهم نتنى لكفرهم . كما فى النهاية .

فصلٌ

فى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسَه الكريمة على أحياء العرب

في مواسم الحج أنْ يُؤووه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه ،
فلم يجبْه أحد منهم لما ذخَره الله تعالى للأنصار
من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسَه فى المواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسَل ، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّن عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم ، عن زيد بن أَسْلَم ، عن ربيعة بن عِبَاد الدُّؤَلى[1] ، ومن حدثه أبو الزِّناد عنه ، وحدثنى حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عِبَاد يحدثه أبى ، قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنًى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يابنى فلان إنى رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدِّقوا بى ، وتمنعونى حتى أبيِّن عن الله مابعثنى به » .

---

(١) ويقال فيه الديلى .

قال : وخَلفه رجـل أَحْول وضىء له غَدِيرتان ، عليه حُلة عَدَنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليـه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يابنى فلان إنّ هـذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلخُوا اللات والعزى من أعناقـكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أُقَيْش ، إلى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبى : ياأبت من هذا الرجل الذى يَتْبعه ويردُّ عليه مايقول ؟

قال : هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمـد هذا الحديث ، عن إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبـد الرحمن بن أبى الزِّناد ، عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عِبَاد من بنى الدِّيل ، وكان جاهليا فأسلم ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المَجاز وهو يقول : « ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفلْحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ورواه البيهقى ، من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد ابن المُنْـكَدر ، عن ربيعة الدِّيلى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المَجَاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تَقِد وَجْنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرّنـكم هذا عن دينـكم ودين آبائـكم . قلت : من هـذا ؟ قالوا هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نُعَيم فى الدلائل من طريق ابن أبى ذئب وسعيد بن سَلَمة بن أبى الحُسام ، كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

ثم رواه البيهقى من طريق شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة

قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خَلْفه يَسْفى عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل وهو يقول : ياأيها الناس لايغرَّنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال فى هذا السياق : « أبو جهل » وقد يكون وَهْماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا ، وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه صلى الله عليه وسلم

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى أنه عليه السلام أتى كِنْدة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأَبَوْا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] [١] حصين أنه أتى كَلْبا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول : « يابنى عبد الله إن الله قد أحسن اسمَ أبيكم » فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكُ أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم .

وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صَعْصَعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بَيْحرة [٢] بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل بحيرة . وما أثبته من ابن هشام والروض الأنف .

من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

قال : فقال له : أفَنُهْدف نحورَنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لاحاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لايقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلكَ الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحدُ بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبىٌّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونَخْرج به إلى بلادنا .

قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يابنى عامر هل لها من تَلافٍ ؟ هل لذُنَاباها من مَطْلب ؟ والذى نفس فلان بيده ماتقوَّلها إسماعيلىٌّ قط ، وإنها لحقٌّ ، فأين رأيكم كان عنكم !

* * *

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كلَّ شريفِ قومٍ ، لايسألهم مع ذلك إلا أن يُؤووه ويمنعوه ، ويقول : « لا أُكْره أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكرهه ، إنما أريد أن تُحْرِزونى فيما يُراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء .

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحداً من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يُصْلحنا وقد أفسد قومَه ولفظوه !

وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموى ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن العباس . قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أرى لى عندك ولا عند أخيك مَنعة ، فهل أنت مُخْرِجى إلى السوق غداً حتى نقرّ فى منازل قبائل الناس » وكانت مَجْمع العرب .

قال : فقلت : هذه كِنْدَة ولفُّها ، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك .

قال : فبدأ بكندة فأتاهم فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من أهل اليمن . قال: من أى اليمن ؟ قالوا: من كندة . قال : من أى كندة ؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية .

قال : فهل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه ، أن كندة قالت له : إن ظفرتَ تجعل لنا المُلْك من بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .

وقال الكلبي : فقالوا : أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العرب ؛ الحقْ بقومك فلا حاجة لنا بك .

فانصرف من عندهم فأتى بكرَ بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل . فقال : من أى بكر بن وائل ؟ قالوا : من بنى قيس بن ثعلبة .

قال : كيف العَدد ؟ قالوا : كثير مثل الثَّرَى .

قال : فكيف المنعَة ؟ قالوا : لامنعة ، جاوَرْنا فارسَ ، فنحن لانمتنع منهم ولا نجير عليهم .

قال : « فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تَنْزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبِّحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين ؟ » .

قالوا : ومن أنت ؟

قال : أنا رسول الله . ثم انطلق .

فلما ولَّى عنهم ، قال الكلبى : وكان عمه أبو لهب يتبعه ، فيقول للناس لا تَقْبلوا قوله . ثم مر أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، هذا فى الذِّروة منا ، فعن أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : زعم أنه رسول الله .

قال : ألا لاترفعوا برأسه قولاً ، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه .

قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكَر من أمرِ فارس ماذكَر !

* * *

قال الكلبى : فأخبرنى عبد الرحمن العامرى [1] ، عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ ، فقال : ممن القوم ؟ قلنا :

---

(١) الأصل : المعايرى . وما أثبته من دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤٣ .

من بني عامر بن صعصعة . قال : من أي بني عامر بن صعصعة ؟ قالوا [١] : بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنَعة [فيـكم] [٢] ؟ قلنا : لا يرام ما قِبَلنا ، ولا يُصطلى بنارنا .

قال : فقال لهم : إني رسول الله ، وآتيـكم لتمنعوني حتى أبلِّغ رسالةَ ربي ، ولا أكْرِه أحـداً منـكم على شيء .

قالوا : ومن أي قريش أنت ؟ قال : من بني عبـد المطلب . قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : هم أولُ مَن كذَّبني وطردني .

قالوا : ولـكنا لا نَطْردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلِّغ رسالةَ ربك .

قال : فنزل إليهم والقوم يتسوَّقون ، إذ أتاهم بَيْحرة [٣] بن فِراس القُشيري ، فقال : من هذا الرجل أراه عندكم أُنـكره ؟

قالوا : محمد بن عبد الله القرشي . قال : فما لـكم وله ؟

قالوا : زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالةَ ربه .

قال : ماذا رددتم عليه ؟

قالوا : بالترحيب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا .

قال بيحرة [٣] : ما أعلم أحداً من أهل هـذه السوق يرجع بشيء أشدَّ من شيء ترجعون به ، بدأتم [٤] لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحـدة ، قومُه أعلم به ، لو آنسُوا منه خـيراً لـكانوا أسعدَ الناس به ، أتعمدون إلى زَهيق قد طرده قومه وكذَّبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم .

---

(١) الدلائل : قلنا (٢) من الدلائل . (٣) الأصل : بحيرة . وما أثبته عن ابن هشام والسهيلي والطبري . (٤) المطبوعة : بدءا ثم . وهو تحريف وما أثبته من الدلائل .

ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :قم فالحقْ بقومك ، فوالله لولا أنك عنـد قومى لضربت عنقك .

قال : فقام رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيثُ بيحرة شاكلتَها فقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته .

وعند بنى عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بنى عمها ، فقالت : ياآل عامر ، ولا عامر لى ! أيُصنع هذا برسول الله بين أظهرُكم لا يمنعه أحد منـكم !

فقام ثلاثة من بنى عمها إلى بيحرة واثنين أعاناه ، فأخذ كلٌّ رجل منهم رجلًا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ، ثم علَوا وجوههم لطماً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » .

قال : فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقُتلوا شهداء ، وهم : غطيف [١] وغطفان ابنا سهل ، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة . رضى الله عنهم .

وقد روى هـذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه ، عن أبيه به .

وهلك الآخرون وهم ؛ بيحرة بن فراس ، وحَزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بنى عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته . والله أعلم .

* * *

(١) الدلائل : غطريف

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ، فى قصة عامر ابن صعصعة وقبيح رَدِّهم عليه .

وأغربُ من ذلك وأطول مارواه أبو نُعَيم والحاكم والبيهقى ، والسياق لأبى نعيم رحمهم الله ، من حديث أَبَان بن عبد الله البَجَلى ، عن أبان بن تَغْلِب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثنى على بن أبى طالب ؛ قال :

لما أمر الله رسولَه أن يَعْرِض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منًى ، حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب .

فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلَّم ، وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير ، وكان رجلا نَسَّابة ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم لهَازِمها ؟ قالوا : بل من هامِها العظمى .

قال أبو بكر : فمن أى هامتها العظمى ؟ فقال : ذهْل الأكبر .

قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال : لا حَرَّ بوادى عَوف ؟ قالوا : لا .

قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء[1] ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال: فمنكم الحَوْفَزَانُ بن شَرِيك قاتل الملوك وسالبها أنفسَها ؟ قالوا : لا .

قال: فمنكم جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهل ، حامى الذِّمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا .

قال : فمنكم المُزْدَلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أخوال الملوك من كِنْدة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أصهار الملوك من لَخْم ؟ قالوا : لا .

قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فلستم بذُهْل الأكبر ، بل أنتم ذهل الأصغر .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم : أبو الملوك .

قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دَغْفَل بن حنظلة الذهلى ، حينَ بقَل وجهُه ، فأخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول :

إن علىَ سائلنا أَنْ نَسْأله   والعبء لا نعْرفه أو نحملَه

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، ونحن نريد أن نسألك ، فمن أنت ؟

قال : رجل من قريش .

فقال الغلام : بخ بخ : أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها (1) فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجل من بنى تَيمْ بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمْكَنتَ والله الرامىَ من سَواء الثَّغرة ! أفمنكم قصىٌّ بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها ، وأجْلَى بقيتَهم وجمع قومه من كل أَوْب حتى أوطنَهم مكة ، ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها ، فسمته العرب بذلك مُجمِّعاً ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يُدْعَى مُجَمِّعاً   به جَمع الله القبائلَ مِنْ فِهرِ

فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر: لا .

قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم ، الذى هشَم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمرو العُلا هشَم الثريدَ لقومه   ورجالُ مكة مُسْنتون عجافُ
سَنُّوا إليه الرحلتين كليْهما   عند الشتاء ورحلة الأصيافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت   فالمحُّ خالصهُ لعبدِ مناف

---

(1) الدلائل : أزمة العرب وهداتها .

الرائشين وليس يُعْرَف رائشٌ والقائلين هلمَّ للأضـياف
والضاربين الـكبشَ يَبْرُق بيضُه والمانعـين البَيْضَ بالأسياف
لله دَرُّك لو نزلتَ بدارهم منعوك من أَزْلٍ ومن إقرافِ (١)

فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنـكم عبد المطلب شَيْبة الحمد ، وصاحب عِير مكة ، ومُطعم طَـير السماء والوحوش والسباع فى الفلا ، الذى كأنَّ وجهه قمر يتلألأ فى الليـلة الظلماء ؟ قال : لا .

قال : أفمن أهل الإفاضة أنت ؟ قال: لا . قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال: لا .

قال : أفمن أهل أهل النَّدوة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل السِّقاية أنت؟ قال : لا .

قال : أفمن أهل الرِّفادة أنت ؟ قال : لا .

قال : فمن المُفيضين أنت ؟ قال : لا .

ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف دَرَّ السيل دَرٌّ يَدْفعهْ يَهِيضُه حِيناً وحيناً يرفعه (٢)

ثم قال : أما والله ياأخا قريش لو ثبتَّ لخبرتك أنك من زَمعات قريش ولستَ من الذَّوائب .

قال : فأقبل إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ، قال على : فقلت له : ياأبا بكر لقد وقعتَ من الأعرابى على باقِعة (٣) : فقال : أجـل ياأبا الحسن ، إنه ليس من طامَّةٍ إلا وفوقها طامَّةٌ ، والبلاء مُوكَّل بالقول .

---

(١) الأزل : الضيق والشدة . والإقراف : التهمة .
(٢) الدلائل : صادف درء السيل سيلا يدفعه يهضبه حينا وحينا يصدعه
(٣) الباقعة : الرجل الداهية .

قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلَّم . قال على : وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير .

فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء مِن عزٍّ فى قومهم . وفى رواية : ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غُرَر فى قومهم ، وهؤلاء غرر الناس .

وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قَبِيصة ، والمثنىَّ بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

وكان أقربَ القومِ إلى أبى بكر مفروقُ بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، فكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر .

فقال له أبو بكر : كيف العَدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن تُغلب ألف مِن قِلَّة .

فقال له : فكيف المنعَة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جَدّ .

فقال أبو بكر : فكيف الحربُ بينكم وبين عدوّكم ؟

فقال مفروق : إنا أشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضب ، وإنا لنُؤْثِر الجيادَ على الأولاد ، والسلاحَ على اللقاح ، والنصرُ من عند الله ، يُدِيلنا مرةً ويُدِيل علينا [مرة] (١) ، لعلك أخو قريش ؟

فقال أبو بكر : إنْ كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا .

فقال مفروق : قد بلغنا أنه يَذْكر ذلك .

---

(١) من الدلائل .

ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : إلام تدعو يا أخا قريش ؟ [(١)]
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم] فجلس وقام أبو بكر يُظله بثوبه فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنى رسول الله ، وأن تُؤوونى وتنصرونى حتى أؤدِّى عن الله الذى أمَرنى به ، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله ، وكذَّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال له : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ تعالَوْا أتلُ ماحَرَّم ربُّكم عليكم : ألا تُشرِكوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » إلى قوله « ذٰلِكُمْ وَصَّاكم به لعلكم تتَّقون » .

فقال له مفروق : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يأمُر بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذى القُرْبى ويَنْهَى عن الفحشاء والمُنْكَر والبَغْى ، يَعِظُكم لعلكم تذكَّرون » .

فقال له مَفْروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفِكَ قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك .

وكأنه أحبَّ أن يَشْركه فى الكلام هانئ بن قَبِيصة فقال : وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

فقال له هانىء : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وصدَّقت قولك ، وإنى أرى أنَّ تَرْكنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمَجْلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم نتفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ، زَلَّةٌ فى الرأى ، وطيشة فى العقل ،

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة .

وقلةُ نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نَكْره أن نعقد عليهم عَقْدا . ولكن ترجعُ ونَرجع وتنظر وننظر .

وكأنه أحب أن يَشْركه فى الكلام المثنَّى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حَرْبنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتك واستحسنت قولك ياأخا قريش ، وأعجبنى ماتكلمت به ، والجواب هو جوابُ هانئ بن قبيصة ، وتَرْكُنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن أحدهما اليمامة ، والآخر السَّماوة[1] .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟

فقال له : أما أحدهما فطفوف البَر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نُحْدث حدثا ، ولا نؤوى مُحْدثا . ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ، فأما ما كان مما يلى بلادَ العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان [مما] يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعَلْنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادَهم وأموالهم ويُفرشكم بناتهم ، أتسبِّحون الله وتقدسونه ؟

فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك ياأخا قريش !

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً » .

---

(١) اللسان ١٩/١٩٢ : « وإنما نزلنا الصريين اليمامة والسمامة هما تثنية صرى .. وهو كل ماء مجتمع »

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يدى أبى بكر .

قال على : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعلى أيةُ أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ، ماأشرفها ! بها يتحاجَزُون فى الحياة الدنيا .

قال : ثم دفَعْنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم .

قال على : وكانوا صُدَقاء صُبَراء ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة أبى بكر رضى الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً ، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نُصروا » . قال : وكانت الوقعة بقُراقر إلى جنب ذى قار ، وفيها يقول الأعشى :

فدًى لبنى ذُهْل بن شيبانَ ناقتى ... وراكبُها عند اللقاء وقَلَّتِ

همُ ضربوا بالحِنْو حِنْو قُراقرٍ (١) ... مقدمةَ الهامُرْزِ حتى تولَّتِ

فلله عيناً مَن رأى من فوارسٍ ... كذُهل بن شيبانٍ بها حينَ وَلتِ

فثاروا وثُرْنا والمودةُ بيننا ... وكانت علينا غمرةٌ فتجلَّتِ

هذا حديث غريب جداً ، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشِّيم وفصاحة العرب .

وقد ورد هذا من طريق أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر ، مكان قريب من الفرات ، جعلوا شعارهم اسمَ محمد صلى الله عليه وسلم فنُصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الإسلام .

---

(١) الحنو : كل منعرج وكل شيء فيه اعوجاج . ويوم الحنو من أيام العرب .

وقال الواقدى : أخبرنا عبد الله بن وابصة العَبْسى ، عن أبيـه ، عن جده قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منازلنا بمنًى ، ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التى تلى مسجد الخِيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيدَ بن حارثة ، فدعانا فوالله ما أستجبنا له ولا خيْرَ لنا .

قال : وقد كنا سمعنا به وبدعائه فى المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدَّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نَحُلَّ به وسط بلادنا لكان الرأى ، فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يَبْلغ كلَّ مَبْلَغ .

فقال القوم : دَعْنا منك لاتعرِّضنا لما لا قِبَل لنا به .

وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ميسرة ، فكلَّمه ، فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوَره ، ولكن قومى يخالفوننى ، وإنما الرجلُ بقومه ، فاذا لم يعضدوه فالعِدَى أبعدُ .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج القوم صادرين إلى أهليهم . فقال لهم ميسرة : مِيلوا نأتى فَدَك فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود فأخرجوا سِفْرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الأمى العربى يركب الحمار ويجتزئ بالكِسْرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجَعْد ولا بالسبط ، فى عينيه حمرة ، مشرق اللون . فإن كان هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه ، فإنا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه .

فقال ميسرة : ياقوم ألا [إن] هذا الأمر بيِّن .

فقال القوم : نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبَى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يتبعه أحد منهم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحجَّ حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يارسول الله والله مازلتُ حريصا على اتباعك من يوم أنخْتَ بنا حتى كان ما كان ، وأبَى الله إلا ماترى مِن تأخُّر إسلامى ، وقد مات عامةُ النفر الذين كانوا معى ، فأين مُدْخَلَهم يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من مات على غير دين الإسلام فهو فى النار .

فقال : الحمد لله الذى أنقذنى . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى فقصَّ [خبر] القبائل واحدةً واحدة فذكر عَرْضه عليه السلام نفسَه على بنى عامر وغَسَّان وبنى فَزارة وبنى مُرَّة وبنى حنيفة وبنى سُليم وبنى عبس وبنى نَضْر بن هوازن ، وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكِندة وكلب وبنى الحارث بن كعب وبنى عُذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم .

وسياق أخبارها مطولة ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسودُ بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن عثْمان ، يعنى ابن المغيرة ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف (١) ، فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحملنى إلى قومه فإن قريشا قد منعونى أن أبلّغ كلامَ ربى عز وجل ؟ » .

---

(١) أى موقف الناس بعرفة .

فأتاه رجل من هَمْدان فقال : ممن أنت ؟ قال الرجل : من همدان . قال : فهل عندَ قومك مِن مَنَعة ؟ قال : نعم !

ثم إن الرجل خشى أن يَخْفِره قومُه ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عامٍ قابل . قال نعم .

فانطلق ، وجاء وفد الأنصار فى رجب .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن إسرائيل به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

فصلٌ

[فى] قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيعة بعد بيعة ، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتى بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة .

حديث سُوَيد بن صامت الأنصارى

وهو سُوَيد بن الصامت بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فسُوَيد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعْرِض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يَقْدَم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدَّى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سُوَيد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمراً ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكاملَ لجَلَده وشِعره وشرفه ونَسَبه ، وهو الذى يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو تَرَى ... مقالتَه بالغيب ساءك ما يَفْرِى

مقالتُه كالشهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيب مأثورٌ على ثُغْرة النَّحرِ

يسرُّك باديه وتحت أديمه ... نميمةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقِبَ الظهرِ

تُبين لك العينان ماهو كاتمٌ — من الغِلِّ والبغضاء بالنظر الشَّزْرِ
فرِشْني بخيرٍ طالمَا قَدْ برَيْتَنى — وخيرُالموالى مَنْ يريشُ ولا يَبْرِى

قال : فتصدَّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مجـلّة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ . فعرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام حسَن ، والذى معى أفضلُ من هذا ؛ قرآنٌ أنزله الله علىَّ هو هدًى ونور » .

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه وقال : إن هذا القول حسن .

ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإنْ كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنا لنراه قُتل وهو مسلم . وكان قَتْله قبل بُعاث .

وقد رواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الُحصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لَبِيد قال : لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الِحْلف من قريش على قومهم من الخزرج ،

سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم فى خير مما جئتم له » ؟ قال قالوا : وما ذاك ؟

قال : أنا رسول الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأُنزل علىَّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدَثا : ياقوم هذا والله خيرٌ مما جئتم له .

فأخذ أبو الحَيْسر أنس بن رافع حفنةً من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج .

قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك .

قال محمود بن لبيد : فأخبرنى مَن حضرنى من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمع .

قالت : كان يوم بعاث ، وبعاث موضع بالمدينة ، كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أمامة ، عن هشام ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان يوم بعاث يوماً قدَّمه الله لرسوله ، قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد افترق مَلَؤهم وقُتِل سَراتهم .

باب

بدء إسلام الأنصار رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهارَ دينه وإعزاز نبيه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم .

فبيْنا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : لمّا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « من أنتم ؟ . قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ . قالوا : بلى .

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا : إن نبيا مبعوثٌ الآن قد أظلَّ زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم .

فلما كلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض ياقوم تَعلمون والله إنه النبى الذى توعّدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام وقلو

إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنَقْدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هـذا الدين ، فإنْ يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذُكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار .

قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج .

ومن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ، ومعاذ ابن عفراء والله أعـلم .

وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عَفْراء ، النجّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن زُرَيق الزُّرْقى . وقُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد بن غنم بن كعب بن سَلمَة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يَزيد [1] بن جُشَم بن الخزرج السلمى ، ثم من بنى سواد ، وعُقْبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمى أيضاً ، ثم من بنى حَرام . وجابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان بن سِنان بن عُبيد بن عدى ابن غَنْم بن كعب بن سلَمة السلمى أيضا ، ثم من بنى عُبيد رضى الله عنهم .

وهكذا روى عن الشَّعبي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم : مُعَاذ بن عَفْراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ،

---

(١) ابن هشام : تزيد بالتاء .

وذَكْوان ، وهو ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعُوَيم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل .

فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذَ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا يفقِّهنا .

فبعث إليهم مُصْعَب بن عمُير فنزل على أسعد بن زُرارة .

وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة . والله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : فلما قدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان العام المقبل وافَى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخْلد بن عامر ابن زُرَيق الزُّرَقي . قال ابن هشام : وهو أنصارى مهاجرى . وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أَصْرم بن فِهرْ بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرم البَلَوى ، والعباس بن عبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى ، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة المتقدم .

فهؤلاء عشرة من الخزرج .

ومن الأوس اثنان وهما : عُوَيم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان .

قال ابن هشام التَّيِّهان يخفف ويثقل كَمَيِّت ومَيْت .

قال السهيلى : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه إراشي وقيل َبلَوى . وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام . قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضربٌ من النبات .

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهى العقبة الأولى .

وروى أبو نُعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله فى سورة إبراهيم « وإذ قال إبراهيمُ رَبِّ اجعل هذا البلد آمِناً » إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَنى ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحى ، عن عبادة ، وهو ابن الصامت ، قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض الحربُ ، على ألّا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمرُكم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب به نحوه .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله أبى إدريس الخَوْلانى ، أن عبادة بن الصامت حدَّثه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ألاَّ نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وَفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأُخذتم بحَدِّه فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرُكم إلى الله إن شاء عذَّب وإن شاء غَفر .

وهـذا الحديث مخرَّج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزُّهرى به نحوه .

وقوله : « على بيعة النساء » يعنى على وفق ما نزلت عليـه بيعة النساء بعد ذلك عامَ الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيباً ، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غيرما موطن ، كما بيناه فى سيرته وفى التفسير . وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير مَتْلو فهو أظهر . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلمـا انصرف عنـه القوم بعث رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبـد الدار بن قصى ، وأمره أن يُقْرئهم القرآنَ ، ويعلمهم الإسلامَ ويفقههم فى الدين .

وقد روى البيهقى عن ابن إسحاق قال : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الأولى .

قال البيهقى : وسياق ابن إسحاق أتم .

وقال ابن إسحاق : فـكان عبد الله بن أبى بكر يقول : لاأدرى ما العقبة الأولى .

ثم يقول ابن إسحاق : بلى لعمرى قـد كانت عَقَبةٌ وعقبة .

قالوا كلهم : فنزل مُصعبُ على أسعد بن زُرَارة ، فكان يسمى بالمدينة المُقْرئَ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبى حين ذهب بصرُه ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذانَ بها صلَّى على أبى أمامة . أسعدِ بن زرارة .

قال : فمكث حيناً على ذلك ، لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلَّى عليه واستغفر له .

قال : فقلت فى نفسى والله إن هذا بِى لَعَجْز ، ألا أسأله ؟ فقلت : ياأبت مالك إذا سمعت الأذانَ للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ فقال : أى بنى كان أولَ من جمع بنا بالمدينة فى هَزم النبيت(١) من حَرَّة بنى بَياضة فى بقيع يقال له : بقيع(٢) الخضمات . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفى إسناده غرابة والله أعلم .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيقْيب ، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن أسعد بن زُرَارة خرج بمصعب بن عُمير يريد به دارَ بَنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة ، فدخل

---

(١) ا : هزم الحرة . وهزم النبيت : جبل على بريد من المدينة . (٢) ابن هشام : نقيع وهى رواية أصوب .

به حائطا من حوائط بنى ظفر على بئر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم .

وسعد بن معاذ وأسيد بن الحُضَير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه .

فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبالك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة منِّى حيث قد علمت كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مَقْدَما .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه ، وقد جاءك ، فاصدُقِ الله فيه .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

قال فوقف عليهما متشتما فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا فى دارنا بهذا الرَّعيد[1] الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره .

قال : أنصفت. قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن .

فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعرفنا فى وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهُّله .

ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين.

قالا له : تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلِّى .

---

(١) الأصل : الوعيد .

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت . وقد حُدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك لَيُحقروك .

قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة ، وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا .

ثم خرج إليهما سعد، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟

قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه [من][1] قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان .

قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً رغبتَ فيه قبلتَه ، وإن كرهتَه عزلنا عنك ماتكره .

قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن .

---

(١) سقطت من المطبوعة . وأثبتها من ا .

وذكر موسى بن عُقْبة أنه قرأ عليه أولَ الزخرف .

قال : فعرَفْنا والله فى وجهه الإسلامَ قبلَ أن يتكلم ، فى إشراقه وتسهُّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين .

قالا : تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك ثم تشهد شهادةَ الحق ، ثم نصلى ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطَهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين .

ثم أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادِى قومه ومعه أُسيد بن الحُضَير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به مِن عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأَشْهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدُنا وأفضلُنا رأياً وأيمُننا نَقِيبةً .

قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسَى فى دارِ بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع سعدٌ ومُصْعَب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقاما عنده يدعوان الناسَ إلى الإسلام ، حتى لم تَبْقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمونَ .

إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخَطمة ، ووائل ، وواقِف ، وتلك أوس ، وهم من الأوس بن حارثة .

وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأَسْلَت واسمه صَيْفى . وقال الزبير بن بَكَّار : سمه الحارث . وقيل عبيد الله . واسم أبيه الأَسْلَت عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مُرَّة بن مالك بن الأوس . وكذا نَسبه الكلبى أيضاً

وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعدَ الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً بائية حسنة تقرُب من أشعار أمية بن [أبى] الصَّلت الثَّقفى .

* * *

قال ابن إسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبلغ البلدانَ ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين ذُكر وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود .

فلما وقع أمرُه بالمدينة وتحدّثوا بما بَينْ قريش فيه من الاختلاف ، قال أبو قيس بن الأَسْلَت أخو بنى واقف .

قال السهيلى : هو أبو قيس صِرمة بن أبى أنس ، واسم أبى أنس قيس بن صِرْمة بن مالك بن عَدى بن عمرو بن غَنْم بن عدى بن النجار ، قال : وهو الذى أنزل فيه وفى عمر « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم[1] » الآية .

قال ابن إسحاق : وكان يحبُّ قريشاً ، وكان لهم صِهراً ، كانت تحته أرنبُ بنت أسد ابن عبد العزّى بن قُصَى ، وكان يقيم عندهم السنينَ بامرأته .

قال قصيدةً يعظِّم فيها الحُرْمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ، ويَذْكر فضلَهم وأحلامهم ويذكِّرهم بلاء الله عندهم ودَفْعه عنهم الفيلَ وكَيده ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ مُغَلْغلةً[2] عنى لؤىَّ بن غالب

رسولُ امرئٍ قد راعه ذاتُ بينكم على النَّأْيِ محزونٍ بذلك ناصبِ

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ . (٢) المغلغلة : الرسالة .

وقد كان عندى للهموم مُعَرَّسٌ ... ولم أقضِ منها حاجتى ومآربى
نُبيِّتكم شَرْجَيْن كلُّ قبيلة ... لها أَرْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطبِ [(١)]
أعيذُكُمْ بالله من شرِّ صُنْعِكم ... وشَرِّ تباغيكم ودَسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوى سقيمةٍ ... كوَخْزِ الأَشَافى [(٢)] وقعُها حقٌّ صائبِ
فذكِّرْهمُ بالله أولَ وَهْلة ... وإحلالِ أحرام الظِّباء الشوازبِ [(٣)]
وقُلْ لهمُ والله يحكم حكمه ... ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكم فى المَرَاحبِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... هى الغُول للأقْصَيْن أو للأقارب
تقطِّع أرحاماً وتُهلك أمةً ... وتَبْرِى السَّديفَ من سَنام وغاربِ
وتستبدلوا بالأَتْحَمية بعدَها ... شليلاً وأصداءً ثيابَ المحارب [(٤)]
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سوابغاً ... كأنَّ قتيرَيها عيونُ الجنادبِ [(٥)]
فإياكُمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم ... وحَوضاً وخيمَ الماء مُرَّ المشاربِ
تزيَّنُ للأقوامِ ثم يَرَوْنها ... بعاقبةٍ إذْ بُيِّنَتْ أمَّ صاحبِ [(٦)]
تحرِّق لا تَشْوِى ضعيفاً وتَنْتَحى ... ذَوى العزِّ منكم بالحُتوفِ الصوائبِ
ألم تعلمُوا ما كان فى حربِ داحِسٍ ... فتعتبروا ، أو كان فى حَربِ حاطبِ
وكم ذا أصابَتْ مِنْ شريفٍ مُسوَّدٍ ... طويلِ العمادِ ضيفُه غيرُ خائبِ
عظيمِ رمادِ النارِ يُحمد أمرُه ... وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضاربِ
وماءٍ هُريقَ فى الضلال كأنما ... أذاعت به ريحُ الصَّبا والجنائب
يخبِّركم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ ... بأيامها والعِلمُ علمُ التجاربِ

---

(١) شرجين : فريقين مختلفين . والأرمل : الصوت المختلط والمذكى : موقد النار . (٢) الأشافى : جمع إشفى وهى المخرز (٣) الشوازب : الضامرة البطون . (٤) الأتحمية : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة والأصداء : جمع صداء الحديد . (٥) القتير : حلق الدرع . والجنادب : الجراد.
(٦) أم صاحب : أى عجوزا، كأم صاحب لك .

فبيعوا الحرابَ ملمُحارب واذكروا — حسابكمُ ، والله خيرُ محاسب
ولىُّ امرئٍ فاختار دِيناً فلا يكنْ — عليكم رقيباً غيرُ ربِّ الثواقبِ
أقيموا لنا دِيناً حنيفاً فأنتمُ — لنا غايةٌ ، قد يُهتدى بالذوائبِ
وأنتم لهذا الناس نورٌ وعِصْمةٌ — تُؤَمُّون والأحلامُ غيرُ عوازبِ
وأنتم إذا ماحُصِّل الناسُ جوهرٌ — لكم سُرَّة البطحاء شُمُّ الأرانب
تصونون أنساباً[1] كراماً عتيقةً — مهذَّبةَ الأنسابِ غيرَ أشائبِ
يرى طالبُ الحاجات نحوَ بيوتكم — عَصائبَ هَلْكَى تهتْدى بعَصائبِ
لقد علمَ الأقوامُ أن سَراتكم — على كل حالٍ خيرُ أهل الجَباجبِ[2]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنَّةً — وأقْولُه للحقِّ وَسْط المواكبِ
فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا — بأركانِ هذا البيتِ بَيْنَ الأخاشبِ
فعندكُمُ منه بَلاءٌ ومَصْدَقٌ — غداةَ أبى يَكْسُوم هادِى الكتائبِ
كتيبتُه بالسَّهْل تَمْشِى ورَجْلُه — على القاذفاتِ فى رءوس المَناقبِ
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش رَدَّهم — جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ
فولَّوا سراعاً هاربين ولم يَؤُبْ — إلى أهله مِلْحُبْش غيرُ عصائبِ
فإن تَهْلِكوا نَهْلِك وتَهْلِكْ مواسمٌ — يُعاش بها ، قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

***

وحرب داحس التى[3] ذكرها أبو قيس فى شعره كانت فى زمن الجاهلية مشهورة وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد مَعْمَر بن المثنّى وغيره : أن فرساً يقال لها داحس كانت لقيس بن زُهير بن جُذيمة بن رَواحة الغطَفانى ، أجراها[4] مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو

(١) ابن هشام : أجسادا . (٢) الجباجب : المنازل . (٣) الأصل : الذى .
(٤) الأصل : أجراه . وفى ابن هشام بالتذكير فى كل المواضع .

ابن جُؤَيَّـة الغطفانى أيضاً ، يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَل بن بَدْر فلطم مالـكا .

ثم إن أبا جنيدب العبْسى لقى عوفَ بن حذيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فَزارة مالـكاً فقتله ، فشبَّت الحربُ بين بنى عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخَطَّار والحنفاء ، والأول أصح .

قال : وأما حرب حاطب [فيعنى حاطب] [1] بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبـة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وهو الذى يقال له ابن فُسحُم [2] فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج ، فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود [3] بن الصامت الأوسى قتله المجذَّر بن ذياد حليف بنى عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً .

***

والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بَشَرٌ كثير .

ولم يَبْقَ دار ، أى محلة ، من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات ، غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس ، ثبطهم عن الإسلام .

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : قسحم بالقاف . وما أثبته عن شرح القاموس .

(٣) ابن هشام : سويد بن صامت .

وهو القائل أيضا :

أربَّ الناس أشياء ألمَّت ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذلولِ

أربَّ الناس إمَّا إنْ ضَلَلْنا ... فيَسِّرْنا لمعروفِ السَّبيلِ

فلولا ربُّنا كنَّا يهوداً ... وما دينُ اليهود بذى شُكولِ

ولولا ربنا كنَّا نصارَى ... مع الرهبان فى جَبَلِ الجَليلِ

ولكنا خُلِقْنا إذْ خُلقنا ... حَنيفاً دينُنا عَنْ كلِّ جيلِ

نَسُوق الهَدْىَ تَرْسُف مُذْعناتٍ ... مكشَّفةَ المناكبِ فى الُجلولِ

وحاصل مايقول : أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فتوقَّفَ الواقِفِيُّ فى ذلك مع علمه ومعرفته .

وكان الذى ثبَّطه عن الإسلام أولًا عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذى بشَّر [به] يهود فمنعه عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : ولم يُسْلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزبير بن بَكَّار أن يكون أبو قيس أسلَم . وكذا الواقدى . قال : كان عزَم على الإسلام أولَ ما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلامَه عبدُ الله بن أُبىّ فحلفَ لا يُسْلم إلى حَوْلٍ ، فمات فى ذى القعدة .

وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه [أسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموتُ دعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فسُمع يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من الأنصار ، فقال: « ياخال قُلْ لا إله إلا الله » فقال: أخالٌ أم عم ؟ قال : بل خالٌ . قال : نخيرٌ لى أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

تفرد به أحمد رحمه الله .

وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفى أراد ابنُه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأنزل الله « ولا تَنْكِحوا ما نَكَح آباؤكم من النساء [١] » الآية .

* * *

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيي الأموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا ترهَّب فى الجاهلية ولَبِس المسُوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب ، وقال : أعبد إله إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها .

حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه .

وكان شيخا كبيراً ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعاراً حساناً ، وهو الذى يقول :

يقول أبو قيسٍ وأصبحَ غادياً ألا ما استطعتم مِنْ وَصَاتِى فافعلُوا

فأوصيكمُ بالله والبِرِّ والتُّقى وأعراضَكم ، والبرُّ بالله أولُ

وإنْ قومُكم سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهم وإنْ كنتمُ أهلَ الرياسة فاعدِلوا

وإن نزلَتْ إحدى الدَّواهى بقومكمْ فأنفسَكم دونَ العشيرة فاجعلوا

وإن نابَ غرمٌ فادحٌ فارفقوهمُ وما حَمَّلوكم فى المُلِمَّات فاحمِلوا

وإنْ أنتم أَمْعَزْتمُ [٢] فتعفَّفوا وإنْ كان فضلُ الخير فيكم فأَفْضِلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سَبِّحوا الله شَرْقَ كلِّ صباحٍ طلعَتْ شمسُه وكلِّ هلالِ

---

(١) سورة النساء ٢٢ . (٢) أمعزتم : أصابتكم شدة .

عالمُ السرِّ والبيانِ جميعاً (١) ليس ماقال ربنا بضَلالِ

وله الطيرُ تستزيدُ وتأوِى في وكورٍ مِنْ آمناتِ الجبالِ

وله الوحشُ بالفَلاَة تراها في حِقَافٍ (٢) وفي ظلالِ الرمالِ

وله هوَّدت يهودُ ودانَتْ كلَّ دينٍ مخافةً من عُضالِ (٣)

وله شمَّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ

وله الراهبُ الحبيسُ تراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان أنعمَ (٤) بالِ

يابَنِيَّ الأرحامَ لا تقطعوها وصِلُوها قصيرةً مِنْ طِوَالِ

واتقوا الله في ضعافِ اليتامى ربما يُستَحلُّ غيرُ الحلالِ

واعلموا أنَّ لليتيم وليًّا عالماً يَهْتدى بغيرِ سؤالِ

ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه إنَّ مالَ اليتيم يرعاه والى

يابنيَّ التُّخومَ لا تخزلوها إنَّ خَزْلَ التُّخوم ذو عُقَّالِ (٥)

يابنيَّ الأيامَ لا تأْمَنوها واحذروا مكرَها ومرَّ الليالى

واعلموا أن مرَّها (٦) لنفاد الـ ـخلق ما كان مِنْ جديدٍ وبالى

واجمعوا أمرَكم على البرِّ والتقـ ـوى وتركِ الخنا وأخذِ الحلالِ

قال ابن إسحاق: وقال أبو القيس صِرْمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم:

ثوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذكِّر لو يَلْقَى صَدِيقاً مواتيا

وسيأتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة.

---

(١) ابن هشام: لدينا. (٢) الحقاف: جمع حقف: وهو المعوج من الرمل أو المستدير منه.

(٣) ابن هشام: إذا ذكرت عضال. (٤) ابن هشام. ناعم بال. (٥) التخوم: الحدود. وتخزلوها: تقطعوها والعقال مايمنع الرجل من المشى. (٦) الأصل: أمرها. وما أثبته عن ابن هشام.

قصة بيعة العقَبة الثانية

قال ابن إسحاق : إنّ مُصْعَب بن عُمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قَدِموا مكة فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقَبةَ من أواسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيِّه وإعزازِ الإســلام وأهلِه [وإذلال الشرك وأهله] (١) .

فحدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك ، أن أخاه عبــد الله بن كعب ، وكان من أعْلَم الأنصار ، حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان ممن شهد العقبةَ وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال :

خرجنا فى حُجَّاج قومِنا من المشركين ، وقد صلَّينا وفقِهنْا ومعنا البَرَاء بن مَعْرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجَّهنا لسَفَرنا وخرجنا من المدينة قال البرَاء : ياهؤلاء إنى قد رأيتُ رأيا ، والله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدَع هــذه البَنِيَّة منى بظهر ، يعنى الـكعبة ، وأن أصلِّى إليها .

قال : فقلنا والله ما بلَغنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم يصلِّى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .

فقال : إنّى لَمصلٍّ إليها . قال : فقلنا له : لـكنّا لا نفعل .

قال : فـكنا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشام وصـلَّى هو إلى الـكعبة ، حتى قدمنا مكة [قال : وقد كنا عِبْنا عليه ما صنع وأبَى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنـا

---

(١) من ابن هشام .

مكةَ] (١) قال لى : يا بن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعتُ فى سفَرى هذا ، فإنه قد وقع فى نفسى منه شيء ، لِمَا رأيت من خلافكم إياىَ فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفان العباسَ بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يَقْدَم علينا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد ، وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ؟

فقال له البراء بن معرور : يانبيَّ الله ، إنى خرجت فى سَفَرى هذا قد هدانى الله تعالى للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البَنِيَّة منى بظَهر ، فصلَّيتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى ؟

قال : « قد كنتَ على قِبْلةٍ لو صبرتَ عليها » .

قال : فرجع البراء إلى قبلةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى معنا إلى الشام .

---

(١) من ابن هشام .

قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

* * *

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيدٌ من سادتنا أخذناه ، وكنا نكْتم مَن معنا مِن قومنا من المشركين أمْرَنا ، فكلمناه وقلنا له : ياأبا جابر إنك سيدٌ من سادتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقَبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نَقِيبا .

وقد روى البخارى ، حدثنى إبراهيم ، حدثنا هشام ، أن ابن جُرَيج أخبرهم ، قال عطاء ، قال جابر : أنا وأبى وخالاى[٢] من أصحاب العقَبة . قال عبد الله بن محمد : قال ابن عُيينة : أحدهما[٢] البراء بن معرور . حدثنا على بن المدِينى ، حدثنا سفيان ، قال كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بى خالاى العقبةَ .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن أبى الزبير عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، عُكاظ[١] ومَجِنَّة ، فى المواسم ، يقول : «من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلِّغ رسالة ربى وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إنّ الرجل ليخرج من اليمن

---

(١) المسند : بعكاظ . (٢) الأصل : « خالى » و « أحدهم » وما أثبته من صحيح البخارى .

أو من مضر ، كذا قال فيه ، فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلامَ قريش لا يفْتِنك.
ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع .

حتى بعثَنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدّقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويُقْرِئه القرآن فينقلب إلى أهله فيُسْلمون بإسلامه ، حتى لم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام .

ثم ائتمروا جميعا فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف[1] ويُطرد فى جبال مكة ويَخاف ؟

فرحَل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شِعْبَ العقَبة ، فاجتمعنا عندها من رجلٍ ورجلين حتى توافَيْنا فقلنا : يا رسول الله علامَ نبايعك ؟

قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العُسْر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومةَ لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدِمْتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ، فقمنا إليه [فبايعناه[2]] وأخذ بيده أسعد بن زُرارة وهو من أصغرهم . وفى رواية البيهقى : وهو أصغر السبعين إلا أنا ، فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكبادَ الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإنّ إخراجه اليوم مُناوأةٌ للعرب كافةً وقتلُ خياركم و [أن[2]] تعضَّكم السيوف ، فإما أنتم قومٌ تَصْبرون على ذلك ، فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خِيفةً[3] فذَرُوه ، فبيِّنوا ذلك فهو أعذَرُ لكم عند الله .

---

(١) ليست فى المسند . (٢) من المسند . (٣) المسند : جبنة . أى جبنا .

قالو أمِطْ[١] عنا ياأسعد ، فوالله لا ندع هذه البَيْعَة ولا نَسْلبها أبداً .

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرَط ويعطينا على ذلك الجنة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقى من طريق داود بن عبد الرحمن العطار .

زاد البيهقى عن الحاكم ، بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى إدريس به نحوه .

وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقال البزَّار : وروى غير واحد عن ابن خُثَيم ، ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد ، عن موسى بن عبد الله ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخَذْتُ وأعطيتُ .

وقال البزَّار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا قُبَيصة ، حدثنا سفيان ، هو الثَّورى ، عن جابر ، يعنى الجُعْفِى ، عن داود ، وهو ابن أبى هند ، عن الشَّعبى ، عن جابر ، يعنى ابن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء من الأنصار : « تؤوونى وتمنعونى ؟ » قال : نعم . قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجنة » .

ثم قال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

***

ثم قال ابن إسحاق عن مَعْبَد ، عن عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فنِمْنا تلك الليلةَ مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

---

(١) الأصل : أبط . وهو تحريف . وما أثبته من المسند .

الله صلى الله عليه وسلم نتسلَّل تسلُّلَ القَطَا مُسْتَخْفِين ، حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا نَسِيبَةُ بنت كعب أم عُمَارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم مَنِيع .

وقد صرح ابن إسحاق فى رواية يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد فى بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ماتحذف الكَسْر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عُقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرُهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله .

قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمرَ ابن أخيه ويتوثَّق له .

فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج – قال : وكانت العرب إنما يُسمون هذا الحىَّ من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها – إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثلِ رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبَى إلا الانحيازَ إليكم واللحوقَ بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإنْ كنتم ترون أنكم مُسْلِموه وخاذلوه بعدَ الخروج إليكم فمن الآن فدَعُوه ، فإنه فى عزة ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ماقلت ، فتكلَّمْ يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال : فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغَّب فى الإسلام ، قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال : نعم، فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا (١) ، فبايِعْنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر .

قال : فاعترض القولَ ، والبراء يكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إنّ بَيْنَنَا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها ، يعنى اليهود ، فهل عَسَيْت إن فعلنا ذلك ثم أظهرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا ؟

قال : فتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:« بل الدَّمَ الدم ، والهَدْمَ الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلىَّ منكم اثنىعشر نقيباً ، يكونون على قومهم بما فيهم » .

فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعةً من الخزرج وثلاثةً من الأوس .

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرَارة المتقدم ، وسعد بن الرَّبيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة] (٢) بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العَجْلان المتقدم ، والبَرَاء بن معرُور بن صخر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبيد بن عَدى ابن غَنْم بن كعب بن سلَمة بن سعد بن على بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن

---

(١) أزرنا : نساءنا . والعرب تكنى بالإزار عن المرأة وتكنى به عن النفس أيضا .
(٢) من ابن هشام .

الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقـدم ، وسعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن [أبى] خُزَيمة [1] بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعة من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة وهم : أُسَيد بن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة ابن غَنْم بن السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنير [2] بن زيد بن أميـة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس .

***

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيّهان بدلَ رفاعة هذا ، وهو كذلك فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، واختاره السُّهيلى وابن الأثير فى الغابة .

***

ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبى زيد الأنصارى فيما ذَكره من شِعر كعب بن مالك فى ذِكْر النقُباء الاثنى عشر هذه الليلة ، ليلة العقَبة الثانية ، حين قال :

أبلغْ أُبيًّا أنه فالَ [3] رأيُه ... وحانَ غَـداة الشِّعْبِ والحَيْنُ واقعُ
أَبَى الله مامَنَّتْك نفسُك إنه ... بمرْصادِ أمرِ النـاسِ راءٍ وسامعُ

(١) فى غريب السيرة لأبى ذر : ابن أبى خزيمة . (٢) الاستيعاب : ابن زبير .
(٣) فال : بطل .

وأبلغْ أبا سُفْيان أَنْ قد بَدَا لنــا ... بأحمدَ نورٌ مِنْ هُــدَى الله ساطعُ

فلا تَرْغَبَنْ فى حَشْـدِ أمرٍ تُريده ... وألِّبْ وَجمِّع كلَّ ما أنت جامــعُ

ودونَك فاعلمْ أنَّ نَقْضَ عهـودِنا ... أباه عليك الرهطُ حين تبـايعـوا

أباه البَراء وابنُ عمرو كلاهمـا ... وأسعــــدُ يأباه عليك ورافــعُ

وسعــدٌ أباه الســـاعدىُّ ومُنْذِرٌ ... لأَنْفك إنْ حاولتَ ذلك جادِعُ

وما ابنُ رَبيع إن تناولتَ عهـــده ... بمُسْلمـــــه لا يَطْمَعَنْ ثَمَّ طامــعُ

وأيضاً فلا يعطيكه ابنُ رَوَاحـــةٍ ... وإخْفــارُه من دونه السمُّ ناقــعُ

وفاءً به والقَوْقَــلى ابنُ صامتٍ ... بمَنْدوحـــةٍ عما تحاولُ يافــعُ

أبو هَيْثمٍ أيضــاً وفىٌّ بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهــد خانع[١]

وما ابن حُضَيْر إن أردتَ بمُطْمِعٍ ... فهل أنت عن أُحمـــوقة الغَىِّ نازعُ

وسعْـــدٌ أخو عمرو بن عوفٍ فإنه ... ضَرُوحٌ[٢] لما حاولت مِلْأمرِ مانعُ

أولاكَ نجـــومٌ لا يُغِبُّك منهمُ ... عليك بنَحْسٍ فى دجى الليـل طالعُ

قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولم يذكر رفاعة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلّية فى هذه الليلة .

* * *

وروى يعقوب بن سفيان ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن مالك قال : كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلا ، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وحدثنى شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أُسَيد بن حُضَير أحد النقباء تلك الليلة .

---

(١) خانع : خاضع مقر .

(٢) ضروح : مانع .

رواه البيهقى .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء كـكفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى . قالوا : نعم .

وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارى أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم .

قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنْهِكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قَتْلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إنْ فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقَتْل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا بذلك يارسول الله إن نحن وَفينا ؟

قال : « الجنة » .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عُبادة ذلك ليشدَّ العَقْد فى أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبى بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخِّر البيعةَ تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول سيد الخزرج ، ليكون أقوَى لأمر القوم . فالله أَعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فبنوا النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أولَ من ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق : وحدثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبدالله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن مَعْرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابن الأثير في الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك .

وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب ، عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أُحبُّ أن لى بها مَشْهَد بدر ، وإن كانت بدرٌ أَكْثَرَ[1] فى الناس منها .

***

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا عمرو بن السَّماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا زكريا بن أبى زائدة ، عن عامر الشَّعْبى قال : انطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلَّم متكلمكم ولا يُطل الخطْبة فإنّ عليكم من المشركين عيناً ، وإنْ يعلموا بكم يفضحوكم .

فقال قائلهم ، وهو أبو أمامة : سلْ يا محمد لربك ما شئت ، ثم سَلْ لنفسك بعد ذلك ماشئت ، ثم أخبرْنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك .

(١) البخارى : بدر أذكر . وفى المطبوعة : بدرا كثير . تحريف .

قال : أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك .

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك ؟

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مُجَالِد ، عن الشَّعبى ، عن أبى مسعود الأنصارى ، فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم .

وقال أحمد عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبى ، قال : فما سمع الشِّيبُ والشبان خطبةً مثلها .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن مُحمش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذُّهْلى ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرَّقى ، حدثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة ، عن أبيه ، قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة .

فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى بايعناه عليها .

وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد روى يونس عن ابن إسحاق ، حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ،

عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومَنْشَطنا ومَكْرَهنا وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم .

* * *

قال ابن إسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأَنْفَذ صوتٍ سمعته قط : يا أهل الجَبَاجب — والجباجب المنازل — هل لكم فى مُذَمَّم والصُبَّاء معه قد اجتمعوا على حربكم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هـذا أَزَبُّ العقبة ، هذا ابن أَزْيب[1] » .

قال ابن هشام : ويقال ابن أُزَيب .

« أتسمع أىْ عدوَّ الله ، أما والله لأتفرغن[2] لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضُّوا إلى رحالكم .

قال : فقال العباس بن عبادة بن نَضْلة : يا رسول الله والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلَنَّ على أهل منًى غداً بأسيافنا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فنِمنا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج

---

(١) الأصل : أزبب ، وما أثبته من ابن هشام.

(٢) ابن هشام : لأفرغن .

إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه مِن بين أظهُرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هناك مِن مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شىء وما علمناه .

قال : وصدقوا ، لم يعلموا ، قال وبعضُنا ينظر إلى بعض .

قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان .

قال : فقلت له كلمة ، كأنى أريد أن أُشْرِكَ القوم بهافيما قالوا : يا أبا جابر أمَا تستطيع أن تتخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَىْ هذا الفتى من قريش ؟

قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىّ . قال والله لتنتعلنهما .

قال يقول أبو جابر : مه أحْفَظْتَ والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت : والله لا أردُّهما ، فألٌ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لأَسْلُبنَّه !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا[1] على مثل هذا ، وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه .

قال : ونفَر الناسُ من منًى ، فتنطَّس القومُ الخبَر فوجدوه قد كان ، فخرجوا فى طلب القوم .

---

(١) ابن هشام : ليتفوتوا على بمثل هذا .

فأدركوا سعد بن عبـادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً .

فأما المنذر فأعجزَ القوم ، وأما سعد بن عبـادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقـه بِنِسْع[1] رَحْـله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّته ، وكان ذا شَعر كثير .

قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفرٌ من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلوٌ من الرجال ، فقلت فى نفسى : إن يَكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا .

فلما دنا منى رفع يده فلـكمنى لـكمة شديدة ، فقلت فى نفسى : لا والله ماعندهم بعدَ هذا من خير ! .

فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوَى لى رجل ممن معهم ، قال : ويحك ! أمَا بَيْنك وبين أحـد من قريش جوارٌ ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أُجيرُ لجُبَير بن مُطعِم تُجَّاره وأمنعهم ممن أراد ظُلْمهم ببلادى ، وللحارثِ بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بَيْنك وبينهما .

قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عنـد الـكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن لَيُضْرب بالأبطح لَيَهتِف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عُبـادة . قالا : صدَق والله ، إنْ كان لَيُجير لنـا تُجَّارنا ويمنعهم أن يُظْلَمُوا ببلده .

قال : فجـاءا فخلَّصا سـعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لـكَم سعداً سهيلُ ابن عمرو .

---

(١) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .

قال ابن هشام : وكان الذى أَوَى له أبو البَخْتَرِى بن هشام .

وروى البيهقى بسنده عن عيسى بن أبى عيسى بن جبير قال : سمعتْ قريشٌ قائلا يقول فى الليل على أبى قُبَيْس :

فإنْ يَسلم السَّعْدان يُصْبِحْ محمدٌ ... بمكة لا يَخْشَى حلافَ المخالفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : مَن السَّعدان ؟ أسعدُ بن بكر أم سعد بن هُذَيم ؟ .

فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول :

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُنْ أنت ناصراً ... ويا سعدُ سعدَ الخَزْرَجِينِ الغَطَارِفِ

أجيبا إلى داعى الهُدَى وتمنَّيَا ... على الله فى الفردوسِ مُنْيَة عارفِ

فإنَّ ثوابَ الله للطالب الهُدَى ... جِنَانٌ من الفردوس ذاتُ رَفَارِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

﴿ فصل ﴾

قال ابن إسحاق : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها .

وفى قومهم بقايا من شيوخٍ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمَة .

وكان ابنه مُعاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجَمُوح من سادات بنى سلَمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب فى داره يقال له مَناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذه إلها يعظِّمه ويطهره ، فلما أسلم فتيانُ بنى سلَمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدْلِجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض

حُفر بنى سَلَمة وفيها عَذِرُ الناس ِ منـكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمـرو قال : ويلـكم مَن عدَا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيَّبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأُخزينه . فإذا أمسى و نام عمرو عدَوا عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله و يطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أ كثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه. ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إنى والله ماأعلم من يصنع بك ماأرى، فإن كان فيك خير فامتنعْ ، هـذا السيف معك . فلما أمسى و نام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخـذوا كلباً ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عَذر من عذر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجـده فى تلك البئر منـكَّسا مقرونا بكلب ميت ، فلمـا رآه أبصر شأنه وكلَّمه من أسـلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسُن إسلامه، فقال حين أسلم ، وعرف من الله ماعرف ، وهو يذكر صنمَه ذلك وما أبصرَ من أمره، ويشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنتَ إلٰهـاً لم تـكن   أنت وكلبٌ وَسْطَ بـئر فى قَرَنْ
أُفٍّ لِمَلْقاكَ إلٰهـاً مُسْتَدَنْ   الآن فَتّشناك عن سوء الغَبَنْ
الحمـد لله العلىِّ ذى المِـنَنْ   الواهب الرَزَّاق دَيَّان الدِّيَنْ
هو الذى أنقـذنى من قبـل أنْ   أكون فى ظُلْمةِ قـبرٍ مُرْتَهَنْ

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

وجملتهم على ماذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلا :

أُسيد بن حُضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التَّيّهان بَدْرى أيضاً ، وسَلَمة بن سلامة ابن وَقَش بَدْرى ، وظُهير بن رافع ، وأبو بُرْدة بن نِيار[1] ، ونُهَير بن الهيثم بن نابى بن مَجْدعة بن حارثة ، وسعد بن خَيْثمة أحد النقباء ، بدرى وقتل بها شهيدا ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنير نقيب بَدْرى ، وعبد الله بن جُبَير بن النعمان بن أمية بن البُرَك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجدّ بن عَجْلان بن الحارث ابن ضُبَيعة البَلَوِى حليف للأوس شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعُوَيم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها .

ومن الخزرج اثنان وستون رجلا :

أبو أيوب خالد بن زيد ، وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عوف ومُعوّذوهم بنو عَفْراء بَدْريون ، وعُمارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ، وأسعد بن زُرَارة أبو أمامة أحد النقباء ، مات قبل بدر ، وسَهل بن عَتيك ، بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل ، بدرى ، وقيس بن أبى صَعْصَعة عمرو بن زيد بن عوف

---

(١) الأصل : دينار وهو خطأ . والتصويب من الكنى والأسماء للدولابى . واسمه هانئ بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب .

ابن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيّة ، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتل يوم أحد .

وعبد الله بن رَوَاحة أحد النقباء ، شهد بدرا وأُحداً والخندق . وقتل يوم مُؤتة أميرا ، وبَشِير بن سعد ، بدرى ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أُرِىَ النداء ، وهو بدرى .

وخَلَّاد بن سُوَيد بدرى أُحُدى خَنْدَقى ، وقتل يوم بنى قُرَيظة شهيداً ، طُرِحت عليه رحًى فشدَخَتْه ، فيقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

وأبو مسعود عُقبة بن عمرو البدرى . قال ابن إسحاق : وهو أحْدَثُ من شهد العقَبة سنًّا ولم يشهد بدراً .

وزياد بن لَبِيد ، بدرى ، وفَرْوة بن عمرو بن وذَفة[1] وخالد بن قيس بن مالك بدرى ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وذَكْوَان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زُرَيق ، وهو الذى يقال له مهاجرىّ أنصارى ، لأنه أقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر منها ، وهو بدرى قتل يوم أحد ، وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضاً .

والبَرَاء بن مَعْرور أحد النقباء وأولُ من بايع فيما تزعم بنو سلمة ، وقد مات قبل مَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته .

---

(١) الأصل : ودفة . وهى رواية . وما أثبته من الاشتقاق لابن دريد ٤٦١ قال : والوذفة زعموا الروضة . قال ابن هشام ويقال : ودفة .

وابنه بِشْر بن البَراء ، وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيدا مِن أكله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة ، رضى الله عنه ، وسِنَان بن صَيْفِىّ ابن صَخْر بدرى ، والطُّفَيل بن النُّعمان بن خَنساء بدرى ، قتل يوم الخندق ، ومَعْقِل بن المُنْذر بن سَرْح بدرى، وأخوه يزيد بن سنان المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سُبَيع ، والضَّحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى ، ويزيد بن خذام[1] بن سُبيع ، وجَبَّار بن صخر [بن أمية][2] بن خنساء بن سنان بن عُبيد بدرى ، والطُّفيل بن مالك بن خنساء بدرى .

وكعب بن مالك ، وسُلَيم بن عامر بن حديدة بدرى ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة بدرى ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى ، وصَيْفِىّ ابن سَواد بن عبّاد .

وثعلبة بن غَنَمة بن عدى بن نابى ، بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى ، وعَبْس بن عامر بن عدى ، بَدْرى ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى، وعبد الله بن أُنيس حليف لهم من قضاعة .

وعبد الله بن عمرو ين حَرام أحد النقباء ، بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر ابن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح بدرى ، وثابت بن الجِذْع ، بدرى وقتل شهيداً بالطائف ، وعُمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى ، وخَدِيج بن سَلَامة حليفٌ لهم[3] من بَلِىّ ، ومعاذ بن جبل شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عِمْواس فى خلافة عمر بن الخطاب .

وعُبَادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة ، وقد أقام بمكة حتى هاجر منها ، فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وقُتل يوم أحد

---

(١) الاستيعاب : ابن حرام . (٢) من ابن هشام .
(٣) أى لبنى حرام بن كعب .

شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرَم حليف لهم [من بنى غُصينة][1] من بَلِىّ وعمرو بن الحارث بن لِبْدَة[2] ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدرى ، وعقبة ابن وهب بن كَلْدة حليفٌ لهم[3] بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها ، فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وسعد بن عُبادة بن دُلَيم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيبٌ بدرى أُحُدى وقتل يوم بئر مَعُونة أميراً وهو الذى يقال له: أُعْنق ليموت .

وأما المرأتان فأم عُمَارة نَسِيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غَنْم بن مازن بن النجار ، المازنية النجّارية .

قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحربَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حَبيب[4] وعبد الله .

وابنها حَبيب[5] هذا هو الذى قتله مُسَيْلمة الكذّاب حين جعل يقول له : أتشهد أنّ محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يديه ، لا يزيده على ذلك ، فكانت أم عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلمة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة . رضى الله عنها .

والأخرى أم مَنِيع أسماء ابنة عمرو بن عَدِى بن نابِى بن عمرو بن سَواد بن غَنم بن كعب بن سلمة . رضى الله عنها .

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : كندة والتصويب من ابن هشام . (٣) أى لبنى سالم بن غنم
(٤) كذا ضبطه الزرقانى بفتح النون . (٥) الأصل خبيب وما أثبته عن ابن هشام .

باب

بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أُريتُ دارَ هجرتكم ، أريت سَبِخةً ذات نَخْل بَيْن لابتَيْن » .

فهاجر من هاجر قِبلَ المدينة حين ذَكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ورجَع إلى المدينة مَن كان هاجَر إلى أرض الحبشة من المسلمين .

رواه البخارى .

وقال أبو موسى : عن النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام أنّى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهبَ وَهلِي إلى أنها اليمامة أو هَجَر ، فإذا هى المدينة يثرب » .

وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله .

ورواه مسلم كلاهما عن أبى كُرَيب . زاد مسلم وعبد الله بن مراد ، كلاهما عن أبى أسامة ، عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة ، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى عبد الله ابن قيس الأشعرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو ، حدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامرى ، عن على بن الحسن بن شقيق، حدثنا عيسى بن عبيد الكِنْدى، عن غَيْلان بن عبدالله العامرى

عن أبى زُرْعة بن عمرو بن جَرِير ، عن جرير ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله أوحى إلىَّ أى هؤلاء البلاد الثلاثة نزلتَ فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قِنَّسرين » .

قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة ، فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب[1] جداً ، وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حُريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غَيْلان بن عبد الله العامرى ، عن أبى زُرْعة بن عمر بن جَرير ، عن جرير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أوحى إلى أىّ هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات ، إلا أنه قال : روى عن أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة. والله أعلم .

* * *

قال ابن اسحاق : لمّا أذن الله تعالى فى الحرب بقوله « أُذِن للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا ، وإن الله على نصرهم لقَدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حَق إلا أن يقولوا ربُّنا الله[2] » الآية .

فلما أذن الله فى الحرب وتابَعَه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصرة له ، ولمن

---

(١) قال الزرقانى : صححه الحاكم وأقره الذهبى فى تلخيصه ، لكنه قال فى الميزان : حديث منكر ، ما أقدم الترمذى على تحسينه بل قال غريب . وقال الحافظ : فى ثبوته نظر ، لمخالفته مافى الصحيح . شرح المواهب ١/٣١٨ . (٢) سورة الحج ٣٩، ٤٠ .

اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جَعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » .

فخرجوا إليها أرسالا .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يَأْذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقَبة بسنَة ، حين آذته قريش مَرْجِعه من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى ، عن سلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة ، عن جدته أم سلمة قالت : لما أجْمَع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره .

فلما رأته رجالُ بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غلَبْتَنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خِطَامَ البعير من يده وأخذونى منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رَهْط أبى سلَمة ، وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ،

وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة .

قالت : ففرِّق بينى وبين ابنى وبين زوجى .

قالت : فكنت أخرج كلَّ غداة فأجلس فى الأبطَح ، فما أزال أبكى حتى أمْسِى، سنةً أو قريبا منها .

حتى مرَّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرَحِمَنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تُحَرَّجون من هذه المسكينة ؟ فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ !

قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت .

قالت : فردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى ، قالت : فارتحلتُ بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة .

قالت : وما معى أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وبنىَّ هذا . فقال : والله ما لكِ مِنْ مَتْرَك .

فأخذ بخِطَام البعير فانطلق معى يَهْوِى بى ، فو الله ما صحبتُ رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيَّده فى الشجر ، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرَّواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحَّله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى . فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى .

فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدَمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف

بقُبَاء قال : زوجُك فى هذه القرية ، وكان أبو سلمة بها نازلا ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

فكانت تقول : ما أعلمُ أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان بن طلحة .

أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبْدَرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقُتل يوم أحد أبوه وإخوته ؛ الحارث وكلاب ومُسَافِع ، وعمه عثمان بن أبى طلحة . ودفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيحَ الكعبة ، أقرّها عليهم فى الإسلام كما كانت فى الجاهلية ، ونزل فى ذلك قوله تعالى : « إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها[١] » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدِمها من المهاجرين بعد أبى سلمة ، عامرُ بن ربيعة حليف بنى عَدِى ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة العدوية . ثم عبد الله بن جحش ابن رِئَاب بن يَعْمُر بن صَبِرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد بن خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ، أبى أحمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلى : والأول أصح .

وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعةُ بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

فغُلقت دار بنى جحش هِجْرةً ، فمرَّ بها عتبةُ بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب

---

(١) سورة النساء ٥٨ .

وأبو جهل بن هشام وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تَخْفُق أبوابُها يبَابًا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء وقال :

وكلُّ دارٍ وإن طالَتْ سلامتُها يوماً ستُدْرِكها النَّكْباء والحُوبُ

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى دُؤاد الإيادى فى قصيدة له . قال السهيلى : واسم أبى دؤاد حنظلة بن شرقى وقيل حارثة .

ثم قال عُتْبة : أصبحت دار بنى جحش خَلاءً من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من فُلِّ بن فل[1] ثم قال ، يعنى للعباس : هذا مِن عَمل ابن أخيك ، هذا فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وقطَع بيننا .

* * *

قال ابن إسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقُباء على مبشّر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا .

قال : وكان بنو غَنْم بن دُودَان أهلَ إسلام قد أَوْعَبوا إلى المدينة هجرةً رجالُهم ونساؤهم وهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأَرْبَد بن حُمَيرة[2] ومنقذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نَضْلة ، وزيد بن رُقَيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسَخْبَرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثُمامة ، وآمنة بنت رُقَيْش ، وسَخْبرة بنت تميم .

---

(١) الفل : الواحد .

(٢) ويقال فيه : ابن حميرة . وابن حمير .

قال أبو أحمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأتْنى أمُّ أحمد غاديًا ... بذِمَّةِ مَنْ أخشَى بغَيْبٍ وأَرهبُ
تقول فأمَّا كنتَ لابُدَّ فاعلا ... فيَمِّم بنا البلدانَ ولْتَنأْ يثربُ
فقلت لها : مايثربٌ بمَظِنَّةٍ [1] ... وما يَشأ الرحمن فالعبدُ يَركبُ
إلى الله وجهى والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوماً وجهَه لا يخيَّبُ
فكَمْ قد تركْنَا من حَميمٍ مُنَاصحٍ ... وناصحةٍ تبكى بدَمْع وتَنْدُبُ
تَرى أن وَتْراً نَأْيُنا [2] عن بلادنا ... ونحن نرى أنَّ الرغائبَ نَطْلبُ
دعوتُ بنى غَنْم لحَقْنِ دمائهم ... وللحقِّ لمَّا لاح للناس مَلْحَبُ
أجابوا بحمدِ الله لما دعاهمُ ... إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوعبُوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهُدَى ... أعانوا علينا بالسلاحِ وأجلبُوا
كفَوْجَيْن أما منهما فموفَّقٌ ... على الحق مهدىٌّ وفوجٌ معذَّبُ
طَغَوْا وتمنَّوا كِذْبةً وأزلَّهم ... عن الحق إبليسٌ فخابوا وخُيِّبوا
ورُعْنا إلى قولِ النبىِّ محمدٍ ... فطابَ ولاةُ الحق منَّا وطُيِّبوا
نَمُتُّ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ... ولا قُرْبَ بالأرحامِ إذ لا تُقرَّبُ
فأىُّ ابنُ أخت بعدَنا يأمنَنَّكمْ ... وأيةُ صهرٍ بعد صهرِىَ يُرْقَبُ
ستَعْلَم يوماً أيُّنا إذْ تزَايلوا ... وزُيِّل أمرُ الناس للحقِّ أَصْوَبُ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعَيَّاش بن أبى ربيعةَ ، حتى قدما المدينة .

---

(١) ابن هشام : فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا . (٢) الأصل : نائيا . وهو تحريف وما أثبته عن ابن هشام .

فحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : اتَّعدنا لمّا أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص التناضُبَ من إضاة بنى غِفَار فوق سَرِف ، وقلنا : أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس ، فليَمْض صاحباه .

قال : فأصبحتُ أنا وعياش عند التناضب ، وحُبس هشام وفتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنـا فى بنى عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمِّهما ، حتى قدِما المدينـةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فـكلماه وقالا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إنْ يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحـذرهم ، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت !

قال : فقال : أبرُّ قسمَ أمى ، ولى هنالك مال فآخذه . قال : قلت : والله إنك لتعلم أنى لَمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما .

قال : فأبَى علىَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمَّا إذ فعلتَ مافعلت فخذ ناقتى هـذه ، فإنها ناقة نَجيبة ذَلول فالزم ظهرها ، فإن رابَك من أمر القوم ريبٌ فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعْقبني على ناقتك هـذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلمـا استووا بالأرض عدَوْا عليـه فأوثقاه رباطا ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن .

قال عمر : فـكنـا نقول : لا يقبـلُ الله ممن افتتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم .

حتى قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنزل الله : « قُلْ يَـٰعِبَادِىَ الذينَ أَسْرَفواْ على أنفسهم لا تَقْنَطواْ من رحمةِ الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفورُ الرحيم . وأَنِيبُوٓاْ إِلىٰ ربِّكم وأَسْلِمواْ له مِنْ قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ ثم لا تُنْصَرون . واتَّبِعوٓاْ أحسنَ مآ أُنزل إليكم من رَّبِّكم مِن قَبْلِ أن يأتيكم العذابُ بَغْتةً وأنتم لا تشعرون »[1] .

قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص .

قال هشام : فلما أتتنى جعلت أقرأها بذى طُوًى أصعِّد بها وأُصوِّب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهِّمْنيها ، فألقَى الله فى قلبى أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا .

قال : فرجعتُ إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وذكر ابن هشام أن الذى قدم بهشام بن العاص، وعَيَّاش ابن أبى ربيعة إلى المدينة الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبَعٌ دَمِيتِ ... وفى سبيل الله ما لقيتِ

***

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعْبة ، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء قال : أولُ من قدِم علينا مُصْعبُ بن عُمير وابن أم مَكْتوم ، ثم قدِم علينا عَمَّار وبلال .

وحدثنى محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، سمعت البرَاء

---

(١) سورة الزمر ٥٣ـ٥٥.

ابن عازِب قال : أولُ من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يُقْرِئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين نفراً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بشىء فرَحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جعل الإماء يقلن : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما قدِم حتى قرأتُ « سبِّح اسمَ ربك الأعلى » فى سور من المفصل .

ورواه مسلم فى صحيحه من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب بنحوه .

وفيه التصريح بأن سعد بن أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب ماتقدم .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سُراقة بن المعتمر ، وخُنَيس بن حُذافة السَّهمى زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبد الله التميمى حليفٌ لهم، وخَوْلى بن أبى خولى ، ومالك بن أبى خولى حليفان لهم من بنى عِجل ، وبنو البُكَير إياس وخالد وعاقل وعامر ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة عبد المنذر بن زُنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء .

***

قال ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم . فنزل طلحة بن عبيد الله وصُهيب بن سِنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقال : بل نزل طلحة على أسعد بن زُرَارة .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النَّهْدى أنه قال : بلغنى أن صُهَيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكَثُر مالك عندنا وبلغتَ الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ ! والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلُّون سبيلى ؟ قالوا : نعم .

قال : فإنى قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « رَبِح صهيب ، ربح صهيب » .

وقد قال البيهقى : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ، إملاء ، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن مِيكال ، أخبرنا عبدان الأهوازى ، حدثنا زيد بن الجريش ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا حصين بن حذيفة بن صَيْفى بن صهيب ، حدثنى أبى وعمومتى ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن صُهيب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُريت دارَ هجرتكم سَبِخةَ بين ظَهْرانى حرَّتين ، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب » .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدَّنى فتيانٌ من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه . ولم أكن شاكيا ، فناموا . فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ماسرتُ يريدون ليردُّونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقىَ من ذهب وتخلون سبيلى وتوفون لى ؟ ففعلوا فتبعتهم إلى مكة . فقلت : احفروا تحت أسكُفَّة الباب فإنّ بها أواقى ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الُحلَّتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباَء قبل أن يتحوَّل منها،

فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى رَبِـح البيع » فقلت : يارسول الله ماسبقنى إليك أحـدٌ وما أخبَرَكَ إلا جبرائيل عليه السلام .

* * *

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مَرْثِد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغَنَوِيَّان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مَوْلَيا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهَدْم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . والله أعلم .

قال : ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ، ومِسْطَح بن أثاثة وسُوَيبط ابن سعد بن حُريملة أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصى ، وخَبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان على عبد الله بن سلمـة أخى بلعجلان بقباء[1] ، ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رُهْم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاَح بالعصبة دار بنى جحجبى ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال ابن إسحاق . وقال الأموى : على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة . ونزل عتبة بن غَزْوان على عَبَّاد بن بِشر بن وقَش فى بنى عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس ابن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار .

---

(١) ابن هشام : أخى بلحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَبا . والله أعلم أى ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى أحمد بن أبى بكر بن الحارث بن زُرارة ابن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : قدمنا [من] مكة فنزلنا العُصْبة[1] ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة ، فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

(١) العصبة : موضع بقباء .

فصــــل

فى سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَفْسه الـكريمة

قال الله تعالى « وقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاُجْعَل لِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَـٰنا نَّصِيراً » .

أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء ، أنْ يَجْعل له مما هو فيه فرَجا قريبا ومَخْرجا عاجلا ، فأذِن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة النبوية ، حيثُ الأنصارُ والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلُها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شَيْبة، عن جَرير ، عن قابوس بن أبى ظبيان(1) ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأُمر بالهجرة وأُنزل عليه : « وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاُجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَـٰنا نَّصِيراً » .

وقال قتَادة : « أدخلنى مُدْخَل صدق » المدينة « وأخرجنى مُخْرَج صدق » الهجرة من مكة « واجعل لى مِنْ لدنك سلطانا نصيراً » كتابُ الله وفرائضه وحدوده .

***

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعدَ أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَن له فى الهجرة .

---

(1) ح : قابوس بن أبى طهمان .

ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة رضى الله عنهما .

وكان أبو بكر كثيراً مايستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له « لا تَعْجَل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يَكُونه .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شِيعةٌ وأصحابٌ مِن غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منَعة .

فحَذِروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم .

فاجتمعوا له فى دار النَّدوة ، وهى دار قُصَى بن كِلاَب التى كانت قريش لا تَقْضى أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدَّثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن عبد الله بن عباس ، وغيرُه ممن لا أتهم ، عن عبد الله عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدَوْا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليه بَتٌّ له [1] فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا : مَن الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهل نجد ، سمع بالذى اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع ماتقولون ، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا : أجل فادخل .

(١) البت : الكساء الغليظ . وفى المطبوعة : بتلة ، وهو خطأ .

فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش : عُتبة وشيبة ، وأبو سفيان ، وطعيمة ابن عـدى ، وجبير بن مطعم بن عـدى ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وأبو البَخْترى بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل ابن هشام ونَبِيه ومُنبه ابنا الحجاج ، وأمية بن خلَف ، ومن كان منهم ، وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان مِن أَمْره ماقد رأيتم ، وإننا والله مانأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .

قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم ، قيل إنه أبو البَخْترى بن هشام : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهَيرا والنابغة ومَنْ مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ماهذا لـكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليَخرجنَّ أمرُه من وراء الباب هـذا الذى أغلقتُم دونَه إلى أصحابه ، فلأَوْشَـكوا أن يَثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يُـكَاثروكم به حتى يَغْلبوكم على أمركم ، ماهـذا لـكم برأى .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهُرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله مانُبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرَغْنا منه فأصلحنا أمرَنا وأُلْفتنا كما كانت .

قال الشيخ النجدى : لا والله ماهذا لـكم برأى ، ألم ترَوْا حُسْنَ حديثه وحلاوةَ منطقه وغلبَته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يَحلَّ على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم

إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمرَكم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أَدِيروا فيه رأياً غيرَ هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمُه فى القبائل جميعها ، فلم يَقْدر بنو عبد مناف على حرب قومِهم جميعا ، فرضُوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : يقول الشيخ النجدى : القولُ ماقال الرجل ، هذا الرأىُ ولا رأىَ غيره .

فتفرق القوم على ذلك وهم مُجْمعون له .

فأتى جبرائيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لاتبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

قال : فلما كانت عَتَمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدونه حتى ينام فيَثِبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانَهم قال لعلى بن أبى طالب : نَمْ على فراشى وتسجَّ ببردى هذا الحضْرمى الأخضر ، فنم فيه فإنه لن يَخْلصُ إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التى ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده ، عن عائشة وابن عباس وعلى وسُراقة بن مالك بن جُعْشُم وغيرهم ، دخل حديثُ بعضهم فى بعض ، فذكر نحو ماتقدم .

* * *

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيدُ بن أبى زِيَاد، عن محمد بن كَعْب القُرَظى ، قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل قال وهُم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجَم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جِنَانٌ كجنان الأردُنّ ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذَبْحٌ ، ثم بُعثتم بعدَ موتكم ، ثم جُعلت لكم نارٌ تُحْرَقون فيها .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم » .

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل يَنْثر ذلك الترابَ على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات : « يٰس . والقرآنِ الحكيمِ . إنَّك لَمِن المُرْسَلين على صِراطٍ مُسْتَقيم » إلى قوله : « وجعلنا مِنْ بَيْن أيديهم سَدًّا ومِنْ خَلْفهم سَدًّا فأغشيناهم فهم لا يُبْصرون » ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلا وقد وضَع على رأسه ترابا .

ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ماتنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا . فقال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون مابكم ؟ !

قال : فوضع كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرون عليًّا على الفراش متسجِّيا ببُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه بردُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علىٌّ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدَقنا الذى كان حدَّثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قولُه تعالى : « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليُثْبتوك أو يقتلوك أو يُخْرجوك ، ويَمْكُرون ويمكُرُ الله ، والله خيرُ الماكرين »[1] وقوله « أَمْ يقولون شاعرٌ نتربَّص به ريبَ المَنُون قل تربَّصوا فإنِّى معكم مِن المُتَربِّصين »[2] .

قال ابن إسحاق : فأذِن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة .

(١) سورة الأنفال ٣٠ .
(٢) سورة الطور ٣١ .

باب

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامى ، كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العُمَرية . كما بينَّاه فى سيرة عمر ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

قال البخارى : حدثنا مَطر بن الفضل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بُعث النبى صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحَى إليه ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة .

وقد كانت هجرته عليه السلام فى شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام ، وذلك فى يوم الإثنين .

كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس ، أنه قال : ولد نبيكم يوم الإثنين ، وخرج من مكةَ يومَ الإثنين ، ونبِّئ يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فقال له : لا تَعْجَل لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسَه .

فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما إعداداً لذلك . قال الواقدى : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت : كان لا يُخْطِىء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيتَ أبى بكر أحدَ طرفى النهار إمّا بُكرة ، وإما عشيَّة .

حتى إذا كان اليومُ الذى أَذِن الله فيه رسولَه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظَهْرَى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها .

قالت : فلما رآه أبو بكر قال :ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجْ عنِّى مَن عندك » قال : يارسول الله إنما هما ابنتاى ، ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟

قال : إن الله قد أَذِنَ لى فى الخروج والهجرة .

قالت : فقال أبو بكر : الصحبةَ يارسول الله ؟ قال : الصحبة .

قالت : فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى !

ثم قال : يانبى الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا .

(١) ابن هشام : وليس عند أبى بكر .

فاستأجرا عبدَ الله بن أَرْقَط[1] قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أُرَيْقط . رجلاً من بنى الدِّيل بن بكر ، وكانت أمه من بنى سَهم بن عمرو ، وكان مشركاً ، يدلُّهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم ، فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ حين خرج إلا علىّ بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر .

أما علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَره أن يتخلَّف حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائعَ التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لمَا يعلم من صدقه وأمانته .

قال ابن إسحاق : فلما أجْمَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [الخروجَ][2] أتى أبا بكر ابن أبى قحافة ، فخرجا من خَوخة لأبى بكر فى ظهر بيته .

وقد روى أبو نُعيم من طريق إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال .

« الحمد الله الذى خلَقنى ولم أَكُ شيئا ، اللهم أعنّى على هَوْل الدنيا ، وبوائقِ الدهر ، ومصائِب الليالى والأيام .

اللهم اصحَبْنى فى سفَرى ، واخلُفْنِى فى أهلى ، وبارك لى فيما رزقتنى ، ولك فذَلِّلنى ، وعلى صالح خُلقى فقوِّمنى ، وإليك ربِّ فحَبِّبْنى ، وإلى الناس فلا تكِلْنى .

ربَّ المستضعفين وأنت ربى ، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات

---

(١) الأصل : أرقد : وما أثبته عن ابن هشام . (٢) من ابن هشام .

والأرض ، وكُشفت به الظلمات ، وصَلُح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تُحِلَّ علىّ غضبَك ، أو تنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفَجْأةِ نقمتك ، وتحوُّل عافيتك وجميع سخطك . لك العُتْبى[1] عندى خير ما استطعتُ ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم عَمَدا إلى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخلاه .

وأمر أبو بكر الصديق ابنَه عبد الله أن يتسمَّع لهما مايقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسَى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبَر .

وأمر عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار .

فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبَر .

وكان عامر بن فُهيرة يرعى فى رُعْيَان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدَا عبدُ الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ ابن فهيرة أثره بالغنم يعفِّى عليه .

وسيأتى فى سياق البخارى مايشهد لهذا .

وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَق الصدِّيقَ فى الذهاب إلى غارِ ثور ، وأمر عليًّا أن يدلَّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه فى أثناء الطريق .

---

(١) الأصل : العقبى

وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

* * *

قال ابن إسحاق : وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمسَتْ بما يُصْلحهما .

قالت أسماء : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطَم خدّى لطمة طرَح منها قُرْطى ، ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه ، عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر مالَه كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، فانطلق بها معه .

قالت : فدخل علينا جدى أبو قُحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنِّى لأراه قد فجعَكم بماله مع نفسه .

قالت : قلت : كلاَّ يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذتُ أحجاراً فوضعتها فى كوَّةٍ فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغٌ لكم .

ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك !

* * *

وقال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر قَبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

وهذا فيه انقطاع من طرفيه ..

وقد قال أبو القاسم البَغوى : حدثنا داود بن عمرو الضِّبى ، حدثنا نافع بن عمر الُجمَحى ، عن ابن أبى مُلَيكة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر إلى ثَور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى صلى الله عليه وسلم مرةً ، وخلْفه مرة . فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفَك خشيتُ أن تؤتَى من أمامك ، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى مِن خلفك .

حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور ، قال أبو بكر : كما أنت حتى أُدْخل يدى فأحسَّه وأقصَّه ، فإن كانت فيه دابةٌ أصابتنى قبلَك .

قال نافع : فبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شىء يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مرسَل . وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق رضى الله عنه .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنبأنا موسى بن الحسن ، حدثنا عبَّاد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا السَّرِىّ بن يحيى . حدثنا محمد بن سيرين ، قال : ذَكر رجالٌ على عهد عمر ، فكأنهم فضَّلوا عمرَ على أبى بكر ، فبلغ ذلك عمرَ فقال : والله لَلَيلَةٌ من أبى بكر خيرٌ من آل عمر ، ولَيومٌ من أبى بكر خير من آل عمر !

لقد خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل

يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطَّلَب فأمشى خلفْك ، ثم أذكر الرَّصَد فأمشى بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شىء لأحببتَ أن يكون بك دونى ؟ قال : نعم والذى بعثك بالحق .

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسولَ الله حتى أَسْتبرئَ لك الغارَ ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل .

ثم قال عمر : والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رِجْلاَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغارَ سدد تلك الأَجْحرة كلَّها وبقى منها جحر واحد ، فألقمه كعبَه ، فجعلت الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن إن الله معنا » .

وفى هذا السياق غرابة ونكارة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو . قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا عباس الدُّورى ، حدثنا أسود بن عامر شاذان ، حدثنا إسرائيل ، عن الأسود ، عن جُنْدب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ، فأصاب يدَه حجر فقال :

إنْ أنت إلا إصبعٌ دَميتِ وفى سبيل الله ما لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، أخبرنى عثمان الجَزَرى ، أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله تعالى « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليُثْبِتُوكَ » قال : تشاورت قريش ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأَثْبتوه بالوثاق ، يريدون النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم: بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات علىٌّ على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا عليًّا رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدرى .

فاقتفوا أَثرَه ، فلما بلغوا الجبلَ اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أَحد لم يكن نسجُ العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .

وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

[وقال الحافظ[١] أبو بكر أحمد بن على بن سعيد القاضى فى مسند أبى بكر ، حدثنا بَشَّار الخَفَّاف، حدثنا جعفر وسليمان[٢] ، حدثنا أبو عمران الجَوْنى ، حدثنا المعلَّى بن زياد ، عن الحسن البصرى ، قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسجَ العنكبوت قالوا : لم يدخل أحدٌ .

---

(١) سقط هذا الخبر من (ا) (٢) كذا ولعله جعفر بن سليمان الضبعى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلِّي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قومُك يطلبونك ، أمَا والله ما على نفسى أَئِلُ[1] ولكنْ مخافةَ أن أرى فيك ما أكره .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تَخَفْ إنّ الله معنا » .

وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسنٌ بحاله من الشاهد .

وفيه زيادةُ صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزَنه أمرٌ صلَّى .

وروى هذا الرجل ، أعنى أبا بكر أحمد بن على القاضى ، [عن] عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مُطير ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن أبا بكر قال لابنه : يابنى إذا حدَث فى الناس حدَثٌ فَأْت الغارَ الذى اختبأتُ فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه ، فإنه سيأتيك رزقُك فيه بكرةً وعشيا][2] .

وقد نظم بعضهم هذا فى شعره حيث يقول :

نَسْجُ داودَ ما حَمى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخَارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عشَّشتا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصَّرْصرى فى شعره حيث يقول :

فغمَّى عليه العنكبوتُ بنَسْجه ... وظلَّ على الباب الحمامُ يبيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر ، من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عمرو بن على ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القَيْسى ، ويلقَّب بعُوَين[3] ، حدثنى أبو مُصْعَب المكِّى ، قال : أدركت زيدَ بن أرقم والمغيرة بن شُعْبة وأنس بن مالك ،

---

(١) أئل : أحزن . (٢) إلى هنا من (١) . (٣) الأصل : عوين .

يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلةَ الغار أمر الله شجرةً فخرجت فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم تستره ، وأنّ الله بعث العنكبوت فنسجَتْ ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وَحْشيتين فأقبلتا تَدِفَّان[1] حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجلٌ ، معهم عِصيّهم وقِسيُّهم وهِرَاواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر مائتى ذراع قال الدليل ، وهو سراقة بن مالك بن جُعْشم المُدْلجى : هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضَع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئْ منذ الليلة . حتى إذا أصبحوا[2] قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدرَ خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ، فرجع[3] فقالوا : ما ردَّك أن تنظر فى الغار؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين بفَم الغار ، فعرفت أنْ ليس فيه أحد .

فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما ، أى برّك عليهما ، وأَحْدَرهما الله إلى الحرَم فأفرَخا كما ترى .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ، قد رواه الحافظ أبو نُعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عَون بن عمرو ، وهو الملقب بعُوَين ، بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين .

وفى هذا الحديث أن القائف الذى اقتفى لهم الأثرَ سُراقة بن مالك المُدْلجى .

وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الأثر كُرْز بن علقمة .

---

(١) الدفيف من الطائر : مره فوق الأرض أو أن يحرك جناحاه ورجلاه فريق الأرض .
(٢) الأصل : أصبحن . وهو تحريف . (٣) الأصل : ترجع . وهو تحريف .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر . والله أعلم .

***

وقد قال الله تعالى : « إلاَّ تَنْصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانِىَ اثنين إذ هُما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تَحْزَن إنَّ الله معنا . فأنزل الله سَكِينَته عليه وأيَّده بجنودٍ لم ترَوْها ، وجعَل كلمة الذين كَفروا السُّفْلَى وكلمة الله هى العُلْيا ، والله عزيزٌ حكيم(١) » .

يقول تعالى مؤنِّباً لمن تخلَّف عن الجهاد مع الرسول : « إلّا تَنْصروه » أنتم فإنّ الله ناصِره ومؤيده ومُظْفره ، كما نصره « إذْ أخرَجه الذين كفروا » من أهل مكة هارباً ليس معه غيرُ صاحبه وصَديقه أبى بكر ليس غيره .

ولهذا قال « ثانىَ اثنين إذ هما فى الغار » أى وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليَسْكُن الطَّلبُ عنهما .

وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا فى طلبهما كلَّ مَذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردَّهما ، أو أحدَهما مائةً من الإبل ، واقتصُّوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الأثر لقريش سُراقةُ بن مالك بن جُعْشُم كما تقدم ، فصعدوا الجبلَ الذى هما فيه ، وجعلوا يمرّون على باب الغار ، فتُحَاذِى أرجلُهم لباب الغار ولا يرونهما ، حفظا من الله لهما .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همَّام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار : لو أنّ أحدَهم نَظَر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

---

(١) سورة التوبة : ٤٠ .

فقال : « يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما » .

وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به .

وقد ذكر بعضُ أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هنا .

فنظر الصِّديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ، وسفينة مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمُنْكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يَرِدْ ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حَسُن سنده قلنا به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البَزَّار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا خلَف بن تميم ، حدثنا موسى بن مُطَير القُرشى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بنى إنْ حدَث فى الناس حدثٌ فأتِ الغار الذى رأيتنى اختبأتُ فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكُنْ فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غُدْوةً وعَشِية .

ثم قال البزار : لا نَعْلم يرويه غيرُ خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذَّبه يحيى بن مَعِين فلا يُقْبل حديثه .

* * *

وقد ذكر يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، أن الصِّديق قال فى دخولهما الغارَ ، وسَيْرهما بعد ذلك ، وما كان من قصة سُرَاقة كما سيأتى ، شعراً فمنه قوله :

قال النـــبىُّ ، ولم أَجْزَع يُوقِّرُنى   ونحن فى سُدْفٍ[1] من ظُلْمة الغارِ
لا تَخْشَ شيئاً فإنَّ الله ثالثُنا   وقد توكَّل لى منـــه بإظْهارِ

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد ، عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم .

وقد روى ابن لِهَيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج ، يعنى الذى بايع فيه الأنصار ، بقيةَ ذى الحجة والمحرم وصفر .

ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، فأَطْلَعَه الله على ذلك فأنزل عليه : « وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا[2] » الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلا .

وقد تقدم عن الحسن البصرى فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضا .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث عن عُقَيل قال ابن شِهاب : فأخبرنى عُروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل أبوىَّ قَط إلا وهما يَدِينان الدِّين ، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بُكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة وهو سيد القارَة .

---

(١) ابن هشام : سدفة .   (٢) سورة الأنفال ٣٠ .

فذكرت ما كان من ردِّه لأبى بكر إلى مكة وجواره له . كما قدمناه عند هجرة الحبشة إلى قوله : فقال أبو بكر : فإنّى أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قالت : والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنى أُريت دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتَيْن » وهما الحرّتان .

فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ، ورجع بعضُ من كان هاجر قِبَل الحبشة إلى المدينة .

وتجهز أبو بكر مهاجراً قِبَل المدينة . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم .

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورقَ السَّمُر ، وهو الخَبَط ، أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى حَرِّ الظهيرة ، فقال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنِّعاً فى ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر !

قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأَذن له ، فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أخرجْ من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك بأبى أنت يا رسولَ الله .

قال : فإنه قد أُذن لى فى الخروج . فقال أبو بكر : الصحبةَ بأبى أنت وأمى ! قال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحثَّ[1] الجِهَاز ، فصنعنا لهما سُفْرةً[2] فى جِراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سُميت ذاتَ النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثَور ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شابٌ ثَقِفٌ لَقِنٌ[3] ، فيُدْلج مِن عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش بمكةَ كبائتٍ ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلامُ ، ويرعَى عليهما عامرُ بن فُهَيرة مولى أبى بكر منحةً من غنم فيُريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رِسْل ، وهو لبن منحتِهما ورضيفهما[4] ، حتى يَنْعق بها عامر بن فهيرة بغَلَس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الدِّيل ، وهو من بنى عبد بن عدى ، هاديا خِرِّيتاً . والخريت : الماهر بالهداية . قد غَمَس[5] حِلفاً فى آل العاص بن وائل السَّهمى ، وهو على دين كفار قريش ، فأمِنَاه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليلُ ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المُدْلجى وهو ابن أخى سُرَاقة ، أن أباه أخبره أنه سمع سراقةَ بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رُسُل كفار قريش

---

(١) أحث الجهاز : أسرعه . وتروى : أحب الجهاز . (٢) سفرة : زادا .

(٣) ثقف : حاذق . ولقن : سريع الفهم . (٤) الأصل : ورضيعهما . وما أثبته من البخارى . والرضيف : اللبن يغلى بالرضفة (٥) غمس حلفا : عقده . وكانوا يغمسون أيديهم فى جفنة توكيدا للحلف .

يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ديةَ كل واحد منهما لمن قتله أو أسَره .

فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلج ، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفا أَسْوِدةً [(١)] بالساحل أراها محمداً وأصحابه .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيتَ فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعةً ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تَخْرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت فخططت بزُجِّه [(٢)] الأرضَ وخفضتُ عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها فدفعتها تقرّبُ [(٣)] بى حتى دنوتُ منهم ، فعثرت بى فرسى فخَرَرْت عنها ، فقمت فأَهْوَيْت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلامَ ، فاستقسمت بها أضرّهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره . فركبت فرسى وعصيت الأزلامَ .

فجعل فرسى يقرّب بى ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكْثر الالتفات ، ساخَتْ يدَا فرَسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتُها فنهضَتْ ، فلم تكد تُخْرج يديها ، فلما استوت قائمة إذَا لِأَثرِ يديها غبارٌ ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ الأزلامَ فخرج الذى أكره .

---

(١) الأسودة : يكنى بها عن الشخص . (٢) الزج : حديدة تجعل فى طرف الرمح .
(٣) الأصل : ففرت . وما أثبته من البخارى .

فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبْس عنهم أنْ سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إنّ قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبارَ مايريد الناسُ بهم ، وعرضت عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يرْزَآنى[1] ولم يسألانى إلا أن قالا : أَخْفِ عنا . فسألته أن يكتب لى كتابَ أمْن ، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب لى رقعة من أَدَم . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

***

وقد روى محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم ، عن أبيه ، عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ ماخرج من منزله فخرج السهم الذى يكره : لا يضرُّه ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكلُّ ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره : لايضره . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارةً مابينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فكتب لى كتابا فى عَظْم ، أو رقعة أو خرقة ، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرَانة مَرْجِعَه من الطائف ، فقال له « يومُ وفاء وبرّ ، ادنه » فدنوت منه وأسلمت .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .
وهذا الذى قاله جيّد .

ولما رجع سُرَاقة جعل لا يلقَى أحدا من الطَّلب إلا ردَّه وقال : كُفيتم هذا الوجه .

---

(١) الأصل : فلم يردانى وهو تصحيف وما أثبته من صحيح البخارى .

فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة ، جَعل سراقة يقصُّ على الناس مارأى وماشاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قصة جواده ، واشتهر هذا عنه ، فخاف رؤساء قريش معرَّته ، وخشوا أن يكون ذلك سببا لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة أميرَ بنى مُدْلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ، لعنه الله ، إليهم :

بنى مُدْلجٍ إنى أخاف سفيهكم سراقةَ مُسْتَغْوٍ لنَصْر محمدِ
عليكم به ألاَّ يفرِّق جَمْعَكم فيصبح شتَّى بعد عزٍ وسؤددِ

قال : فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا :

أبا حكَمٍ والله لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادى إذ تَسُوخ قوائمُهْ
عجبْتَ ولم تَشْكُكْ بأنّ محمداً رسولٌ وبرهان فمن ذا يقاومه (١)
عليك فكُفَّ القومَ عنه فإننى أخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودُّ النصرَ فيه فإنهم وإنَّ جميعَ الناس طُرًّا مُسَالِمُهْ

وذكر هذا الشعرَ الأموى فى مغازيه بسنده عن أبى إسحاق ، وقد رواه أبو نُعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد فى شعر أبى جهل أبياتا تتضمن كفراً بليغا .

***

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرنى عُروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض .

---

(١) ا : نبى وبرهان فمنذا يكلمه .

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا دُون كلَّ غداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حَرُّ الظهيرة .

فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفَى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ[١] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبَصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين[٢] يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهوديُّ أنْ قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جَدُّكم الذى تنتظرون .

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْر الحَرَّة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق مَن جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيِّى أبا بكر ، حتى أصابت الشمسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك .

فلبث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أُسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مِرْبَداً للتمر

---

(١) الأطم : الحصن . (٢) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساها إياهم الزبير وطلحة . وقال ابن التين : يحتمل أن معناها مستعجلين ، قال ابن فارس : يقال : بائض أى مستعجل شرح المواهب ١ / ٣٥٠ .

لسُهَيل وسَهْل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمِرْبَد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً .

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللَّبِن فى بنيانه ، وهو يقول حين ينقُل اللبن :

هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرْ   هــذا أبرُّ رَبَّنا وأَطْهَرْ

ويقول :

لاهُمَّ إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصـار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسمَّ لى . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات .

هذا لفظ البخارى ، وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر ، وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية .

ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا .

***

قال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العَنْقَزِىّ (١) ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر لعازب : مُر البراء فليحمله إلى

---

(١) نسب إلى العنقز وهو الريحان ، كان يبيعه أو يزرعه ، مات سنة ١٩٩ يروى عن إسرائيل والثورى . اللباب ٢ / ١٥٦ .

منزلى . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صَنعتَ حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

فقال أبو بكر : خرجنا فأَدْلجنا فأحثَثْنا يومَنا وليلتنا حتى أَظْهَرْنا وقام قائمُ الظهيرة ، فضربتُ بصرى هل أرى ظِلاًّ نأوِى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقية ظِلها فسوّيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروةً وقلت : اضطجع يارسول الله . فاضطجع .

ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلَب ، فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها ثم أمرته فنفَض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفَّيه من الغبار ، ومعى إدَاوة على فمها خرقة فحلب لى كُثبة[1] من اللبن ، فصبَبْت على القدَح حتى برَد أسفله ، ثم أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوافَيْته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يارسول الله . فشرب حتى رضيت، ثم قلت : هل آن الرحيلُ ؟ فارْتحَلْنا والقوم يطلبوننا .

فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سُرَاقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تحزن إنّ الله معنا » .

حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه قدرُ رُمْح ، أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ، قلت: يارسول الله هذا الطلبُ قد لحقنا ! وبكيت ، قال : لم تبكى ؟ قلت : أما والله ماعلَى نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكْفِناَه بما شئت » فساختْ قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صَلْدٍ ، ووثب عنها وقال : يامحمد قد علمت أن هذا عملُك

(١) الكثبة : القليل من اللبن .

فادعُ الله أن ينجينى ممـا أنا فيه ، فوالله لأُعَمِّين على مَن وراثى من الطلب ، وهـذه كنانتى نخذ منها سهما فإنك ستمرُّ بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا نخـذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لى فيها » ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُطلق ورجع إلى أصحابه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس ، نخرجوا فى الطرق [و] على الأناجير(١) ، واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء محمد .

قال : وتنازع القومُ أيهم ينزل عليه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلُ الليلةَ على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غَدا حيث أُمر .

قال البراء : أولُ من قَدِم علينا من المهاجرين مُصْعَب بن عُمير أخو بنى عبدالدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنِى فِهْر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، فقلنا : مافعل رسول الله ؟ قال : هو على أثَرى . ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه .

قال البراء : ولم يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سوراً من المفصّل .

أخرجاه فى الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا . إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

* * *

---

(١) الأناجير : السطوح .

وقال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقةٍ لمن ردَّه عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكَن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسُفرْتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصَاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به . فكان يقال لها : ذات النِّطاقين لذلك .

قال ابن إسحاق : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبى وأمى ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى . قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتَها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها بذلك . قال : هى لك يارسول الله .

وروى الواقدى بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القَصْواء ، قال : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم .

وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهى الجدْعاء . وهكذا حكى السهيلى عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر عامرَ بن فهيرة مولاه خَلْفه ليخدمهما فى الطريق .

فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل ، فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قُرْطها من أذنها كما تقدم .

قالت : فمكثنا ثلاثَ ليال ماندرى أين وجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شِعر غناء العرب ، وإن الناس ليَتْبعونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه رفيقَيْنَ حَلَّا خيمتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلَا بالــبرِّ ثُم تروَّحا فأفلَح من أمسَى رفيقَ محمــدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتِهم ومَقْعَدُها للمؤمنين بمَرْصَــدِ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر ابن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط[1] كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أُرَيْقط الدّيلى . وكان إذ ذاك مشركا .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط[1] سلك بهما أسفَل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرّار[2] ثم أجاز بهما ثَنِيَّة المرّة ، ثم سلك بهما لِقفًا ، ثم أجاز بهما مَدْلجة لِقْف ، ثم استبطن بهما مَـدْلجة مِجَاج ثم سلك بهما مَرْجَح مجاج ، ثم تبطَّن بهما مَرْجِــحَ من ذى العضوين ؛ ثم بطن ذى كَشْر[3] ، ثم أخـذ بهما على الجَداجد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعـداء مَدْلجـة

(١) الأصل : أرقد . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الخرار : واد أو ماء بالمدينة . (٣) الأصل : كشد ، وما أثبته من معجم البلدان .

تِعهِن[١] ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحةَ ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ مِن أسْلَمَ يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هُنَيدة ، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنيَّة العائر عن يمين ركُوبة ، ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ، حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم بهما[٢]] قُباء على بنى عمرو بن عوف، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نُعيم من طريق الواقدى نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه فى بعضها والله أعلم .

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن السرَّاج ، حدثنا محمد بن عبادة بن موسى العِجْلى ، حدثنى أخى موسى بن عبادة ، حدثنى عبد الله بن سَيَّار ، حدثنى إياس بن مالك بن الأوس الأسَامى ، عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مرُّوا بإبل لنا بالجحْفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن هذه الإبل ؟ فقالوا : لرجل من أَسلم . فالتفت إلى أبى بكر فقال : سلمتَ إن شاء الله . فقال : ما اسمك ؟ قال : مسعود . فالتفت إلى أبى بكر فقال : سعدتَ إن شاء الله .

قال : فأتاه أبى فحمله على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

---

(١) تعهن : عين على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

(٢) سقطت من ا

والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما ، لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادّة .

واجتاز فى مروره على أم مَعْبَد بنت كعب من بنى كعب بن خُزاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلَف بن مَعْبَد ابن ربيعة بن أَصْرَم .

وقال الأموى : هى عاتكة بنت تَبيع حليف بنى مُنقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس[1] بن حرام بن خَيسة بن كعب بن عمرو .

ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد ، واسمه أكثم بن عبد العزى ابن معبد بن ربيعه بن أصرم بن صنبيس .

وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

***

وهذه قصة أم معبد الخزاعية :

قال يونس عن ابن إسحاق : فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أمِّ معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القِرَى فقالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منْحة ولا لنا شاة إلا حائل .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنَمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العُسِّ حتى أرغَى وقال : اشربى ياأم معبد . فقالت : اشرب فأنت أحقُّ به . فردَّه عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل

(١) فى الإصابة : خبيس .

أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليلَه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروَّح .

وطلبت قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أمَّ مَعْبَد فسألوا عنه ، فقالوا : أرأيتِ محمداً منْ حِلْيته كذا وكذا ؟ فوصفوه لها .

فقالت : ما أدرى ماتقولون ، قدِمَنا فتًى حالبُ الحائلِ .

قالت قريش : فذاك الذى نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا فى الغار جُحْر فألقمه أبو بكر عَقِبَه حتى أصبح ، مخافةَ أن يخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء .

فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزل بخيمات أم معبد ، فأرسلت إليه أم معبد: إنى أرى وجوها حساناً ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى .

فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اردد الشَّفْرَة وهات لنا فَرَقًا » يعنى القَدَح . فأرسلت إليه أنْ لا لبن فيها ولا ولد . قال : هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترَّت ودرَّت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد .

ثم قال البزَّار : لا نعلمه يُرْوَى إلا بهذا الإسناد ، وعبدالرحمن بن عُقْبة لا نعلم أحداً حدَّث عنه إلا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفا فى النسب .

وروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنا محمد بن

عبد الرحمن بن أبى ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى ، سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبى بكر الصديق قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : ياعبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد ، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القِرَى . قال : فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابنٌ لها بأعنز يسوقها ، فقالت : يابنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمى اذبحا هذه وكُلاَ وأطعمانا .

فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم : انطلق بالشفرة وجئنى بالقَدَح . قال : إنها قد عزبت وليس بها ابن ، قال : انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك . فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم .

فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنَها فعرفه ، فقال : يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت : ياعبدالله من الرجل الذى كان معك؟ قال: أو ماتدرين من هو؟ قالت : لا . قال : هو نبى الله . قالت فأدخلنى عليه .

قال : فأدخلها فأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاها .

زاد ابن عبدان فى روايته : — قالت : فدلَّنى عليه ، فانطلقت معى ، وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من أَقِط ومتاع الأعراب . قال : فكساها وأعطاها .

قال : ولا أعلمه إلا قال : وأسلمَتْ .

إسناد حسن .

وقال البيهقى : هذه القصة شبيهة بقصة أم مَعْبَد ، والظاهر أنها هى . والله أعلم .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا الحسن بن مُكرم ، حدثنى أبو أحمد بشر بن محمد السُّكَّرى ، حدثنا عبد الملك بن وهب المذْحِجى ، حدثنا أَبْجَر بن الصباح ، عن أبى معبد الخزاعى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلةَ هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقط اللَّيثى ، فمرُّوابخيمتى أم معبد الخزاعية .

وكانت أم معبد امرأة بَرْزَةً جَلْدة تَحْتَبِى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزَكم القِرَى ، وإذا القوم مُرْملون مسنتون .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاةٌ فى كِسْر [١] خيمتها فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاةٌ خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم . قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : هى أَجْهدُ من ذلك . قال : تأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حَلب فاحلبها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، ودعا بإناء لها يُرْبض الرهط [٢] فتفاجَّت [٣] واجترَّت فحلب فيه ثجًّا

(١) كسر الخيمة : جانبها .
(٢) يربض الرهط : يشبعهم حتى يربضوا .
(٣) تفاجت : فرجت مابين رجليها .

حتى ملأه ، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عَلَلا بعد نَهل ، حتى إذا رووا شرب آخرَهم وقال : ساقى القوم آخرُهم . ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بَدْء ، فغادره عندها . ثم ارتحلوا .

قال : فقلَّ مالبث أن جاء زوجُها أبو مَعْبد يسوق أعنزاً عِجَافاً يتساوَكْن هَزَلاً لا نَقى بهن [١] مخُّهن قليل ، فلما رأى اللبنَ عَجِب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ، ولا حَلُوبة فى البيت والشاء عازب ؟ !

فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صِفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب.

فقالت : رأيت رجلا ظاهرَ الوضاءة حسن الخَلْق مليح الوجه لم تعبْه ثُجْلَةَ [٢] ولم تزْرِ به صُعْلة [٢] ، قَسِيمٌ وسيم ، فى عينيه دَعَجٌ ، وفى أشفاره وَطَفٌ [٣] ، وفى صوته صَحَل ، أحولُ أكحلُ أزجُّ أقْرَنُ فى عنقه سَطَع [٤] وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فَصْلٌ لا نَزْر ولا هذر ، كأن مَنْطقه خرزاتُ نَظْم يَنْحدرن ، أبْهَى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ، رَبعةٌ لا تَشْنَأُه [٥] عينٌ من طول ، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر ، غُصْن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدًّا ، له رفقاء يحفُّون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، مَحْفُود مَحْشُود ، لا عابس ولا مُفْند .

فقال — يعنى بعلها — : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجهدنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

---

(١) يتساوكن : يتمايلن . والنقى : المخ . (٢) الثجلة : عظم البطن . والصعلة : صغر الرأس .
(٣) وطف : طول . (٤) سطع : طول . (٥) الأصل : تنساه . وهو تحريف .
وما أثبته عن الوفا لابن الجوزى والمواهب والدلائل لأبى نعيم . ومعنى تشنأه : تبغضه .

قال : وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه رفيقَيْن حَلاَّ خيمتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلاَ بالبِرِّ وارتحلاَ به فأفلحَ مَنْ أمسَى رفيقَ محمدِ
فيا لَقُصَىٍّ مازوَى الله عنكمُ به من فِعَال لا تجازَى وسُؤْدَدِ
سَلُوا أختَكم عَنْ شاتِها وإنائها فإنكمُ إنْ تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ له بصريحٍ ، ضَرَّةُ الشاةِ[1] مُزْبدِ
فغادره رَهناً لديْها لحالبٍ يَدُرُّ لها فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

قال : وأصبح الناس ، يعنى بمكة ، وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم وقد سُرَّ[2] من يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى
ترحَّل عن قومٍ فزالت عقولُهم وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجدَّدِ
وهل يستوى ضُلاَّل قومٍ تسفَّهوا عمًى وهداةٌ يهتدون بمهتدِ
نبىٌّ يرَى مالا يرى الناسُ حولَه ويتلو كتابَ الله فى كل مَشْهَدِ
وإنْ قال فى يومٍ مقالةَ غائبٍ فتصديقُها فى اليوم أو فى ضُحَى الغدِ
ليَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه بصحبته مَنْ يُسْعِدِ الله يَسْعَدِ
ويَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ومقعدُها للمسلمين بمَرْصَدِ

قال — يعنى عبد الملك بن وهب — : فبلغنى أن أبا مَعْبَد أسلمٌ وهاجر إلى النبى صلى الله عايه وسلم .

---

(١) الضرة : أصل الضرع .

(٢) الوفا ودلائل أبى نعيم : وقدس .

وهكذا روى الحافظ أبو نُعَيم من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحِجى ، فذكر مثلَه سواءً . وزاد فى آخره : قال عبد الملك : بلغنى أن أم مَعْبَد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه أبو نعيم من طرق ، عن بكر بن مُحْرِز الكَلْبى الخزاعى ، عن أبيه مُحْرز ابن مهدى ، عن حرام بن هشام بن حُبيش بن خالد ، عن أبيه ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فُهَيرة ودليلهما عبد الله بن أُرَيْقط الليثى ، فمروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة بَرْزَة جلدة تحتبى بفناء القبة ، وذكر مثل ماتقدم سواء .

قال . وحدثناه ، فيما أظن ، محمد بن أحمد بن على بن مَخْلَد ، حدثنا محمد بن يونس ابن موسى ، يعنى الكُديمى ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصارى ، حدثنى أبى ، عن أبيه سليط البَدْرى ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ومعه أبو بكر وعامر ابن فُهَيرة وابن أُرَيقط يدلهم على الطريق ، مرَّ بأم معبد الخزاعية وهى لاتعرفه فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله إن الغنم لعازِبة . قال : فما هذه الشاة ؟ قالت : خَلَّفها الجَهْدُ عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ماتقدم .

***

ثم قال البيهقى : يُحتمل أن هذه القصص كلها واحدة .

ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، إملاءً ، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا

أبو الوليد ، حدثنا عبد الله بن إياد بن لَقِيط ، حدثنا إياد بن لقيط ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفِين ، مرُّوا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال : ما عندى شاة تحلب ، غير أن هاهنا عَنَاقا[1] حملت أول الشتاء ، وقد أخدجت[2] وما بقى لها من لبن . فقال : ادع بها . فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب .

فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم علىَّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم .

قال : فإنى محمد رسول الله .

فقال : أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك .

قال : فإنى أشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى ، وأنا مُتَّبعك .

قال : إنك لا تستطيع ذلك يومَك هذا ، فإذا بلغك أنِّى قد ظهرتُ فَأْتنا .

ورواه أبو يعلى الموصلى ، عن جعفر بن حُميد الكوفى ، عن عبد الله بن إياد ابن لَقِيط به .

* * *

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرٍّ ، عن عبد الله بن مسعود . قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعُقْبة بن أبى مُعَيط بمكة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرَّا من المشركين ، فقالا : يا غلام

---

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) أخدجت : جاءت بولدها ناقص الخلق .

عندك ابن تسقينا ؟ . فقلت : إنى مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم يَنزُ عليها الفحلُ بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا ، فحَفَل الضرعُ وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر وسقيانى ، ثم قال للضرع : اقلِصْ فقَلَص .

فلما كان بعدُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علِّمنى من هذا القول الطيب ، يعنى القرآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك غلام معلَّم » فأخذت مِن فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد .

فقوله فى هذا السياق : « وقد فرَّا من المشركين » ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة .

فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة فى الصحاح وغيرها . والله أعلم .

* * *

وقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الله بن مُصعَب بن عبد الله ، هو الزبير ، حدثنى أبى ، عن فائد مولى عَبادل ، قال : خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد ، حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ، وسعد وهو الذى دل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على طريق رَكُوبة[٢] فقال إبراهيم : ما حدَّثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثنى أبى أن رسول الله صل الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر ، وكانت لأبى بكر عندنا بنت

---

(١) سقط هذا الخبر من (ا) .
(٢) الأصل ركونة . وهو تحريف . وهى ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

مسترضعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة ، وبه لصان من أسْلَمَ يقال لهما المهَانان . فإن شئت أخذنا عليهما . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « خذ بنا عليهما » .

قال سعد : فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليمانى . فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المُكْرَمان » وأمرهما أن يَقْدَما عليه المدينة ، فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قُباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين أبو أمامة أسعد بن زرَارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع على النخل فإذا الشِّرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبى بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتنى أنزل إلى حياض كحياض بنى مُدْلج .

انفرد به أحمد .

فصـــل

فى دخوله عليه السلام المدينة، وأين استقر منزله بها

وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظَّهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البَراء بن عازِب ، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : فقدِمْنا ليلاً فتنازعه القوم أيُّهم ينزل عليه ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم : « أنزلُ على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » .

وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قِباء ، فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حَرِّ الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قُباء وذلك ليلا ، وأنه أَطْلق على ما بعد الزوال ليلاً ، فإنّ العَشِيَّ من الزوال .

وإما أن يكون المراد بذلك لَمَّا رحل من قباء ، كما سيأتى ، فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاءً . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزُّهرى ، عن عروة ، أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بضعَ عشرة ليلة ، وأسَّس مسجدَ قباء فى تلك الأيام .

ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده ، وكان مِرْبَداً

لغلامين يتيمين وهما سَهْل وسُهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً . وذلك فى دار بنى النجار رضى الله عنهم .

* * *

وقال محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم بن ساعدة، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : لما بَلَغَنا مَخْرجُ النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكَّفْنا قدومَه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر النبى صلى الله عليه وسلم فو الله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلا دخَلْنا ، وذلك فى أيام حارة .

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة هذا جَدُّكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر فى مثل سِنِّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، ورَكِبه الناسُ ، وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

وقد تقدم مثل ذلك فى سياق البخارى ، وكذ ذكر موسى بن عُقبة فى مغازيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إنى لأسعى فى الغلمان يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئا ، ثم يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئاً .

قال : حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصاحبُه أبو بكر ، فكمنا فى بعض خرَاب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يُؤْذن بهما الأنصارَ فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمنَيْن مطاعين .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوْقَ البيوت يتراءَيْنَه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به .

قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبِضَ فلم أر يومين شبيهاً بهما .

ورواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بنحوه ، أو مثله .

وفى الصحيحين من طريق إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت ، والغلمانُ والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلى ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البَدْرُ علينا من ثَنِيَّات الوَداع

وجبَ الشكرُ علينا ما دعـــا لله داعِ

***

قال محمد بن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكرون يعنى حين نزل ، بقباء على كُلْثوم بن الهَدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة .

ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جاس للناس فى بيت سعد بن خيثمه ، وذلك أنه كان عزَبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب . والله أعلم .

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خُبَيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنح ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائعَ التى كانت عنده .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدْم ، فكأنَّ علىَّ بن أبى طالب إنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين .

يقول : كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه ، فيعطيها شيئا معه فتأخذه ، فاستربْتُ بشأنه فقلت لها : ياأَمَــة الله ، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ .

قالت : هــذا سهل بن حنيف ، وقد عرف أنى امرأة لا أحدَ لى ، فإذا أمسى عدا على أوثانِ قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال : احتطبى بهذا .

فكان على رضى الله عنه يأثُر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء فى بنى عمرو بن عوف يومَ الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدَه .

ثم أخرجه الله مِن بَيْنِ أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشرة ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة ، أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة .

وحكى موسى بن عقبة عن مُجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، اثنتين وعشرين ليلة .

وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

* * *

قال ابن إسحاق : فأدركتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعةُ فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاَّها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نَضْلة فى رجال من بنى سالم ، فقالوا : يارسول الله أقم عندنا فى العَدَد والعُدَّة والمنعة قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . لناقته فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازَتْ دار بنى بَيَاضة تلقاه زياد بن لَبيد وفَرْوة بن عمرو، رجال من بنى بَيَاضة ، فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العَدد والعُدَّة والمنعة .

قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة، فقالوا : يارسول الله هلمَّ إلينا فى العدد والمَنعة . قال : «خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها .

فانطلقَتْ حتى إذا وازت[1] دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمَنعة .

قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ، وهم أخواله ، دُنْيا ، أمُّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن [أبى][2] خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يارسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها .

فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مِرْبَداً لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر مُعاذ بن عَفْراء .

قلت : وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة أنهما كانا فى حجر أسعد بن زُرَارة . والله أعلم .

* * *

وذكر موسى بن عُقْبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ فى طريقه بعبد الله

---

(١) ا : دارت وفى ابن هشام وازنت (٢) من ابن هشام .

ابن أُبَىّ بن سَلُول وهو فى بيت ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ، وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم ، فقال عبد الله : انظر الذين دَعوك فانزل عليهم .

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عُبادة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يارسول الله وإنا نريد أن نَعْقد على رأسه التاجَ ونملِّكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يرْكب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف ، فمشوا حولَ ناقته ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامَ الناقة شُحًّا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له .

وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فإنها مأمورة ، فإنما أنزل حيث أنزلنى الله .

فلما انتهت إلى دار أبى أيوب بركت به على الباب ، فنزل فدخل بيتَ أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها ، حتى وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يَثْنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحَلْحَلت ورزَمت ووضعت جِرَانها . فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد ، رحلَه فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل عن المِرْبَد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عَفراء : هو يارسول الله لسهل وسُهيل

ابنى عمرو وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى بَنَى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتى قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله .

* * *

وقال البيهقى فى الدلائل : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد الدُّورى ، حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبى الورد ، حدثنا إبراهيم بن صِرمة ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يارسول الله . فقال « دعوا الناقة فإنها مأمورة » .

فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن .

نحن جوارٍ من بنى النجار يا حبَّذا محمدٌ من جارِ

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتحبوننى ؟ » فقالوا : إى والله يارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما يروى .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبى ، حدثنا أبو خيثمة المصِّيصى ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابى ، عن ثُمَامة ، عن أنس .

قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بحى من بنى النجار ، وإذا جَوار يضربن بالدفوف يقلن .

نحن جَوارٍ من بنى النجار ياحبذا محمدٌ مِنْ جارِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعلم الله أن قلبي يحبكم » .

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به .

وفى صحيح البخارى عن مَعْمَر ، عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقْبلين ، حسبت أنه قال من عرس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها ثلاث مرات .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدالصمد بن عبدالوارث ، حدثنى أبى، حدثنى عبد العزيز ابن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مُرْدفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف .

قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : ياأبابكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل .

فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريقَ ، وإنما يعنى سبيلَ الخير .

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يانبى الله هذا فارسٌ قد لحق بنا ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تُحَمْحِم ، ثم قال : مُرْنى يانبي الله بما شئت . فقال : « قِفْ مكانَك ولا تتركن أحداً يَلْحق بنا » .

قال : فكان أولَ النهار جاهداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر النهار مَسْلَحة[1] له .

قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحَرَّة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسلّموا عليهما وقالوا : اركبا آمنَيْن مطاعين .

فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحَفُّوا حولهما بالسلاح .

وقيل فى المدينة : جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم . فاستَشْرَفوا نبىَّ الله ينظرون إليه ويقولون : جاء نبىُّ الله .

قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب .

قال : فإنه ليحدِّث أهلَه إذ سمع به عبدُ الله بن سَلَام ، وهو فى نخل لأهله يخترف لهم ، فعَجِل أن يضع الذى يخترف فيها ، فجاء وهى معه ، وسمع من نبى الله صلى الله لميه وسلم ورجع إلى أهله .

وقال نبى الله : أىُّ بيوت أهلِنا أقربُ ؟ فقال أبو أيوب : أنا يانبى الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلق فهَيِّئْ لنا مَقِيلا . فذهب فهيَّأ ثم جاء . فقال : يارسول الله قد هيأتُ مَقِيلا ، قُوماَ على بركة الله فقِيلا .

فلما جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبى الله حقا ، وأنك جئت بحق ولقد علمتْ يهودُ أنِّى سيدُهم وابنُ سيدهم ، وأعْلمهم وابن أعلمهم ، فادعُهم فسَلْهم .

فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعْلمون أنى رسولُ الله حقًّا ، وأنى جئت بحقٍّ أسْلموا » .

(١) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، وتطلق أيضا على الثغر والمرقب . والمراد أنه كان مدافعا عن الرسول.

فقالوا : مانعْلمه ، ثلاثا .

وكذا رواه البخارى منفرداً به ، عن محمد غير منسوب ، عن عبد الصمد به .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنى ، عن أبى رُهْم السماعى ، حدثنى أبو أيوب ، قال لما نزل علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السُّفْل ، وأنا وأم أيوب فى العُلْو ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى أكره وأعظِّم أن أكون فوقَك وتكون تحتى ، فاظهَرْ أنت فكُنْ فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل .

فقال : « ياأبا أيوب إنَّ أرْفَق بنا وبمَنْ يغشانا أن أكون فى سفل البيت » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن . فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحافٌ غيرها ، ننشِّف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا ردَّ علينا فَضْلة تيمَّمتُ أنا وأمُّ أيوب موضعَ يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصَلًا أو ثوماً ، فردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرَ ليده فيه أثراً ، قال : فجئته فزعاً فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ردَدْتَ عشاءك ولم أر فيه موضعَ يدك ؟ فقال « إنى وجدت فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجل أُنَاجِى ، فأما أنتم فكلُوه » قال : فأكلناه ولم نَصْنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواه البيهقى ، من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ،

عن أبي الحسن ، أو أبي الخير ، مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنى ، عن أبي رُهْم ، عن أبي أيوب فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارَمى ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأَحْول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أَفْلَح مولَى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل فى السفل وأبو أيوب فى العُلْو ، فانتبه أبو أيوب فقال : نمشى فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتنحَّوا فباتوا فى جانب ، ثم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، يعنى فى ذلك ، فقال : « السُّفْلُ أرفقُ بنا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها ، فتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العلو ، وأبو أيوب فى السفل .

فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : لم يأكل . ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ولكنى أكرهه » قال فإنى أكره ما تكره ، أو ما كرهت . قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتيه الملَك .

رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به .

وثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال : جيء رسول الله صلى الله وسلم ببَدْر[1] ، وفى رواية بقِدْر ، فيه خضروات مِنْ بُقول ، قال : فسأل فأُخبر بما فيها ، فلما رآها كره أكلها ، قال : « كُلْ فإنى أناجِى من لا تناجى » .

---

(١) ببدر : بطبق مستدير يشبه البدر .

وقد روى الواقدى أن أسعد بن زُرَارة لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب أخذ بخِطَام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده .

وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أُهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دار أبى أيوب ، أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مَثْرود بلبن وسمن ، فقلت : أرسلتْ بهذه القصعة أمّى . فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعِراق لحم .

وما كانت من ليلةٍ إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثةُ والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه فى دار أبى أيوب سبعة أشهر .

قال : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل فى دار أبى أيوب مولاه زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ، ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَوْدَة بنت زَمْعَة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقيّة قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبى العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا خلَف بن عمرو العكْبَرى ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطاف بن خالد ، حدثنا صديق بن موسى ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فاستناخت به راحلتُه بين دار جعفر بن محمد بن على وبين دار الحسن ابن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يارسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دَعوها فإنها مأمورة » .

ثم خرجت به حتى جاءت موضعَ المنبر ، فاستناخت ثم تحللت ، وثمَّ عريشٌ كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبرَّدون فيه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يارسول الله إن منزلى أقربُ المنازل إليك فأنقل رحلك إلىّ ؟ قال : نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يارسول الله أين تحلّ ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد .

وهذه مَنْقَبة عظيمة لأبى أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه ، حيث نزل فى داره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روينا من طريق يزيد بن أبى حبيب عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ، وكان ابنُ عباس نائباً عليها من جهة على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى داره ، وملَّكه كلَّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصرافَ أعطاه ابنُ عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً .

وقد صارت دارُ أبى أيوب بعده إلى مولاه أَفْلَح ، فاشتراها منه المغيرةُ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وَهَى من بنيانها ، ووهَبها لأهل بيتٍ فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزوله عليه السلام فى دار بنى النجار واختيارُ الله له ذلك مَنْقَبةٌ عظيمة ، وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً ، كلُّ دار مَحِـلَّة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كلُّ قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دارَ بنى مالك بن النجار .

* * *

وقد ثبَت فى الصحيحين من حديث شُعْبة ؛ سمعت قَتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير دُور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأَشْهَل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفى كلِّ دور الأنصار خير » .

فقال سعد بن عبادة : ماأرى النبى صلى الله عليه وسلم إلا قد فَضَّل علينا . فقيل : قد فَضَّلكم على كثير .

هذا لفظ البخارى .

وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة، عن أبى أُسَيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أَبى حُميد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله سواء . زاد فى حديث أبى حميد : فقال أبو أُسيد لسعد بن عبادة : ألم ترَ أن النبى صلى الله عليه وسلم خيرَّ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعدٌ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله خَيَّرت دُورَ الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحَسْبكم أن تكونوا من الأخيار » .

[و] قد ثبت لجميع مَنْ أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعة فى الدنيا والآخرة. قال الله تعالى : « والسابقون الأوَّلون مِنَ المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ رضى الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدَّ لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ [1] » وقال تعالى : «والذين تبوَّأوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلهم يحبُّون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يَجدون فى صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون [2] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا من الأنصار ، ولو

---

(١) سورة التوبة ١٠٠ . (٢) سورة الحشر ٩ .

سلكَ الناسُ وادياً وشِعْباً لسلكت وادىَ الأنصار وشِعبهما، الأنصار شِعَار والناسُ دِثَار ».

وقال : « الأنصار كَرِشى وعَيْبَتى ».

وقال : « أنا سِلْم لمن سالمهم وحَرْب لمن حاربهم ».

وقال البخارى : حدثنا حَجَّاج بن مِنْهال ، حدثنا شُعْبة ، حدثنى عَدِىّ بن ثابت ، قال: سمعت البرَاء بن عازِب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أو قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأنصارُ لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يَبغْضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به .

وقال البخارى أيضا: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شُعْبة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير ، عن أنس بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار ».

ورواه البخارى أيضا عن أبى الوليد [و] الطيالسى ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدى ، أربعتهم عن شعبة به .

والآيات والأحاديث فى فضائل الأنصار كثيرة جداً .

وما أحسن ماقال أبو قيس صِرمة بن أبى أنس المتقدم ذِكْره ، أحد شعراء الأنصار ، فى قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ونَصْرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه ، رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صِرْمة بن أبى أنس أيضا يَذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خَصَّهم به من رسوله عليه السلام :

ثوَى فى قريشٍ بضعَ عَشْرةَ حِجَّةً ... يُذَكِّر لو يَلْقَى صديقاً مواتيا

وَيَعْرِض فى أهــلِ المواسمِ نفسَه ... فلم يَرَ مَنْ يُؤوِى ولم يَرَ داعيــا

فلما أتانا واطمأنّتْ به النّوَى (١) ... وأصبَح مسروراً بطيبةَ راضيــا

وألفىَ صَدِيقــاً واطمأنت به النَّــوَى ... وكان له عَوْناً من الله بادِياَ

يقصُّ لنــا ما قال نوحٌ لقومه ... وما قال موسى إذْ أجاب المناديا

فأصبحَ لايخشى من النــاس واحــداً ... قريبا ولا يخشى من الناس نائياً (٢)

بذَلْنا له الأموالَ مِنْ جُلِّ (٣) مالِنــا ... وأنفسَنا عنــدَ الوغَى والتآسيــا

نعادِى الذى عادىَ مِنَ الناس كلَّهم ... جميعــاً ولو كان الحبيبَ المواسيــا

ونَعْلم أنَّ الله لاشىء غــيره ... وأنّ كتابَ الله أصبحَ هادياَ (٤)

أقول إذا صلّيتُ فى كل بَيْعةٍ ... حنَانَيْك لا تُظْهِر علينــا الأعاديا

أقــول اذا جاوزتُ أرضــاً مخيفةً ... تباركتَ اسمَ الله أنت المواليــا

فطَــأْ مُعْرِضاً إنّ الحتوفَ كثيرةٌ ... وإنَّك لا تُبقِى لنفسك باقيــا

فوالله مايدرى الفتى كيف سَعْيُه ... إذا هو لم يجعل له اللهَ واقيــا

ولا تَحْفِلِ النخلُ المعِيمةُ (٥) ربَّها ... إذا أصبحت رَيَّا وأصبح ثاوياَ

ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الُحميَدى وغيره ، عن سفيان ابن عُيَيْنة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عجوز من الأنصار قالت : رأيتُ عبدَ الله بن عباس يختلف إلى صِرْمة بن قيس يروى هذه الأبيات .

رواه البيهقى .

---

(١) ابن هشام : فلما أتانا أظهر الله دينه . (٢) ح : باغيا .

(٣) ابن هشام : حل . (٤) ابن هشام : ونعلم أن الله أفضل هاديا .

(٥) المعيمة : العطشى . والأصل : المقيمة ، وما أثبته عن ابن هشام .

فصــــــل

وقد شَرُفَت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ومَعْقلا وحِصْنا مَنيعا للمسلمين ، ودارَ هُدًى للعالمين .

والأحاديثُ فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه . إن شاء الله .

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق حبيب بن يَساف ، عن جعفر بن عاصم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « إنّ الإيمان لَيأْرِزُ إلى المدينة كما تَأْرِز الحيةُ إلى جُحرها » .

ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن شبابة ، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الُحباَب سعيد بن يَسَار ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « أُمرت بقرية تأكل القُرَى ، يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناسَ كما ينفى الـكيرُ خبثَ الحديد (١) » .

وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو الوليـد وأبو بكر بن عبد الله ، قالا حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصارى ، حدثنا سعيد بن سعيد ، حدثنى أخى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إنك أخرجتنى من أحبِّ البلاد إلىّ فأسكنِّى أحبَّ البلاد إليك » فأسكنَه الله المدينة .

وهذا حديث غريب جداً .

والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذى ضَمَّ جسدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذِكرها هاهنا ، ومحلُّها ذكرناها فى كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم فى ذلك ماقال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمَان ، حدثنا شُعَيب ، عن الزُّهرى ، أخبرنا أبو سلَمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عَدِى بن الحمراء أخبره ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحَزْوَرة فى سوق مكة يقول : « والله إنك لخيرُ أرض الله وأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أنى أُخرجت منك ماخرجتُ » .

وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كَيْسَان عن الزُّهرى به .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، من حديث الليث ، عن عُقيل عن الزهرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد رواه يونس عن الزهرى به . ورواه محمد بن عمرو عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة . وحديث الزُّهرى عندى أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحَزْوَرة فقال : « علمتُ أنكِ خيرُ أرض الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجتُ » وكذا رواه النسائى من حديث مَعْمَر به .

قال الحافظ البيهقى : وهذا وهمٌ مِنْ مَعْمَر .

وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً وَهْمٌ ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رَبَاح ، عن مَعْمَر ، عن محمد بن مسْلم بن شهاب الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن بعضهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى سوق الحَزْوَرة : « والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أنى أُخْرجت منكِ ماخرجت » .

ورواه الطبرانى ، عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحميدى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مُطْعم ، عن عبد الله بن عَدِى بن الحمراء به .

فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحُّها ماتقدم . والله أعلم .

وقائع السَّنَة الأولى من الهجرة

ذِكْرُ ماوقع فى السنة الأولى من الهجرة النبوية

من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ، فى الدولة العُمَرية على جَعْل ابتداء التاريخ الإسلامى من سنَة الهجرة .

وذلك أنّ أميرَ المؤمنين عمر رضى الله عنه رُفع إليه صَكٌّ ، أى حُجَّة ، لرجلٍ على آخر ، وفيه أنه يَحلُّ عليه فى شعبان ، فقالَ عمر : أىُّ شعبان ؟ أشعبانُ هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟

ثم جمع الصحابةَ فاستشارهم فى وضع تاريخٍ يتعرَّفون به حُلولَ الديون وغير ذلك .

فقال قائل : أرِّخوا كتأريخ الفرس . فكَره ذلك .

وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد .

وقال قائل : أرخوا بتأريخ الروم . وكانوا يؤرخون بمُلْك اسكندر بن فلبس المَقْدونى . فكَره ذلك .

وقال آخرون : أرِّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل بمبعثه .

وقال آخرون : بل بهِجْرته .

وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام .

فمال عمر رضى الله عنه إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره ، واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرَّخوا التاريخ : حدثنا عبد الله بن مُسْلِم ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، قال : ماعَدُّوا مِنْ مَبْعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، ماعَدُّوا إلا من مَقْدَمه المدينةَ .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى الزِّناد عن أبيـه . قال : استشار عمر فى التاريخ فأجْمَعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسى عن قُرَّة[1] بن خالد السَّدُوسِىّ ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمرفقال أرِّخوا . فقال : ما أَرِّخُوا ؟ فقال: شىء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا .

فقال عمر : حسنٌ فأرِّخوا .

فقالوا : من أىِّ السنين نبدأ ؟ فقالوا : مِنْ مَبْعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، فهو مَصْرَف الناس مِنْ حَجِّهم ، وهو شهرٌ حرام فاجتمعوا على المحرَّم .

وقال ابن جَرير : حدثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطائى ، عن عثمان بن محصن ، أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعـالى : « والفَجْرِ وليـالٍ عَشْرٍ » . هو المحرَّم فجرُ السَّنة .

وروى عن عُبيد بن عُمير قال : إن المحرم شهر الله ، وهو رأس السنة يُكْسَى[فيه] البيتُ ، ويؤرِّخ به الناس ، ويُضْرَب فيه الوَرِق .

قال أحمد : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، قال : إن أول من ورَّخ الكتبَ يَعْلى بن أمية باليمن ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم المدينة فى ربيع الأول ، وإن الناس أرخوا لأول السنة .

---

(١) الأصل : فروة . وهو تحريف .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهرى وعن محمد بن صالح ، عن الشَّعبى أنهما قالا : أرَّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم ، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم واسماعيل البيتَ ، ثم أرخوا من موت كعب بن لُؤَىّ ، ثم أرخوا من الفِيل ، ثم أرخ عمرُ بن الخطاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة .

وقد ذكرنا هذا الفصل محرَّراً بأسانيده وطرقه فى السيرة العُمَرية ولله الحمد .

والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم . وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السُّهيلى وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أولُ السنة الإسلامية ربيع الأول ، لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى : « لَمَسجدٌ أُسِّس على التَّقْوَى مِنْ أولِ يومٍ » أى من أول يوم حلول النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة][1] .

ولا شك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسِب ، ولكن العملَ على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم ، فجعلوا السنة الأولى سَنَة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف ، لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

* * *

فنقول وبالله المستعان : استهلَّت سنةُ الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيمٌ بمكة ، وقد بايع الأنصارَ بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التَّشريق ، وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة .

ثم رجع الأنصارُ وأَذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

---

(١) سقطت من ح .

فهاجر مَن هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يَبْقَ بمكة من يُمْكنه الخروج إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَبس أبو بكر نفسَه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَصْحبه فى الطريق كما قدمنا ، ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بَسْطه ، وتأخَّر علىٌّ بن أبى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم بأمره ليؤدِّى ما كان عنده عليه السلام من الودائع ، ثم لحقهم بقباء ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضَّحاء .

قال الواقدى وغيره : وذلك لليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن إسحاق ، إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورجَّح أنه لِثْنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الأقوال .

وهو رواية حماد بن سلَمة ، عن أبى حمزة الضَّبى عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وهكذا روى ابنُ جرير عن محمد بن معمر ، عن رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة .

وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صِرْمة بن أبى أنس بن قيس :

ثوَى فى قريش بِضْعَ عشرةَ حِجَّةً ... يذكِّر لو يَلْقَى صَديقاً مُوَاتيا

وقال الواقدى : عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الُحصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه استشهد بقول صِرْمة :

ثوَى فى قريش بضعَ عَشْرة حِجَّةً ... يذكِّر لو يَلْقَى صديقاً مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير ، عن الحـارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدىّ ، خمس عشرة حِجة ، وهو قولٌ غريب جداً .

وأغربُ منه ما قال ابن جرير : حُدِّثت عن رَوْح بن عُبَادة ، حدثنا سعيد ، عن قتـادة قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليـه وسلم ثمـانى سنين بمـكة ، وعشراً بالمدينة .

وكان الحسن يقول : عشراً بمـكة ، وعشراً بالمدينة .

وهذا القول الآخر الذى ذهب إليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ذهب إليه أنسُ بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المسيَّب وعمرو بن دينـار ، فيما رواه ابن جرير عنهم .

وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاث وأربعين ، فمـكث بمكة عشراً .

وقد قدمنا عن الشَّعْبِى أنه قال : قُرن إسرافيلُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ سنين يُلْقى إليه الـكلمة والشىء . وفى رواية يَسمع حسَّه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعدَ ذلك جبريلُ .

وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه أنه أنـكر قول الشَّعبى هذا .

وحاول ابنُ جرير أن يجمع بَيْن قول مَن قال : إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال : ثلاث عشرة . بهذا الذى ذكره الشَّعبى . والله أعلم .

فصـــل

ولما حلَّ الرِّكابُ النبوى بالمدينة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف ، وهى قُبَاء كما تقدم ، فأقام بها أكثر ماقيل، ثنتين وعشرين ليلة .وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهرُ ماذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة .

وقد أسَّس فى هذه المدة المختلَف فى مقدارها ، على ماذكرناه ، مسجدَ قباء .

وقد ادَّعى السهيلى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أسسه فى أَول يومٍ قدم إلى قباء ، وحمل على ذلك قولَه تعالى « لمَسجدٌ أُسِّس على التقوى مِنْ أول يوم » وردَّ قول مَنْ أَعربَها : مِنْ تأسيس أول يوم .

وهو مسجدٌ شريف فاضل ، نزل فيه قوله تعالى : « لَمَسْجدٌ أُسِّس عَلَى التقوى مِنْ أوِل يومٍ أحقُّ أنْ تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يحبُّون أنْ يتطَّهروا والله يحبُّ المطَّهرين»(١) كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير . وذكرنا الحديثَ الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجوابَ عنه .

وذكرنا الحديثَ الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو إدريس، حدثنا شُرَحبيل ، عن عُوَيم بن ساعدة ، أنه حدَّثه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إنَّ الله قد أحسنَ عليكم الثناءَ فى الطَّهور فى قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله مانَعْلم شيئاً ، إلا أنه كان

---

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

لنا جيران من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .

وأخرجه ابن خُزَيمة فى صحيحه ، وله شواهد أخر .

وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سَلاَم وابن عباس .

وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجة من حديث يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبى ميمونة ، عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نزلت هذه الآية فى أهل قُبَاء « فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطَهَّروا والله يحب المطَّهرين » . قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ثم قال الترمذى : غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف . والله أعلم .

وممن قال بأنه المسجد الذى أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، ورواه على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكى عن الشَّعبى والحسن البصرى وقَتادة وسعيد بن جُبير وعطية العَوْفى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتى قُبَاءَ كلَّ سبت تارة راكبا وتارة ماشيا . وفى الحديث : « صلاةٌ فى مسجد قباء كعُمْرة » .

وقد ورد فى حديثٍ أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبي صلى الله عليه وسلم إلى موضع قِبْلة مسجد قباء .

فكان هذا المسجد أولَ مسجدُ بنى فى الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جُعل لعموم الناس فى هذه الملَّة .

واحترَزنا بهذا عن المسجد الذى بناه الصِّديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلِّى ، لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة ، والله أعلم .

وقد تقدم إسلام سَلْمان فى البشارات ، [و]أن سلمان الفارسى لما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئا فوضعه بين يديه وهو بقباء [و] قال : هذا صدقة . فكفَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله ، وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شىء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله] [1] .

فصل

فى إسلام عبد الله بن سَلَام رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زُرَارة ، عن عبد الله ابن سَلَام ، قال : لما قَدِم رُسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفلَ [2] الناس ، فكنت فيمن انجفلَ ، فلما تبينتُ وجهه عرفت أنه ليس بوجهِ كذابٍ ؛ فكان أولَ شىءٍ سمعته يقول : « أَفْشُوا السَّلَامَ ، وأَطْعموا الطعامَ ، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيامٌ ، تدخلوا الجنة بسلام » .

ورواه الترمذى وابن ماجه من طرق ، عن عوف الأعرابى ، عن زرارة بن أبى أَوْفَى به عنه . وقال الترمذى : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورآه أولَ قدومه حين أناخ بقُبَاء فى بنى عمرو بن عوف .

وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صُهيب عن أنس ، أنه اجتمع به حين أناخ عند دار

---

(١) سقط من ح . (٢) انجفل الناس : انقلعوا فمضوا .

أبى أيوب عند ارتحاله من قُباء إلى دار بنى النجار كما تقدم؛ فلعله رآه أول مارآه بقباء، واجتمع به بعد ماصار إلى دار بنى النجار . والله أعلم .

وفى سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس قال : فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سَلاَم فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهودُ أنى سيدهم وابن سيدهم وأعْلَمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسَلْهم عنى قبل أن يَعلموا أنى قد أسلمتُ ، فإنهم إنْ يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ما ليس فىَّ .

فأرسل نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم : « يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فأسْلِموا » قالوا : ما نعلمه . قالوا : [ذلك] للنبى صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال : « فأىُّ رجل فيكم عبد الله [1] بن سَلاَم ؟

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعْلَمُنا وابن أعْلمنا . قال : أفرأيتم إن أسْلَمَ ؟ قالوا : حاش لله ، ما كان ليُسْلِم .

قال : « يابن سَلاَم اخرجْ عليهم » .

فخرج فقال : يامعشر يهود اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلَمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذَبْتَ . فأخرجهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

هذا لفظه .

وفى رواية : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا شرُّنا وابن شرنا ، وتنقَّصوه فقال : يارسول الله هذا الذى كنت أخاف .

---

(١) ابن هشام : الحصين بن سلام .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصَمُّ ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّنعانى ، حدثنا عبد الله بن أبى بكر ، حدثنا حُمَيد عن أنس ، قال : سمع عبدُ الله بن سَلَام بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أرض له ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنى سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبى ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بالُ الولد [يَـنْزِعُ] إلى أبيه أو إلى أمه .

قال : أخبرنى بهن جبريلُ آنفا . قال : جبريل ! قال : نعم . قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ [1] : « مَنْ كان عدوًّا لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذن الله » .

قال : « أمّا أولُ أشراط الساعة فنارٌ تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المَغرب ، وأما أولُ طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت [2] ، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَع الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد » .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ ، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بَهَتونى .

فجاءت اليهود . فقال : أىُّ رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرُنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : أرأيتم إن أسلمَ ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فخرج عبدُ الله فقال : أَشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرُّنا وابن شرنا وانتقصوه .

قال : هذا الذى كنت أخاف يارسول الله .

---

(١) أى الرسول صلوات الله عليه .

(٢) قال القسطلانى : هى القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ؛ وهى أهنأ طعام وأمرؤه .

ورواه البخارى عن عبد بن حُمَيْد[1] عن عبد الله بن أبى بكر به . ورواه عن حامد بن عمر عن بِشْر بن المُفضل عن حُميَد به .

***

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سَلَام ، قال : كان مِنْ حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حَبْراً عالما ، قال : لما سمعتُ برسول الله وعرفتُ صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذى كنا نتوكَّف[2] له ، فكنت بقُباء مسراً بذلك[3] صامتاً عليه ، حتى قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة .

فلما قدم نزل بقُباء فى بنى عمرو بن عوف ، فأقبل[4] رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة .

فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبَّرْتُ ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران ما زِدْتَ .

قال : قلت لها : أى عمة ، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بعث به .

قال : فقالت له : يا ابن أخى أهو الذى كنا نُخْبَر أنه يُبْعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت : فذاك إذاً .

قال : فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكتمتُ إسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ[5] وإنى أُحبُّ أن تُدخلنى فى بعض بيوتك فتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك

---

(١) الأصل : عبد بن منير وهو خطأ . (٢) نتوكف : نترقب وننتظر . وفى الأصل : نتوقف مصحفة . وهو تحريف : وما أثبته عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : فكنت مسرا لذلك صامتا عليه .
(٤) ابن هشام : فلما نزل بقباء على بنى عمرو بن عوف أقبل . (٥) البهت : جمع بهيت ، كقضب وقضيب . والبهيت هو الذى يبهت القول ويختلقه .

كيف أنا فيهم ، قبلَ أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إنْ يعلموا بذلك بهتونى وعابونى . وذكر نحو ما تقدم .

قال : فأظهرت إسلامى وإسلامَ أهل بيتى ، وأسلمَتْ عمتى خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى محدِّث عن صفية بنت حُيَى قالت : لم يكن أحدٌ من ولد أبى وعمى أحبَّ إليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط أهشّ إليهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَاء ، قرية بنى عمرو بن عوف ، غَدَا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مُغْلسين ، فو الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءانا فاترَيْن كسلانَيْن ساقطين يمشيان الهُوَينى ، فهشَشْت إليهما كما كنت أصنع ، فو الله ما نظر إلىّ واحدٌ منهما ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : تعرفه بنَعْته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا فى نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله مابقيتُ !

وذكر موسى بن عُقْبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أَخْطَب حين قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعونِ ، فإنّ الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

فانطلق أخوه حُيَىّ بن أخطب ، وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير ، فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مطاعا ، فقال : أتيتُ من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمّ أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك .

قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومُه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حُيَي ابن أخطب والد صفية بنت حيي فشربَ عداوةَ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قَتل مُقاتلة بنى قريظة . كما سيأتى إن شاء الله .

فصــــل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة ، أدركه وقتُ الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف ، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك ، فى واد يقال له وادى رانوناء .

فكانت أولَ جُمعة صلاَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا ، لأنه ، والله أعلم ، لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خُطْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابنُ وهب ، عن سعيد بن عبد الرحمن الْجُمحى ، أنه بلغه عن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة صلاَّها بالمدينة فى بنى سالم بن عمرو بن عوف رضى الله عنهم : « الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأَستهديه ، وأُومن به ولا أَكْفُره ، وأعادِى مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسلَه بالهدى ودِين الحق والنور والموعظة على

فترة من الرسل ، وقلةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان : ودنوٍّ من الساعة ، وقُرْب من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رَشَد ، ومن يَعْصهما فقد غَوى وفرَّط وضلَّ ضلالاً بعيداً .

وأُوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أنْ يحضَّه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذَّرَكم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحةً ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عمل به على وجَلٍ ومخافة ، وعَوْنُ صِدْقٍ على ما تبتغون من أمرِ الآخرة .

ومن يُصْلح الذى بَيْنه وبين الله مِن أمرِ السر والعلانية لا ينْوى بذلك إلا وجهَ الله يكنْ له ذكراً فى عاجلِ أمره وذُخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ماقدَّم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمَداً بعيداً ، ويحذِّركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .

والذى صدَق قولَه ، وأنجز وعده ، لا خُلْف لذلك فإنه يقول تعالى : « مايبدَّل القولُ لدَىَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعبيد » .

واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه « مَنْ يَتَّق الله يُكفِّر عنه سَيِّئاته ويُعْظِم له أجراً » « ومَنْ يتَّق الله فقد فازَ فوزاً عظيما » وإن تقوى الله تُوقى مَقْتَه ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه ، وإنّ تقوى الله تبيِّض الوجه ، وتُرضى الرب ، وترفع الدرجة .

خذوا بحظكم ولا تفرِّطوا فى جَنْب الله ، قد علَّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيلَه ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه

وجاهدوا فى الله حق جهاده ؛ هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليَهْلِكَ مَنْ هلك عن بينة ويحيا من حَىَّ عن بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكرَ الله ، واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من أصلح مابينه وبين الله يَكْفِهِ مابينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يَقْضون عليه ، ويملكُ من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هكذا أوردها ابن جرير وفى السند إرسال .

وقال البيهقى : باب أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شَرِيق ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنْ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدِّموا لأنفسكم ، تعلمُنَّ والله ليُصْعقن أحدكم ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلَّغك ، وآتيتك مالا وأفضَلْتُ عليك ، فما قدَّمتَ لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله [1] ورحمة الله وبركاته » .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمده

---

(١) ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله .

وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] [١] ، إن أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زيَّنه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلَغه ، أحبُّوا مَنْ أحبَّ الله ، أحبوا الله مِنْ كُلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلام الله وذكرَه ولا تقسى عنه قلوبكم [١]] فإنه من [كلِّ مايخلق الله] [١] يختار الله ويصطفى ، فقد سمَّاه خيرتَه من الأعمال وخيرته من العبَاد ، والصالحَ من الحديث ، ومن كل ما أوتى النـاس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حقَّ تقاته ، واصـدُقوا الله صالحَ ماتقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينـكم ، إنَّ الله يغضب أن يُنْـكَث عهده . والسلام عليـكم ورحمة الله وبركاته ».

وهذه الطريق أيضا مرسلة ، إلا أنها مقوية لما قبلها ، وإن اختلفت الألفاظ .

فصـــــل

فى بناء مسجده الشريف فى مدة مقامه عليه السلام بدار أبى أيوب رضى الله عنه

وقد اختلف فى مدة مقامه بها ، فقال الواقدى : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر . والله أعلم .

قال البخارى : حـدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد ، قال سمعت أبى يحدّث فقال حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُمَيد الضَّبى ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن

---

(١) من ابن هشام .

عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا متقلدى سيوفهم قال : وكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رِدْفَه ، وملأُ بنى النجار حولَه ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب .

قال : فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مَرابض الغنم .

قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا فقال : يابنى النجار ثامِنُونى بحائطكم هذا . فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل . قال: فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خَرِبٌ (1) ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنُبشت ، وبالخَرِب فسوِّيت ، وبالنخل فقُطع .

قال : فصَفُّوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عُضَادتيه حجارة ، قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول : اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصارَ والمهاجرة .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث ابن سعيد .

وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى ، عن عروة ، أن المسجد الذى كان مِربداً – وهو بَيْدر التمر – ليتيمين كانا فى حِجْر أسعد بن زُرارة وهما سهل وسهيل ، فساومهما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : بل نهبُه لك يارسول الله. فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب :

---

(1) الخرب : جمع خربة كـكلمة وكلم .

هذا الحِمَالُ لاحِمَالُ خَيْبَرْ هــذا أبرُّ ربّنا وأطْهرْ

ويقول :

لاُهمَّ إنّ الأجرَ أجرُ الآخره فارحم الأنصـارَ والمُهاجره

وذكر موسى بن عُقْبة أن أسـعد بن زُرَارة عوّضهما منه نخلا له فى بياضة قال : وقيل ابتاعه منهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عَفْراء، وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو . فالله أعلم .

* * *

وروى البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا ، حدثنا الحسن بن حماد الضَّبى ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ؛ قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجدَ أعانه عليه أصحابُه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبرَّ صدره ، فقال : ابنوه عريشا كعريش موسى . فقلت للحسن : ماعريش موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش ، يعنى السقف .

وهذا مرسل وروى من حديث حَمَّاد بن سلَمة ، عن أبى سنان ، عن يَعْلَى بن شدّاد بن أوس ، عن عبادة ، أن الأنصار جمعوا مالاً فأتوا به النبىَّ صلى الله عليــه وسلم فقالوا : يارسول الله ابنِ هذا المسجد وزّينه ، إلى متى نصلِّى تحت هذا الجريد ؟ فقال : مابى رغبةٌ عن أخى موسى ،عريش كعريش موسى .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن سنان ، عن فِرَاس ، عن عطية العَوْفى ، عن ابن عمر ، أن مسجد النبى صلى الله عليــه وسلم كانت

سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تخربت فى خلافة أبى بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تخربت فى خلافة عثمان فبناها بالآجُرّ ، فما زالت ثابتة حتى الآن .

وهذا غريب .

وقد قال أبو داود أيضا : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، حدثنى أبى ، عن أبى صالح ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر ، أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعادَ عمدَه خشبا ، وغيَّره عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة [١] وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج [٢] .

وهكذا رواه البخارى عن على بن المَدِينى ، عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً ولو كمَفْحص قَطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » .

ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد، فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرِّحال إليه .

وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن

---

(١) القصة : الجص . (٢) فى ا : بالسلاح وهو تصحيف . والساج : اسم لنوع من الشجر .

عبد العزيز حين كان نائبَه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه . ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

* * *

قال ابن إسحاق : ونزل رسولُ الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغِّب المسلمين فى العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدْنا والنبيُّ يعملْ   لذاك منَّا العملُ المضلَّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخره   اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللبِن فقال : يارسول الله قتلونى يَحْملون علىَّ مالا يحملون .

قالت : أم سلمة فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ينفض وَفْرَته بيده ، وكان رجلا جَعْداً ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصلَه مسلمٌ فى صحيحه من حديث شُعبة ، عن خالد الحَذَّاء ، عن سعيد والحسن ، يعنى ابنى أبى الحسن البصرى ، عن أمهما خَيْرة مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقتل عماراً الفئةُ الباغيةُ » ورواه من حديث ابن علّية ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار ، وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ».

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الحسن يحدث عن أمه ، عن أم سلمة ، قالت : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَبْنُون المسجدَ ، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لَبِنةً لبنةً ، وعمار يحمل لبنتين ، لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال : « ابنَ سُمَيَّة ، للناس أجرٌ ولك أجران ، وآخرُ زادك شَرْبة من لبَن وتقتلك الفئة الباغية » .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين .

وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة ، عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة ، وعَمَّار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار ! تقتله الفئة الباغيـة ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النـار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

لـكن روى هذا الحديث الإمام البخارى عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذَّاء ، وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب الثَّقفى ، عن خالد الحذَّاء به ، إلا أنه لم يذكر قوله : « تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقى : وكأنه إنما تركها لمَا رواه مسلم من طريق ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد [قال : أخبرنى مَن هو خيرٌ منّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤسَ ابنِ سُمَيَّـة ! تقتله فئةٌ باغية » .

وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة ، عن أبي مسلم ، عن أبي نَضرة ، عن أبي سعيد [1]] قال : حدثني من هو خير مني ، أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر « بؤساً لك يا بن سُميَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وُهَيب ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حَفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار ناقهٌ مِنْ وجعٍ كان به ، فجعل يحمل لبنتين لبنتين . قال أبو سعيد : فحدثني بعضُ أصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : فقد فرَّق بين ماسمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه .

قال : ويُشْبه أن يكون قوله : « الخندق » وهماً ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حَمْلُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل . والله أعلم .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية .

وقد قتله أهل الشام في وقعة صِفِّين ، وعَمَّار مع عليٍّ وأهلِ العراق .

وقد كان عليٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاةً تكفيرُهم ، كما يحاوله جهلةُ الفرقة الضالة من الشِّيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بغاةً في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيباً ، بل المصيبُ له أجران والمخطئُ له أجر .

---

(١) سقط من ا .

ومن زاد فى هذا الحديث بعد : « تقتلك الفئة الباغية » : « لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة » فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تُقبل والله أعلم .

وأما قوله : « يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهلُ الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمامٌ برأسه ، وهذا يؤدى إلى افتراق الكلمة واختلافِ الأمة ، فهو لازمُ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكهم ، وإن كانوا لايقصدونه والله أعلم .

والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى ، على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

* * *

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عُبيد بن شريك ، حدثنا نُعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حَشْرَج بن نُباتة ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء ولاة الأمر بعدى » .

ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحِمَّانى ، عن حَشرج عن سعيد ، عن سفينة . قال : لما بَنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجدوضع حجراً . ثم قال « لِيَضَعْ أبو بكر حَجراً إلى جَنب حَجرى ، ثم ليضع عمر حَجره إلى جنب حجر أبى بكر ، ثم ليضع عثمان حَجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء الخلفاء من بعدى » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً .

والمعروف ما رواه الإمام أحمد، عن أبي النَّضْر ، عن حشرج بن نباتة العَبْسى ، وعن بَهْز وزيد بن الحبَاب وعبد الصمد وحماد بن سلمة ، كلاهما عن سعيد بن جمهان ، عن سَفينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك المُلْك » ثم قال سفينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة ، وخلافة عليّ ست سنين .

هذا لفظ أحمد .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق، عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

* * *

قلت : ولم يكن فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أول مابنى منبرٌ يخطب الناس عليه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستندٌ إلى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى ، فلما اتخذ له عليه السلام المنبر، كما سيأتى بيانه فى موضعه ، وعدَل إليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذعَ خار ذلك الجذعُ وحَنَّ حنينَ النُّوق العِشَار ، لمَا كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يسكت ، كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدى وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضى الله عنهم .

وما أحسن ماقال الحسن البصرى بعد ماروى هذا الحديث ، عن أنس بن مالك : يامعشر المسلمين الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى ، حدثني أبي ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان ، رجل من بني خُدْرة ورجل من بني عمرو بن عوف، في المسجد الذي أُسس على التقوى، فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العَمْري : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لِمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قُبَاء .

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال : حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد ، عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً ، عن قُتيبة ، عن الليث ، عن عِمْران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارَى رجلان في المسجد الذي أسِّس على التقوى ، وذكر نحو ماتقدم .

وفي صحيح مسلم من حديث حُميد الخرّاط ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد ، كيف سمعتَ أباك في المسجد الذي أسِّس على التقوى ؟ قال أبي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفّاً مِن حَصْباء فضرب به الأرضَ ثم قال : « هو مسجدكم هذا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدي هذا » .

وقال الإمام أحمدُ حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبىّ بن كعب ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المسجدُ الذى أسس على التقوى مسجدى هذا » .

فهذه طرق متعددة لعلها تَقْرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإلى هذا ذهب عمر ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيَّب ، واختاره ابن جرير .

وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصِّفة من ذلك ، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التى تُشَدُّ الرِّحال إليها ، كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدى هذا والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس » .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله وسلم قال : « صلاةٌ فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وفى مسند أحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله « فإنّ ذلك أفضل » .

وفى الصحيحين من حديث يحيى القَطَّان ، عن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين بيتى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » .

والأحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام ،لأن ذاك بناه إبراهيم ، وهذا بناه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام .

وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ، وقرروا أن المسجد الحرام أفضل ، لأنه فى بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ماليس فى غيره ، وبَسْط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصـــــــل

وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حُجَراً لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكنَ قصيرة البناء قريبة الفناء .

قال الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وكان غلاما مع أمه خَـيْرة مولاة أم سلمة ، لقد كنت أنال أطْوَلَ سقف فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم بيدى .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصرى شَـكْلاً ضَخْماً طِوالا . رحمه الله .

وقال السُّهيلى فى الرَّوض : كانت مساكنه عليه السلام مبنيةً من جريد عليه طين، بعضها من حجارة مرضومة ، وسقوفها كلها من جريد .

وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم .

وكانت حُجَره من شَعر مربوطة بخشب من عَرْعر .

قال : وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يُقْرع بالأظافير ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلَق .

قال : وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد .

* * *

قال الواقدى وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أُريقط الدِّيلى إلى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر زيدَ بن حارثة وأبا رافع مَوْلَيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعثا معهم بجملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاءوا ببنتى النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سَوْدَة وعائشة ، وأمها أم رُومان ، وأهل النبى صلى الله عليه وسلم وآل أبى بكر صحبةَ عبد الله بن أبى بكر ، وقد شرد بعائشة وأمها أم رُومان الجملُ فى أثناء الطريق ، فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه . قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول : أرسلى خِطَامه ، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل .

فتقدموا فنزلوا بالسُّنْح ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى .

وقَدِمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متمٌّ بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيما أصاب المهاجرين من حُمَّى المدينة رضى الله عنهم أجمعين
وقد سَلِم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه
فأزاحها الله عن مدينته

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ، حدثنا مالك بن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وَعِكَ أبو بكر وبلال ، قالت فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبتِ كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلهِ والموتُ أدْنَى مِنْ شِرَاكِ نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحَوْلِى إذْخَرُ وجَلِيلُ[1]

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجِنَّةٍ وهل يبدُوَنْ لى شامةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشة : فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصَحِّحها وبارك لنا فى صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالُجحْفَة[2] » .

ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن هشام مختصراً .

وفى رواية البخارى له عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، فذكره وزاد بعد شعر بلال . ثم يقول : اللهم العن عتبةَ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء .

---

(١) الإذخر : الحشيش الأخضر ، أو حشيش طيب الرائحة . والجليل : نبت ضعيف .
(٢) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة . وكان بها حينئذ يهود .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله حَبِّب إلينا المدينة كحبنا بمكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وصَحِّحها لنا وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفة » .

قالت : وقدِمْنا المدينةَ وهى أَوْبَأُ أرضِ الله ، وكان بُطْحان يجرى نَجْلًا ، يعنى ماءً آجنا .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبدالله بن عروة ابن الزبير ، عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقْم وصرف الله ذلك عن نبيه ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحجابُ ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مُصَبَّح فى أهله   والموتُ أدنى مِنْ شِرَاكِ نعلِه

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فُهَيرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقه   إنَّ الجبانَ حَتْفُه مِنْ فوقِهِ

كلُّ امرئٍ مجاهدٌ بطوقه   كالثورِ يَحْمى جلده برَوقه

قال : فقلت : والله ما يدرى ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتَنَّ ليلةً   بفَخٍّ وحولى إذخر وجَليلُ

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجِنَّة   وهل يبدوَنْ لى شامةٌ وطَفيلُ

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم وقلت : إنهم لَيَهْذُون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبِّب إلينا المدينة ، كما حبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدَّ ، وبارك لنا فى مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مَهْيَعة » ومَهْيَعة هى الجحفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى بكر بن إسحاق بن يَسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر وبلال ، فاستأذنت عائشةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبى بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مصبَّحٌ فى أهله   والموتُ أدْنَى مِنْ شِراك نَعْلِه

وسألت عامراً فقال :

إنى وجدت الموتَ قَبْلَ ذَوْقه   إنّ الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فوقه

وسألت بلالا فقال :

ياليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً   بفَخٍ وحولى إذْخَرٌ وجَليلُ

فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبَّبْت إلينا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وانقلِ وباءها إلى مَهْيعة » وهى الجحْفة فيما زعموا .

وكذا رواه النسائى عن قتيبة ،عن الليث به. ورواه الإمام أحمد،من طريق عبد الرحمن ابن الحارث عنها ، مثلَه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالا : حدثنا

أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض الله ، ووادبها بُطْحان نَجْلٌ .

قال هشام : وكان وباؤها معروفا فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبيئا فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق نهيقَ الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرّه وباء ذلك الوادى . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لَعَمْرى لئن عبرَّتُ مِن خيفةِ الرَّدى ... نهيقَ الحمارِ إننى لجزُوعُ

وروى البخارى من حديث موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرةَ الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمَهيعة ، وهى الجحْفة . فأوّلتُها أن وباء المدينة نُقل إلى مَهيعة ، وهى الجحفة » .

هذا لفظ البخارى ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة .

وقد روى حمَّاد بن زيد ، عن هشام بن عُروة ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى وبيئة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُمَّاها إلى الجحفة » .

قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلمُ حتى تَصْرعه الحمَّى .

ورواه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى وبيئة ، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه صبيحة رابعــة ، يعنى مكة ، عام عُمرة القضاء ، فقال المشركون : إنه يَقْدم عليــكم وفدٌ قد وهنهم حُمَّى يثرب ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرْمِلوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة ، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رُفع وبقى آثار منه قليل ، أو أنهم بقوا فى خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة . والله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدو مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا وما يُصلُّون إلا وهم قُعود .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشَّم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم ، التماس الفضل !

فصـــــــل

فى عَقْده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذى أَمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التى أمرهم بها وقررهم عليها ، ومُوَادعته اليهودَ الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَينقاع وبنو النضير وبنو قُريظة .

وكان نزولهم بالحجاز قَبْـل الأنصار أيام بُختنصَّر حين دوَّخ بلاد المقدس . فيما ذكره الطبرى .

ثم لمـا كان سيلُ العَرِم وتفرقت شذَر مذَر ، نزل الأوسُ والخزرج المدينـة عند اليهود ، فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لِمَا يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الأنبياء .

لـكنْ مَنَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهُدَى والإسلام ، وخذل أولئك لحسَدهم وبغْيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا والبخارى ومسلم وأبو داود من طرق متعددة ، عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار فى دارى . وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، عن حجاج ، هو ابن أرطاة ، قال : وحدثنا سُرَيج ، حدثنا عبَّاد ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جـده : أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقلوا معاقلهم ، وأن يَفْدُوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدثنا سُرَيج ، حدثنا عباد ، عن حجاج ، عن الحـكَم ، عن قاسم ،عن ابن عباس مثله .

تفرد به الإمام أحمد .

وفى صحيح مسـلم عن جابر : كتب رسول الله صلى الله عليـه وسلم على كل بطن عقولة .

وقال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهـاجرين والأنصار وادَع فيه اليهودَ وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرَط

لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد النبى الأمى ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومَنْ تَبِعهم فلحق بهم وجاهـد معهم ، أنهم أُمَّةٌ واحدة من دون النـاس ، المهـاجرون من قريش على رِبْعتهم[1] يتعاقلون بينهم ، وهم يَفدُون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط ، وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

ثم ذكر كلَّ بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعِدَة ، وبنى جُشَم ، وبنى النجار ، وبنى عمرو بن عوف ، وبنى النَّبيت .

إلى أن قال : وإنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[2] بيْنهم أن يُعطوه بالمعروف فى فداء [أ] وعقل ، ولا يُحالِفُ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسيعة[3] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعهم ، ولو كان ولدَ أحدهم ، ولا يَقْتل مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضُهم موالى بعض دون الناس .

وإنه مَنْ تبِعنا مِنْ يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصَرٍ عليهم ، وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كلَّ غازية غزت معنا يُعقب بعضُها بعضا .

وإن المؤمنين يُبىء[4] بعضُهم بعضاً بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين

---

(١) ربعتهم : حالهم التى أتى الإسلام وهم عليها .

(٢) قال ابن هشام : المفرح المثقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

(٣) الدسيعة : العظيمة . وفى الأصل . دسيسة . وهو تحريف .

(٤) يبىء : يمنع .

المتقين على أحسن هَـدْيٍ وأقومه ، وإنه لا يجير مشركٌ مالًا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعْتَبط مؤمناً قتلًا عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به إلى أنْ يرضَى ولىُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه .

وإنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما فى هذه الصحيفة وآمنَ بالله واليوم الآخر أن ينصر محْدِثا ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود يُنْفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أُمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ[1] إلا نفسه وأهلَ بيته .

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جُشَم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشُّطَيْبة[2] مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن بِطَانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحـد إلا بإذن محمد ، ولا يَنْحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه [فتَكَ وأهل بيته][3] إلا من ظلم ، وإن الله على أبرِّ[4] هذا ، وإن على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤٌ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرامٌ جوفها[5] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجَار حرمةٌ إلا بإذن أهلها .

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مردَّه إلى

---

(١) يوتغ : يهلك (٢) الأصل : الشطنة وهو تحريف ، وما أثبته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام (٤) الأصل : أثر . وهو تحريف . (٥) الأصل : حرفها . وماأثبته عن ابن هشام

الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقَى ما فى هذه الصحيفة وأبَرِّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نَصَرها ، وإن بينهم النصر على مَنْ دَهِمَ يثربَ ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدِّين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قِبَلهم .

وإنه لا يَحُول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه مَن خرج آمِنٌ ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أَثِم ، وإنّ الله جارٌ لمن برَّ واتقى » .

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَّام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصـــــل

فى مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

ليرتفق المهاجرى بالأنصارى

كما قال تعالى : « والذين تبوَّأوا الدار والإيمان مِن قبلهم يحبُّون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يَجِدون فى صدورهم حاجةً ممـا أُوتوا ويُؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولـئك هم المفلحون »[1] وقال تعالى : « والذين عَقَدَتْ أيمانُـكم فآتوهم نَصيبهم إنّ الله كان على كلِّ شىءٍ شهيداً »[2] .

قال البخارى : حدثنا الصَّلْت بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس « ولـكلٍّ جعلنا مَوالى » قال: ورثة « والذين عاقَدَتْ أيمانُـكم» كان المهـاجرون لمـا قدموا المدينـة يرث المهـاجرىُّ الأنصارىَّ دون ذوى رحِمه للأُخوّة التى آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلمـا نزلت « ولـكلٍّ جعلنا موالى » نُسخت ثم قال : « والذين عاقَدتْ أيمانُـكم فآتوهم نصيبهم » من[3] النصر والرِّفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصى له .

وقال الإمام أحمد : قرىء على سفيان : سمعت عاصما عن أنس قال : حالفَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا . قال سفيان : كأنه يقول آخَى .

***

وقال محمد بن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ « تآخَوا فى الله أخوَيْن أخوين » .

---

(١) سورة الحشر ٩ . (٢) سورة النساء ٣٣ والقراء . (٣) البخارى : إلا النصر . .

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُ المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الذي ليس له خَطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب أخوَيْن .

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين .

قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وَقش أخوين ، ويقال: بل كان الزبير وعبدالله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبيّ بن كعب أخوين ،ومصعب بن عُمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة ابن عُتْبة وعباد بن بشْر أخوين ، وعَمار وحذيفة بن اليمان العَبْسى حليف عبد الأَشْهل أخوين . ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند من وجهين .

قال : وأبو ذَرّ بَرِير بن جنادة ، والمنذر بن عمرو الْمُعْنِقُ ليموت (١) أخوين ، وحاطب بن أبي بَلْتَعة وعُوَيم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد الفَزَع (٢) أخوين .

---

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنيس ، قتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقال له : أعنق ليموت ، أى سار مسرعا . (٢) ويروى القزع بالقاف .

قال : فهؤلاء مَنْ سُمِّى لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بينهم من أصحابه . رضى الله عنهم .

* * *

قلت : وفى بعض ماذكره نظر .

أما مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم وعلىّ ، فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ، ومُسْتَنده فى ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألَّف قلوبَ بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لأحد منهم، ولا مهاجرىّ لمُهَاجرى آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة .

اللهم إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة علىٍّ إلى غيره ، فإنه كان ممن ينفق عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من صِغره فى حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره .

وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مَوْلاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذِكْره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جَبل فيه نظر ، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبى طالب إنما قَدِم فى فتح خيبر فى أول سنة سَبْع كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مَقْدمه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أن يقال إنه أَرْصَد لأخوّته إذا قَدِم حين يَقْدَم .

وقوله : « وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين » يخالف ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخَى بين أبى عبيدة بن الجرَّاح وبين أبى طَلحة .

وكذا رواه مسلم منفرداً به ، عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

وهـذا أصح ممـا ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ . والله أعلم .

* * *

وقال البخارى : باب كيف آخَى النبيُّ صلى الله عليـه وسلم بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الرَّبيع لما قدمنا المدينة .

وقال أبو جُحَيفة : آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء رضى الله عنهما .

حـدثنا محمد بن يوسف ، حـدثنا سفيان ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : قَدِم عبدُ الرحمن بن عوف فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصارى ، فعرض عليه أن يُناصفه أهلَه ومالَه ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دُلَّنى على السوق . فربح شيئا من أَقط وسمن ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعـد أيام وعليه وَضَرٌ من صُفْرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَهْيَم ياعبد الرحمن ؟ قال : يارسول الله تزوجتُ امرأةً من الأنصار . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » قال : وَزْنَ نَواةٍ من ذَهبٍ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَوْلِم ولو بشاة » .

تفرد به من هـذا الوجه . وقد رواه أيضا فى مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حُميد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحميد ، عن أنس ، أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصارى ، فقال له سعد : أَىْ أخى ، أنا أكثرُ أهل المدينة مالاً ، فانظر شَطْرَ مالى نخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجبُ إليك حتى أطلقها .

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوف . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهيم ؟ » فقال : يارسول الله تزوجتُ امرأة ، قال : « ما أَصْدَقتها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال « أَوْلم ولو بشاة » .

قال عبد الرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيب ذهباً وفضة .

وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب ، فإنه لا يعرف مسنداً إلا عن أنس ، اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يارسول الله مارأينا مثلَ قومٍ قدِمْنا عليهم أحسنَ مواساةً فى قليل ، ولا أحْسَن بَذْلا من كثير ، لقد كفَوْنا المؤونة وأَشْركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت فى الصحيح من [غيره] .

وقال البخارى : أخبرنا الحكَم بن نافع ، أخبرنا شُعيب ، حدثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قالت الأنصار : اقسم بَيْننا وبين إخواننا النخيلَ . قال : لا . قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونَشْركْكم فى الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .

تفرَّد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلَم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار « إنَّ إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالُنا بيننا

قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك ؟ » قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال : « هم قومٌ لا يعرفون العملَ ، فتَكْفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا نعم .

وقد ذكرنا ماورد من الأحاديث والآثار فى فضائل الأنصار وحُسْن سجاياهم عند قوله تعالى : « والذين تبوَّأُوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قبلهم » الآية .

فصــــل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زُرَارة

ابن عدس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، أحد النقباء الاثنى عشر ليلةَ العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية فى قولٍ ، وكان شابًّا ، وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخَضِمات فى هَزْم النَّبيت . كما تقدم .

قال محمد بن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يُبْنى ، أخذته الذبحة أو الشهقة .

وقال ابن جرير فى التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كوَى أسعد بن زرارة فى الشوكة .

رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « بئس الميتُ أبو أمامة لِيَهودِ ومنافِقِي العرب ، يقولون : لو كان نبيًّا لم يمتْ صاحبُه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا » ،

وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد زعم أبو الحسن بن الأثير فى الغابة أنه مات فى شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر . فالله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم لهم نقيباً بعدَ أبى أمامة أسعد بن زُرارة فقال : « أنتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخصَّ بها بعضَهم دونَ بعض ، فكان من فَضْل بنى النجار الذى يعتدُّون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

قال ابن الأثير : وهذا يردُّ قولَ أبى نُعيم وابن منده فى قولهما : إن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بنى ساعدة ، إنما كان على بنى النجار .

وصدَق ابنُ الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير فى التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه عليه الصلاة السلام المدينة من المسلمين ، فيما ذكر ، صاحبُ منزله كلثوم بن الهَدْم ، لم يلبث بعد مَقْدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفى بعده أسعدُ بن زُرَارة وكانت وفاته فى سنة مَقْدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد ، بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهَدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف ، بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، الأنصارى الأوسى ، وهو من بنى عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلَمَ قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء نزل فى منزل هذا فى الليل ،

وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم .

قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أولُ من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصـــل

فى ميلاد عبد الله بن الزبير فى شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد فى الإسلام من المهاجرين ، كما أن النعمان بن بَشِير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما .

وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً . قاله أبو الأسود . ورواه الواقدى عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة عن أبيه ، عن جده .

وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة .

والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ، أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت : فخرجت وأنا مُتِمٌّ فأتيت المدينة فنزلت بقُباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ، فكان أول شىء دخل جوفه ريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حنَّكه بتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه . فكان أولَ مولود ولدَ فى الإسلام . تابعه خالد بن مَخْلَد ، عن على ابن مُسْهِر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهى حُبلى .

حدثنا قُتَيبة ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أولُ مولود ولد فى الإسلام عبدُ الله بن الزبير ، أتوا به النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم تمرةً فلاكها ثم أدخلَها فى فيه ، فأول ما دخل بطنه ريقُ النبى صلى الله عليه وسلم .

فهذا حجةٌ على الواقدىّ وغيره ، لأنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بَعَث مع عبد الله بن أُريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر ، فقدِموا بهم إثر هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأسماء حاملٌ متمٌّ ، أى مُقْرِب قد دَنَا وضعُها لولدها ، فلما ولدته كبَّر المسلمون تكبيرةً عظيمة فرَحاً بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سَحروهم حتى لا يولَد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذَبَ الله اليهود فيما زعموا .

فصـــل

وبَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فى شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أُمية ، عن عبد الله بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنَى بى فى شوال ، فأىُّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظَى عنده منى ؟

وكانت عائشة تستحب أن تُدْخل نساءها فى شوال .

ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به . وقال الترمذى : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثَّورى .

فعلى هذا يكون دخولُه بها عليه السلام بعدَ الهجرة بسبعة أشهر ، أو ثمانية أشهر .

وقد حكى القولين ابنُ جرير ، وقد تقدم فى تزويجه عليه السلام بسَوْدَة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدِموا المدينة ، وأن دخوله بها كان بالسُّنْح نهاراً . وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفى دخوله عليه السلام بها فى شوال ردٌّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهيةِ الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشىء لما قالته عائشة رادَّة على مَن توهَّمه من الناس فى ذلك الوقت : تزوجنى فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، أى دخل بى فى شوال ، فأىُّ نسائه كان أحظى عنده منى ؟

فدلَّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحبُّ نسائه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص : قلت يا رسول الله أى الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

فصل

قال ابن جَرير : وفى هذه السنة ، يعنى السنة الأولى من الهجرة ، زِيد فى صلاة الحضَر ، فيما قيل ، ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر من ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت .

وقال : وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق مَعْمَر عن الزُّهرى عن عُرْوة ، عن عائشة قالت : فُرضت الصلاة أولَ ما فرضت ركعتين ، فأُقِرَّت صلاةُ السَّفر وزِيد فى صلاة الحضر .

وروى من طريق الشَّعْبى عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقى عن الحسن البَصرى ، أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى « وإذا ضَرَبْتم فى الأرضِ فليس عليكم جُناح أن تَقْصُروا من الصلاة[1] » الآية .

فصل

فى الأذان ومشروعيته عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوَّأ الإسلام بين أَظْهُرهم .

وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوأوا الدارَ والإيمانَ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذى يَدْعون به لصلاتهم . ثم كرهه ، ثم أَمر بالناقوس فنُحت ليُضْرب به للمسلمين للصلاة .

فبيناهم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداءَ ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت :

---

(١) سورة النساء ١٠١ .

يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : ألا أدلُّك على خيرٍ من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ،أشهدأن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حَيِّ على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذِّن بها فإنه أنْدَى صوتاً منك » .

فلما أذَّن بها بلالٌ سمعه عمرُ بن الخطاب وهو فى بيته فخرج إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذى رأى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به ، وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما .

وعند أبى داود أنه علَّمه الإقامة ؛ قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبى عُبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمدبن سلمة الحرَّانى عن ابن إسحاق كما تقدم .

ثم قال : قال أبو عبيد : وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الأنصارى قال فى ذلك :

الحمدُ لله ذى الجلال وذى الإكـــرام حمـــداً على الأذان كبيرَا

إذ أتانى به البشـــيرُ من اللـــه فأكرمْ به لَدَىَّ بَشِـــيرَا

فى ليـــالٍ والَى بهنّ ثلاثٍ كلمـــا جاء زادنى توقيرَا

قلت : وهـذا الشعر غريب ، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم.

ورواه الإمام أحمد ، من حديث محمد بن إسحاق قال : وذكر الزُّهرى عن سعيد ابن المسيَّب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق . عن محمد بن إبراهيم التيمى ولم يذكر الشعر .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى ، حدثنا أبى عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهرى ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناسَ لِماَ يهمُّهم من الصلاة ، فذكروا البُوق فكرهه من أجْل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجْل النصارى . فأُرى النداء تلك الليـلة رجلٌ من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاريُّ رسول ا لى الله عليه وسلم ليلاً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذَّن به .

قال الزُّهرى : وزاد بلالٌ فى نداء صلاة الغداة : « الصلاةُ خـيرٌ من النوم » مرتين ، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا رسول الله رأيتُ مثلَ الذى رأى ولـكنه سبقنى .

وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الأحكام الـكبير . إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذى أورده السُّهيلى بسنده من طريق البزَّار ، حدثنا محمد بن عثمان بن مَخْلد ، حدثنا أبى ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذَّن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمة صدَّقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه ، فأمَّ بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلى : وأَخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضّده ويشاكله من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح ، بل هو مُنْكر ، تفرَّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب إليه الفرقة الجارودية ، وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة . والله أعلم .

***

قال ابن هشام : وذكر ابنُ جُرَيج قال : قال لى عطاء : سمعت عُبيد بن عُمَير يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر ابن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام : لا تجعلوا الناقوسَ بل أذِّنوا للصلاة .

فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى ، وقد جاء النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحى » .

وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، كما صرح به بعضهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كلَّ غَدَاة ، فيأتى بسَحَر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك . قالت: ثم يؤذّن قالت : والله ماعلمتُه كان تركها ليلة واحدة . يعنى هذه الكلمات .

وزواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصـــــل

فى سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن جَرِير : وزعم الواقدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقد فى هذه السنة فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مُهَاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، ليعترض لِعيرات قريش ، وأن حمزة لقى أبا جهل فى ثلاثمائة رجل من قريش ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وكان الذى يحمل لواء حمزة أبو مَرْثَد الغَنوى .

فصـــــل

فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم عَقد فى هذه السنة على رأس ثمانية أشهر فى شوال لعُبيدة بن الحارث لواءً أبيض ، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ .

وكان لواؤه مع مِسْطَح بن أُثَاثة ، فبلغ ثَنِيَّة المُرّة وهى بناحية الجحْفة ، فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، وكان بينهم الرمى دون المسايفة(١) . قال الواقدى : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت وعندنا ، وقيل كان عليهم مِكْرز بن حفص .

فصـل

قال الواقدى : وفيهـا ، يعنى فى السنة الأولى فى ذى القعدة ، عَقَـد رسول الله صلى الله عليه وسـلم لسعـد بن أبى وقاص إلى الخرار لواءً أبيض يحمـله المِقْـداد ابن الأسود .

فحدثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، [عن أبيه] قال: خرجت فى عشرين رجلا على أقدامنا ، أو قال: أحد وعشرين رجلا ، فـكنا نَـكْمن النهار ونسير الليل ، حتى صبَّحنا الخرار صبحَ خامسة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلىَّ ألا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتنى قبـل ذلك بيوم .

قال الواقدى : كانت العير ستين ، وكان مَن مع سعد كلهم مِن المهاجرين .

قال أبو جعفر بن جرير : وعند ابن إسحاق أن هـذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله ، كما سنورده فى أول كتـاب المغازى فى أول السنـة الثانيـة من الهجرة ، وذلك تِلْو ما نحن فيـه إن شاء الله .

---

(١) المطبوعة : المسابقة . وهو تحريف .

ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الأولى ، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

والواقدى عنده زيادات حسنة ، وتاريخ مُحرَّر غالبا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صَدُوق فى نفسه مِكْثار ، كما بسطنا القولَ فى عدالته وجَرْحه فى كتابنا الموسوم « بالتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ولله الحمد والمنة .

فَصْــــلٌ

وممن ولد فى هذه السنة المباركة ، وهى الأولى من الهجرة ، عبدُ الله بن الزبير ، فكان أولَ مولود ولد فى الإسلام بعدَ الهجرة ، كما رواه البخارى عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى الصديق رضى الله عنهما .

ومن الناس من يقول : وِلد النعمانُ بن بَشير قبلَه بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابنُ الزبير أولَ مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين .

ومن الناس من يقول إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة .

والظاهر الأول ، كما قدمنا بيانه ، ولله الحمد والمنة ، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبى عُبَيد وزِيَاد بن سُمَيَّة ولدا فى هذه السنة الأولى[1] . فالله أعلم .

وممن توفى فى هذه السنة الأولى من الصحابة : كُلْثوم بن الهَدْم الأوسى ، الذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسكنه بقُباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بنى

---

(١) الأصل : فى هذه السنة الثانية . والتصويب من تاريخ الطبرى .

النَّجار كما تقـدم ، وبعدَه ، فيها ، أبو أمامة أسعد بن زُرَارة نقيب بنى النجـار ، توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى المسجد . كما تقدم رضى الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير : وفى هـذه السنة ، يعنى الأولى من الهجرة ، مات أبو أُحَيحْة بمالِه بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهمى فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يُسْلموا لله عز وجل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع فى السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ، ومن أعظمها وأجلِّها بدرٌ الكُبرى التى كانت فى رمضان منها ، وقد فرَق الله بها بَينْ الحق والباطل ، والهدى والغَىِّ .

وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازى

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار فى كتاب السيرة ، بعد ذِكْر أحبار اليهود ونَصْبهم العداوةَ للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حُيَى بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجُدَىّ ، وسلاَّم بن مِشْكم ، وكِنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وسلاَّم بن أبى الحُقَيق وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذى قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتى ، والربيع بن الربيع أبى الحقيق ، وعمرو بن جَحَّاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طىء ثم أحد بنى نَبْهان وأمه من بنى النضير ، وقد قتله الصحابة قبلَ أبى رافع كما سيأتى ، وحليفاه الحجاج بن عمر وكردَم بن قيس لعنهم الله .

فهؤلاء من بني النضير .

ومن بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن [1] عبدُ الله بن صُوريا ، ولم يكن بالحجاز بعدُ أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم .

---

(١) الفطيون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم .

وابن صَلُوبا ، ومُخَيريق ، وقد أسلم يوم أُحد كما سيأتى ، وكان حبر قومه .

ومن بنى قينقاع زيد بن اللَّصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سَيْحَان [1] وعُزَيز بن أبى عزيز وعبد الله بن ضيف ، وسُوَيد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنحاص ، وأَشْيَع ، ونعمان بن أضَا ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشَأْس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو [2] وسُكَين بن أبى سكين ، وعَدِى بن زيد ، ونُعمان بن أبى أوْفَى ، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ، ومالك بن صيف . وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبى آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيملة ، ورافع بن خارجة ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلاَم .

قلت : وقد تقدم إسلامه رضى الله عنه . قال ابن إسحاق : وكان حَبْرَهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصَين ، فلما أسلم سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

قال ابن إسحاق : ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل [3] وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقْدهم الذى نقضوه عام الأحزاب ، وشَمْويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحام بن زيد ، وكردَم [4] بن كعب ، ووهب بن زيد ونافع بن أبى نافع ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيلة ، وجبل بن أبى قُشَير ، ووهب بن يهوذا :

قال : ومن بنى زريق ، لَبِيد بن أَعْصم ، وهو الذى سحَر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صُوريا ، ومن يهود بنى عمرو بن عوف قَرْدَم ابن عمرو ، ومن يهود بنى النجار ، سلسلة بن بَرْهام .

---

(١) الأصل : شيخان . وما أثبته عن ابن هشام . (٢) الأصل : عمير . وما أثبته من ابن هشام .
(٣) ا . شموال . (٤) ابن هشام : قردم .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء أحبارُ يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحـابه رضى الله عنهم ، وأصحابُ المسألة الذين يُكْثرون الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلام ومُخَيْريق .

* * *

ثم ذكر إسلامَ عبد الله بن سَلام ، وإسلام عمته خالدة ، كما قدمناه .

وذكر إسلام مخيريق يوم أُحد كما سيأتى ، وأنه قال لقومه ، وكان يوم السبت ، يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت ، قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعَهِد إلى مَن وراءه من قومه : إن قُتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله . وكان كثيرَ الأموال .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : « مخيريق خيرُ يهود » .

فصـــل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ مالَ إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج .

فمن الأوس : زُوَىّ بن الحارث ، وجُلاَس بن سُويد بن الصامت الأنصارى، وفيه نزل : « يَحْلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمةَ الكُفر وكَفروا بعدَ إسلامهم[1] » وذلك أنه قال حين تخلَّف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شرٌّ من الحمر .

---

(١) سورة التوبة .

فنماها ابنُ امرأته عُمير بن سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر الجلاسُ ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك .

قال : وقد زعموا أنه تاب وحَسُنت توبته حتى عُرف منه الإسلامُ والخير .

قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى وقيسَ بن زيد أحد بنى ضُبَيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدَا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المُجذَّر قد قتل أباه سُوَيَدبن الصامت فى بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد .

كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويدَ بن الصامت إنما هو معاذُ بن عَفراء قتله فى غير حربٍ قبلَ يوم بُعاث ، رماه بسهم فقتله .

وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيسَ بن زيد ، قال : لأن ابن اسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الُجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغنى عن ابن عباس : « كيف يَهْدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرسول حَقٌّ وجاءهم البيناتُ والله لا يهدى القوم الظالمين[1] » إلى آخر القصة .

قال : وبِجاد بن عثمان بن عامر ، ونَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيماً أَدْلَمَ[2] ثائرَ شعر الرأس أحمر العينين أسفعَ[3] الخدين ، وكان يسمع الكلامَ من

---

(١) سورة آل عمران ٨٦ . (٢) الأدلم : المسترخى الشفتين أو الشديد السواد .
(٣) السفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمدٌ أُذُنٌ ، من حدَّثه بشىء صدَّقه . فأنزل الله فيه : « ومنهم الذين يُؤْذون النبىَّ ويقولون هو أذن[1] » الآية .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجدَ الضِّرار ، وثعلبة بن حاطب ومُعَتِّب بن قُشَير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصَّدقن ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتِّب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا . فنزلت فيه الآية . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعِدنا أنا نأكل كنوزَ كسرى وقيصر . وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فنزل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسولُه إلا غرورا[2] » .

قال ابن إسحاق : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام . ومُعتب بن قُشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم[3] من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبةَ والحارث فى بنى أمية بن زيد ، فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبَّاد بن حُنيف أخو سهل بن حنيف ، وبَحْزَج ، وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن خِذَام[4] وعبد الله بن نَبْتَل ، وجارية بن عامر بن العطَّاف ، وابناه يزيد[5] ومُجمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاماً حدَثا قد جمع أكثرَ القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضِّرار كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك ، وكان فى أيام عمر سأل أهلُ قُباء عمرَ أن يصلى بهم مجمعٌ فقال : لا والله ، أو ليس إمامَ المنافقين فى مسجد الضرار ؟ !

---

(١) سورة التوبة ٦١ . (٢) سورة الأحزاب (٣) الأصل : وهما . وما أثبته عن ابن هشام .
(٤) الأصل : حزام . وما أثبته عن ابن هشام . (٥) ابن هشام : زيد

فحلف بالله ما علمتُ بشيء من أمرهم . فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم .

قال : ووديعة بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجدَ الضرار، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فنزل فيه ذلك .

قال : وخِذام بن خالد ، وهو الذى أَخرج مسجد الضرار من داره .

قال ابن هشام، مستدركا على ابن إسحاق فى منافقى بنى النَّبيت من الأوس : وبشْر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق : ومِرْبع بن قَيْظى ، وكان أعمى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أُحد : لا أحلّ لك إن كنت نبيًّا أن تمرَّ فى حائطى . وأخذ فى يده حفنةً من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر[١] » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجَّه .

قال : وأخوه أَوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة . قال الله : «وما هى بعورةٍ إنْ يريدون إلا فِراراً[٢] » قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا[٣] فى جاهليته ، وكان له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أُصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا بن حاطب . قال : فنجم نفاقُ أبيه فجعل يقول : أجلْ ! جنةٌ مِن حَرْمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه !

---

(١) ابن هشام: أعمى البصيرة . (٢) سورة الأحزاب ١٣. (٣) عسا : أسن وكبر .

قال وبشير بن أُبيرق أبو طعمة سارق الدرعين ، الذى أنزل الله فيه : « ولا تُجَادِلْ عن الذين يَخْتانون أنفسهم[1] » الآيات .

قال : وقُزمان حليفٌ لبنى ظُفر ، الذى قَتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلتُ إلا حَمِيةً على قومى . ثم مات لعنه الله .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعْلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحُبِّ يهود .

فهؤلاء كلهم من الأوس .

* * *

قال ابن إسحاق : ومن الخزرج : رافع بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدُّ بن قيس ، وهو الذى قال : ائذن لى ولا تَفْتنّى . وعبد الله بن أُبىٍّ بن سَلُول ، وكان رأسَ المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم فى الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبلَ ذلك ، شَرِق اللعينُ بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرجن الأعزُّ منها الأذلَّ .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعة ، رجل من بنى عوف ، ومالك ابن أبى قَوْقَل وسُويد وداعس ، وهم مِن رهطه نزل قوله تعالى : « لئن أُخرجوا لا يَخْرجون معهم[2] » الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النَّضير .

---

(١) سورة النساء ١٠٧ . (٢) سورة الحشر ١٢ .

فصـــــل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ أسلَم من أحبار اليهود على سبيل التَّقِيَّة ، فكانوا كفارا فى الباطن ، فأَتْبعهم بصنف المنافقين ، وهم مِن شَرِّهم :

سعدُ بن حُنيف ، وزيد بن اللُّصَيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا أعلم إلا ماعلَّمنى الله ، وقد دلَّنى الله عليها ، فهى فى هـذا الشِّعب قد حبستْها شجرةٌ بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك .

قال : ونعمان بن أَوْفَى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيملة ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين » .

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك فقال: «إنها هَبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم .

وسِلْسلة بن بُرْهام ، وكنانة بن صوريا .

فهؤلاء من أسلم من منافقى اليهود .

***

قال : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديثَ المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم .

فاجتمع فى المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لَصق بعضُهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا .

فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار ، وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ، لعنه الله : أتُخْرجنى يا أبا أيوب من مِرْبَد بنى ثعلبة .

ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلبَّبَه بردائه ، ثم نتره نتراً شديداً ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدَمه بهما لَدْمةً [1] فى صدره خرَّ منها ، قال يقول : خدشتنى ياعمارة . فقال عمارة . أبْعَدك الله يامنافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشدُّ من ذلك ، فلا تقْربنّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أَصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك ابن النجار ، وكان بَدْريا ، إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان شابا وليس فى المنافقين شاب سواه ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه .

وقام رجل من بنى خُدْرة [2] إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول

---

(١) اللدم : الضرب ببطن الكف . (٢) ابن هشام : من بلخدرة .

المنافق : قد أغلظتَ يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهلٌ لذلك أَىْ عدوّ الله لمَا أنزل فيك ، فلا تَقْرَبَنَّ مسجدَ رسول الله صلى الله وسلم فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَى بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفا وأَفَّف منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمرُه .

ثم ذكر ابن إسحاق مانزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد . رحمه الله .

ذكر أول المغازى وهى غزوة الأبواء
ويقال لها غزوة ودّان وأول البعوث

وهو بَعْثُ حمزةَ بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتى فى المغازى .

قال البخارى : كتاب المغازى . قال ابن إسحاق : أول ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَبْوَاء ، ثم بُوَاط ، ثم العُشَيْرة .

ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سُئل : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة ، شهد منها سبع عشرة أولهن العُسَيْرة ، أو العشيرة .

وسيأتى الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العُشَيرة إن شاء الله وبه الثقة .

وفى صحيح البخارى عن بُرَيدة قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ستَّ عشرة غزوة .

ولمسلم عنه : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة . وفى رواية له عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة . وقاتل فى ثمان منهن .

وقال الحسين بن واقد ، عن ابن بريدة، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا سبع عشرة غزوة وقاتل فى ثمان ، يوم بدر ، وأُحد ، والأحزاب ، والمُرَيسيع ، وقُدَيد وخيبر ، ومكة ، وحُنين . وبَعث أربعاً وعشرين سَرِيَّة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى التَّنُوخى ، حدثنا الهيثم ابن حُميد ، أخبرنى النعمان، عن مَكْحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمانى

عشرة غزوة ، قاتل فى ثمانى غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قرَيظة ، ثم بئر معونة[١] ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف .

قوله : « بئر معونة » بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى .

قال يعقوب : حدثنا سلمة بن شَبِيب ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، سمعت سعيد بن المسيَّب يقول : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة . وسمعته مرة أخرى يقول : أربعا وعشرين . فلا أدرى أكان ذلك وَهْماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطبرانى عن الدَّبَرى[٢] ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزهرى . قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين غزوة .

وقال عبد الرحمن بن حُميد فى مسنده : حدثنا سعيد بن سلَّام ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم من طريق هشام ، عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثا وأربعين . ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذُكرت فى « الإكليل » على الترتيب بعوثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه زيادة على المائة .

قال : وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين .

---

(١) بئر معونة لم تكن غزوة ولم يشهدها الرسول صلوات الله عليه ، بل وقع فيها العدوان على البعث الذى أرسله إلى نجد فى حماية أبى البراء ملاعب الأسنة ، ثم غدر بهم عامر بن الطفيل ولعلها أقحمت على الثمانية.

(٢) هو أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن عباد الدبرى ، راوى كتب عبد الرزاق عنه ، روى عنه الطبرنى وغيره . وفى الأصل : الدرى . محرفة .

وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحَمْلُه كلامَ قتادة على ماقال فيه نظر .

***

وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبىّ ، عن هشام الدَّسْتُوائىّ[1] عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون . أربع وعشرون بَعْثا ، وتسع عشرة غزوة ، خرج فى ثمان منها بنفسه : بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمرَيْسِيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، [والطائف] .

وقال موسى بن عقبة ، عن الزهرى : هذه مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قاتل فيها : يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ، وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة ، فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المُصْطلق وبنى لحيَان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الأَبْواء .

وقال حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفر الرقّى ، عن مطرف بن مازن اليمانى ، عن مَعْمر ، عن الزهرى قال : أولُ آية نزلت فى القتال : « أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا » الآية بعْد مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فكان أولَ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يومُ بدر ، يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان .

---

(١) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله الدستوائى البصرى البكرى ، كان يبيع الثياب الدستوائية فنسب إليها . روى عن قتادة وأبى الزبير المكى . مات سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة . اللباب ١/ ٤١٩

إلى أن قال : ثم غزا بنى النَّضير ، ثم غزا أُحداً فى شوال ، يعنى من سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم العُشَيرة ، ثم غزوة غَطَفان ، ثم غزوة بنى سُلَيم ، ثم غزوة الأبواء ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث .

هكذا كتبتهُ من تاريخ الحافظ ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، والصواب ماسنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتَّبا .

وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقدى ، عن عبد الله بن عمر بن على ، عن أبيه ، سمعت على بن الحسين يقول : كنا نعلّم مغازى النبى صلى الله عليه وسلم كما نعلّم السورة من القرآن .

قال الواقدى : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمى الزُّهرى يقول : فى عِلْم المغازى علم الآخرة والدنيا .

***

وقال محمد بن إسحاق فى المغازى ، بعد ذكره ماتقدم مما سقناه عنه ، من تعيين رءوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال مَنْ أمره به ممن يليه من المشركين .

قال : وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل ، لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة .

فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة ، وولِيَ تلك الحجة المشركون ، والمحرم .

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعدَ بن عبادة .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وَدَّان وهى غزوة الأبواء . قال ابن جَرير : ويقال لها غزوة ودَّان أيضا . يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعَتْه فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذى وادعه منهم مَخْشِيُّ بن عمرو الضمرى ، وكان سيدَهم فى زمانه ذلك .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا ، فأقام بها بقية صفر وصَدْرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أولُ غزوة غزاها عليه السلام .

قال الواقدى : وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدةَ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين ، أو ثمانين ، راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة المُرَّة فلقى بها جمعاً عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعدَ بن أبى وقاص قد رَمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمى به فى سبيل الله فى الإسلام .

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية ، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين

المقدادُ بن عمرو البَهْرانى حليف بنى زُهرة ، وعُتبة بن غَزْوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمَيْن ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عِكْرمة بن أبى جهل .

وروى ابن هشام عن [ابن[1]] أبى عمرو بن العلاء ، عن أبى عمرو المدنى أنه قال : كان عليهم مِكْرَز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان : أحدهما أنه مِكْرز ، والثانى أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجح أنه أبو سفيان . فالله أعلم .

***

ثم ذكر ابن إسحاق القصيدةَ المنسوبة إلى أبى [بكر] الصديق فى هذه السَّرية التى أولها :

أمِنْ طيفِ سَلمى بالبِطَاحِ الدَّمائثِ[2] أرِقْتَ وأمرٍ فى العشيرة حادثِ
ترى من لُؤىٍّ فرقةً لا يصدُّها عن الكفر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادق فتكذَّبوا عليه وقالوا لست فينا بماكثِ
إذا مادعوناهم إلى الحق أدْبروا وَهرُّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهثِ[3]

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى مناقضتها التى أولها :

أمِنْ رَسْمِ دارٍ أقفرت بالعَثاعثِ[4] بكَيْتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ
ومِنْ عَجب الأيام ، والدهر كلُّه له عجبٌ من سابقاتٍ وحادثِ

---

(١) من ابن هشام . (٢) الدمائث : اللينة .
(٣) هروا . وثبوا . والمجحرات : الكلاب التى ألجئت إلى أجحارها .
(٤) العثاعث : أكداس الرمل ، جمع عثعث .

لِجيشٍ أتانا ذى عرَام يقـــوده عُبيدة يدعى فى الهيـــاج ابنَ حارثِ
لِنترك أصنـــاما بمــكة عــــكّفاً مواريث موروثٍ كريم لوارثِ

وذكر تمامَ القصيدة ، وما مَنعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام رحمه الله وكان إماما فى اللغة ، ذكر أن كثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين .

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رَمْيَته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسولَ الله أنِّى حمَيْتُ صحابتى بصدور نَبْـــلِى
أذودُ بهـــا أوائلَهم ذياداً بكل حُزونةٍ وبـــكل سَهْلِ
فما يعتـــدُّ رامٍ فى عــدوٍّ بسهمٍ يارسولَ الله قَبْـــلى
وذلك أن دِينك دينُ صِـدْق وذو حق أتيت به وفضـــل[1]
ينجِّى المؤمنون به ويَخْزى به الـكفار عند مقام مَهْل[2]
فمهلاً قد غويتَ فلا تَعِبْنى غوىّ الحى ويحك يابن جهـــل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فـكانت رايةُ عبيدة ، فيما بلغنا أولَ راية عقَدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام لأحد من المسلمين .

وقد خالفه الزُّهرى وموسى بن عُقبة والواقدى ، فذهبوا إلى أن بعثَ حمزة قبلَ بعث عبيدة بن الحارث . والله أعلم .

وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص أن أولَ أمراء السَّرايا عبدُ الله بن جحش الأسدى .

قال ابن إسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة . وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى.

---

(١) ابن هشام : وعدل . (٢) وتروى : سهل .

فصـــــل

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقامه ذلك حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيف البحر من ناحية العِيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق : وبعض النـاس يقول : كانت راية حمزة أولَ راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحـد من المسلمين ، وذلك أنّ بَعْثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشُبِّه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبـة عن الزُّهرى ، أن بعثَ حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين من المهاجرين . وذكر نحو ماتقدم .

وقد تقدم عن الواقدى أنه قال : كانت سَرية حمزة فى رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبيدة فى شوال منها . والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الإسلام ، لـكن قال ابن إسحاق : فإنْ كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقا ، والله أعلم أى ذلك كان . فأما ماسمعنا من أهل العلم عندنا : فعُبيدة أول ، والقصيدة هى قوله :

ألا ياَلقَومى للتحلُّم والجهـــلِ ... وللنّقْص من رأى الرجال وللعقـــل

وللرا كبينـــا بالمظـــالم لم نطَـأْ ... لهم حرماتٍ من سَوامٍ ولا أهـــلِ

كأنا تبَلْناهم ولا تبل[1] عندنا ... لهم غير أمرٍ بالعفاف وبالعدلِ
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يقبلونه ... ويَنْزل منهم مثلَ منزلة الهزلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارةٍ ... لهم حيث حلُّوا أبتغى راحةَ الفضلِ
بأمر رسول الله أول خافقٍ ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلى
لواء لديه النصر من ذى كرامة ... إلهٌ عزيز فعلُه أفضل الفعلِ
عشيةَ ساروا حاشدين وكلُّنا ... مراجله من غيظ أصحابه تَغْلِي
فلما تراءينْا أناخوا فعقّلوا ... مطايا وعقّلنا مدى غَرضِ النَّبْلِ
وقلنا لهم حبلُ الإله نصيرُنا ... وما لكمُ إلا الضلالة مِنْ حبلِ
فثار أبو جهل هنالك باغيا ... فخاب وردَّ الله كيدَ أبى جهلِ
وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا ... وهمْ مائتان بعدَ واحدةٍ فضلِ
فيال لؤى لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السَّهلِ
فإنى أخاف أن يُصبَّ عليكمُ ... عذابٌ فتدْعوا بالندامة والثُّكْلِ

قال : فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لأسبابِ الحفيظة والجهل ... وللشاغبين بالخلاف وبالبُطْلِ
وللتاركينَ ماوجدنا جدودَنا ... عليه ذوى الاحساب والسؤدد الجَزْلِ

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ولأبى جهل لعنه الله .

(١) تبلناهم : عاديناهم . وفى الأصل : بتلناهم محرفة .

غزوة بُواط من ناحية رَضْوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول ، يعنى من السنة الثانية ، يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظْعون .

وقال الواقدى : استخلف عليها سعدَ بن معاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مائتى راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط من ناحية رَضْوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى] .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا . يعنى[1] بذلك الغزوة التى يقال لها غزوة العُشَيرة وبالمُهْملة ، والعُشَيْر وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة[2] .

قال ابن هشام : واستعمَل على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد .

قال الواقدى : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج عليه السلام يتعرَّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقْب بنى دينار ، ثم على فَيْفَاء الخَبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فثَمَّ مسجده ، فصنع له عندها

(١) أى ابن إسحق .

(٢) يريد حكاية الأقوال التى وردت فى اسم تلك الغزوة ، فهى : العشيرة مصغرة وتروى بالسين . والعشير مصغرة بدون هاء فى آخره وتروى كذلك بالسين . والعشيراء مصغرة ممدودة وتروى بالسين .

طعام فأكل منـه وأكل الناس معه، فرُسوم (١) أثافِيّ البُرْمة معلوم هناك، واستُسقى له من ماء يقال له المُشيرب.

ثم ارتحل فترك الخلائق (٢) بيسار وسلك شعبةَ عبـد الله، ثم صَبَّ لاشاد (٣) حتى هبطَ يَلْيَل (٤)، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة، ثم سلك فَرْشَ مَلَل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشَيرة من بطن يَنْبع.

فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة، ووادَع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيداً.

وقد قال البخارى: حدثنا عبد الله، حدثنا وهب، حدثنا شُعْبة، عن أبى إسحاق، قال: كنت إلى جنب زيد بن أَرْقَم فقيل له: كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ غزوةٍ؟ قال: تسع عشرة. قلت (٥): كم غزوتَ أنت معه؟ قال: سبع عشرة غزوة. قلت: فأيهن كان أول؟ قال العُشَير، أو العُسَير. فذكرت لقتادة فقال: العُشَير.

وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة، ويقال بالسين، وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد. اللهم إلا أن يكون المراد [أول] غزاة شهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم زيدُ بن أرقم العشيرة، وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرُها لم يشهدها زيد بن أرقم، وبهذا يحصل الجمع بين ماذكره محمد بن إسحاق وبين هـذا الحديث. والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق: ويومئذ (٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ ماقال.

---

(١) ابن هشام: فوضع. (٢) الخلائق جمع خلية وهى البئر التى لاماء فيها، وهى آبار معلومة. الروض
(٣) صوبها الخشنى بأنها: صب لليسار.
(٤) الأصل: مالل وهو تحريف. وما أثبته عن ابن هشام. ويليل: قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة
(٥) البخارى: قيل. والقائل هو أبو إسحق السبيعى. (٦) ابن هشام: وفى تلك الغزوة قال.

فحدثنى يزيد بن محمد بن خَثَيْم [١]، عن محمد بن كعب القرظى، حدثنى أبو يزيد محمد ابن خَثْيم [١]، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العُشَيرة [من بطن يَنْبع [٢]] فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أقام بها شهراً، فصالح بها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة فوادَعهم، فقال لى على بن أبى طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء النفر من بنى مدلج يعملون فى عين لهم، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعةً فغَشِيَنا النومُ، فعمدنا إلى صور [٣] من النخل فى دَقْعاء [٤] من الأرض فنِمْنا فيه، فوالله ما أهبَّنا إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحركنا بقدمه، فجلسنا وقد تترَّبنا من تلك الدَّقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: [مالك [٥]] يا أبا تراب؟ لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقَى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يارسول الله. فقال «أُحَيْمر ثمود الذى عقَر الناقةَ، والذى يضربك ياعلىّ على هذه، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه [٦]، حتى تُبلَّ منها هذه، ووضع يده على لحيته».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية علىّ أبا تراب، كما فى صحيح البخارى، أن علياً خرج مغاضبا فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فقالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قُمْ أبا تراب قم أبا تراب».

---

(١) الأصل: خثيم. وما أثبته عن ابن هشام. (٢) ليست فى ابن هشام. وبعدها اختلاف كثير عن نص ابن هشام. (٣) الصور: صغار النحل. (٤) الدقعاء: التراب. (٥) من ابن هشام. (٦) هامش ابن هشام: على قرنه.

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ثم لم يُقم رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهرى على سَرْح[1] المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سَفْوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الأولى ، وفاته كرزٌ فلم يدركه .

وقال الواقدى : وكان لواؤه مع على بن أبى طالب .

قال ابن هشام والواقدى : وكان قد استخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

قال ابن إسحاق : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام جمادى ورجبا وشعبان ، وقد كان بعَث بين يدَىْ ذلك سعداً فى ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخَرَّار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة . ثم رجع ولم يلق كيداً .

هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعثَ حمزة فى رمضان ، وبعث عُبيدة فى شوال ، وبعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب ، حدثنى يحيى بن سعيد ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنا أبى ، حدثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثقْ حتى

(١) السَّرح : مايرعى من النعم .

نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم ، فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب ولا نكون مائة ، وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض : ماترون ؟ فقال بعضنا : نأتى نبىّ الله فنخبره . وقال قوم : لا بل نقيم هاهنا . وقلت أنا فى أناس معى : لا بل نأتى عيرَ قريش فنقتطعها . وكان الفىء إذ ذاك مَنْ أخذ شيئا فهو له .

فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه ، فقال : « أذهَبْتم من عندى جميعاً ورجعتم متفرقين ! إنما أهلَك من كان قبلكم الفرقةُ ، لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم أَصْبَرَكم على الجوع والعطش ».

فبعث علينا عبدَ الله بن جحش الأسَدى ، فكان أولَ أمير فى الإسلام .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة ، عن مُجَالد به نحوه . وزاد بعد قولهم لأصحابه : لمَ تقاتلون فى الشهر الحرام ؟ فقالوا : نقاتل فى الشهر الحرام مَنْ أخرَجنا من البلد الحرام .

ثم رواه من حديث أبى أسامة ، عن مُجَالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قُطْبة بن مالك ، عن سعد بن أبى وقاص ، فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنْسَبُ . والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضى أن أولَ السرايا عبدُ الله بن جحش الأسدى ، وهو خلاف ماذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عُقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدى حيث زعم أن أول الرايات عُقدت لحمزة بن عبد المطلب . والله أعلم .

باب سَرِية عبد الله بن جحش

التى كان سببها [1] لغزوة بدر العظمى، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جحش بن رِئاب الأسدى فى رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانيةَ رَهْط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان حليف بنى أسد بن خزيمة ، وعُتبة بن غَزْوان حليف بنى نوفل ، وسعد بن أبى وقاص الزهرى ، وعامر بن ربيعة الوائلى حليف بنى عَدى ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يربوع التميمى حليف بنى عدى أيضا ، وخالد بن البُكَيْر أحد بنى سعد بن ليث حليف بنى عدى أيضاً ، وسهل بن بيضاء الفِهْرى ، فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يَسْتَكره من أصحابه أحداً .

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه : «إذا نظرتَ فى كتابى فامْض حتى تنزل نَخْلة بين مكة والطائف فتَرَصَّد بها قريشاً وتَعَلَّم لنا من أخبارهم » . فلما نظر فى الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما فى الكتاب . وقال : قد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويَرْغَب فيها فلينطلق ، ومَن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كذا ، ولعلها : التى كانت سببا .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقال له بحران ، أضلَّ سعدُ بن أبى وقاص وعُتبة بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة .

فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، قال ابن هشام : واسم الحضرمى عبد الله ابن عباد [أحد[1]] الصَّدِف[2] . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى ، وأخوه نوفل والحكم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشْرَف لهم عُكاشة بن مِحْصَن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم .

وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحرم فليمتنعُنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم .

ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل مَن قدروا عليه منهم وأَخْذ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمانُ بن عبد الله والحكم بن كَيْسان ، وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقى بين أصحابه ، وذلك قبل أن يَنْزل الخمس .

قال : ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله ابن إسحاق .

---

(١) من ابن هشام (٢) قال ابن هشام : واسم الصدف : عمرو بن مالك .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتالٍ فى الشهر الحرام » فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْقِطَ (١) فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسَروا فيه الرجال .

فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود : تُفائل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله . عمرو : عمرت الحربُ ، والحضرمى : حَضرت الحرب . وواقد ابن عبد الله : وُقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسألونكَ عنِ الشهرِ الحرامِ قِتالٍ فيهِ ، قُلْ : قِتالٌ فيه كبيرٌ ، وصَدٌّ عن سبيلِ الله وكُفرٌ به ، والمسجِدِ الحرامِ وإخراجُ أهلِهِ منهُ أكبرُ عند اللهِ ، والفِتْنَةُ أكْبرُ منَ القتلِ ، ولا يزالونَ يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دِينِكم إنِ استطاعوا (٢) » .

أى إن كنتم قَتلتم فى الشهر الحرام ، فقد صدَّوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجُكم منه وأنتم أهله أكبرُ عند الله مِن قَتْل من قتلتم منهم ، والفتنة أكبر من القتل . أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردُّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا » الآية .

***

---

(١) ابن هشام : سقط . (٢) سورة البقرة ٢١٧ .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآنُ بهذا الأمر وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق ، قَبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرين ، وبعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كَيْسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا نَفْديكموها حتى يَقْدَم صاحبانا » ، يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان « فإنا نخشاكم عليهما . فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » .

فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأما الحكم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غَزاةٌ نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : « إنَّ الذين آمنوا والذين هاجَروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يَرْجون رحمةَ الله والله غفور رحيم » (١) فوضعهم (٢) الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق : والحديثُ فى ذلك عن الزهرى ويزيد بن رُومان ، عن عروة ابن الزبير .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ، عن الزهرى ، وكذا روى شعيب عن الزهرى ، عن عروة ، نحواً من هذا وفيه : وكان ابن الحضْرمى أول قتيل قُتل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها

(١) سورة البقرة ٢١٨ .   (٢) الأصل : فوصفهم . وما أثبته عن ابن هشام .

المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

* * *

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أولَ أمير فى الإسلام .

وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مُسْنَدة .

فمن ذلك مارواه الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدَّمى ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، حدثنى الحضرمى ، عن أبى السَّوار ، عن جُندب بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة ابن الجراح ، أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبدَ الله بن جحش وكتب له كتابا ، وأمره ألَّا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال : « لا تُكْرِهن أحداً على المسير معك من أصحابك » .

فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبَّرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع منهم رجلان وبقى بقيتهم ، فلقوا ابنَ الحضرمى فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشَّهر الحرام قتالٍ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ » الآية .

وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى الكبير فى تفسيره ، عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرة ، عن ابن مسعود ، عن جماعة من الصحابة « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير » وذلك أن رسول الله صلى عليه وسلم بعث سَرِية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش ، وفيهم : عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غَزْوان ، وسهل بن بيضاء

وعامر بن فُهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعى حليف لعمر بن الخطاب .

وكتب لابن جحش كتابا وأمره ألاَّ يقرأه حتى ينزل بطن مَلَلٍ ، فلما نزل بطنَ مَلَلٍ فتح الكتاب ، فإذا فيه : أنْ سِرْ حتى تنزل بطنَ نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموتَ فليَمْضِ وليوصِ ، فإننى موصٍ وماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسار ، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلاَّ راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كَيْسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله ابن المغيرة .

فذكر قتلَ واقد لعمرو بن الحضرمى ، ورجعو بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام وقَتل صاحبنا فى رجب . وقال المسلمون : إنما قتلناه فى جمادى .

قال السُّدى : وكان قَتْلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

* * *

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤِى تلك الليلة . فالله أعلم .

وهكذا روى العَوْفى ، عن ابن عباس ، أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا .

وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبى حاتم .

وقد تقدم فى سياق ابن إسحاق أن ذلك كان آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرَم فيتعذر عليهم ذلك ، فأقْدموا عليهم عالمين بذلك .

وكذا قال الزهرى عن عروة . رواه البيهقى. فالله أعلم أى ذلك كان .

قال الزهرى عن عروة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَل ابن الحَضْرمى وحرَّم الشهر الحرام كما كان يحرمه ، حتى أنزل الله براءة . رواه البيهقى .

***

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبد الله بن جحش ، جوابا للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعدُّون قتلًا فى الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرُّشدَ راشدُ

صُدودكُمُ عمَّا يقولُ محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهدُ

وإخراجكم مِنْ مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرَى لله فى البيت ساجدُ

فإنّا وإنْ عيَّرْتمونا بقتله ... وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسدُ

سقَيْنا من ابن الحضرمى رماحَنا ... بنَخْلة لمّا أوقد الحربَ واقدُ

دماً وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غلٌّ من القيد عاندُ

فَصْــلٌ

فى تحويل القبلة فى سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم : كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق .

وقد روى أحمد عن ابن عباس مايدل على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتى . والله أعلم . وقيل فى شعبان منها .

قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القِبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى، فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

قال الجمهور الأعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبان، على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

ثم حكى عن محمد بن سعد ، عن الواقدى ، أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفى هذا التحديد نظر . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصًى فى التفسير عند قوله تعالى : « قد نرى تقلُّبَ وجهك فى السماء فلنولِّينك قِبْلةً ترضاها ، فولِّ وجهك شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُ ما كنتم فولُّوا وجوهكم شَطره وإن الذين أُوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحقُّ من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون » . وما قبلها وما بعدها، من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك ، لأنه أولُ نَسْخٍ وقع فى الإسلام .

هذا وقد أحال الله قبل ذلك فى سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله « ما ننسخْ من آية أو نُنسِها ، نأتِ بخيرٍ منها أو مِثْلِها ألم تَعلم أنّ الله على كل شىء قدير » .

وقد قال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، سمع زهيراً ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء ، أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قِبْلته إلى البيت ، وأنه صلَّى أولَ صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل مسجدٍ وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صلَّيتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة . فداروا كما هم قِبَل البيت . وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجالٌ قُتلوا ، لم نَدْرِ ما نقول فيهم ، فأنزل الله « وما كان الله لِيُضيع إيمانَكم إنّ الله بالناس لرءوفٌ رحيمٌ »

رواه مسلم من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجَّه نحو الكعبة ، فأنزل الله : « قد نرى تقلُّبَ وجهك فى السماء فلَنوليَنك قِبْلةً ترضاها ، فولِّ وجهك شَطْرَ المسجد الحرام » . قال : فوجه نحو الكعبة .

قال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولاَّهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها ؟ فأنزل الله : « قُلْ لله المَشْرقُ والمَغْربُ يَهْدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم »

* * *

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبةُ بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يُمْكنه أن يجمع بينهما ، فصلَّى إلى بيت المقدس أولَ مَقْدمه المدينةَ واستدبرَ الكعبةَ ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام يحب أن يصْرف قبلته نحو الكعبة ، قِبْلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلُّب وجهك فى السماء ، فلَنولِّينك قبلةً ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأعْلَمَهم بذلك ، كما رواه النسائى عن أبى سعيد بن المعلّى ، وأن ذلك كان وقت الظهر .

وقال بعض الناس : نزل تحويلُها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيد ذلك ماثبت فى الصحيحين عن البراء ، أن أولَ صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر .

والعجبُ أن أهلَ قُبَاء لم يَبْلغهم خبرُ ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى ، كما ثبت فى الصحيحين ، عن ابن عمر ، قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستَقْبِلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .

وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك .

* * *

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ، ونَسخ به الله تعالى حُكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء ، قالوا : ماولاَّهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها ؟

هذا والكَفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله ، لما يجدونه من صِفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ، من أن المدينة مُهاجَره ، وأنه سيُؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال : « وإنَّ الذين أوتوا الكتابَ ليَعْلمون أنه الحقُّ مِنْ رَبِّهم » الآية .

وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعَتهم فقال : « سيقولُ السُّفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها . قل : لله المشرقُ والمغرب يَهْدى مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم » أى هو المالك المتصرف، الحاكم الذى لامعقِّب لحكمه ، الذى يفعل مايشاء فى خَلْقه ، ويحكم مايريد فى شرعه ، وهو الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضل من يشاء عن الطريق القويم ، وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم .

ثم قال تعالى : « وكذلك جَعلنا كم أمةً وسَطا » أى خياراً « لتـكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليـكم شهيداً » أى وكما اخترنا لـكم أفضلَ الجهات فى صلاتكم وهدينا كم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء، بعدَ التى كان يصلى بها موسى فَمنْ قبلـه من المرسلين ، كذلك جعلنا كم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرفَ الطوائف وأكرم التالد والطارف ، لتـكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليـكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليـكم .

كما ثبت فى صحيح البخارى ، عن أبى سعيد مرفوعاً ،من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة ، وإذا استشهد بهم نوح مع تقـدُّم زمانه فمَن بعده بطريق الأَولى والأَحْرَى .

ثم قال تعالى مبيناحكمته فى حلول نقمته بمن شكَّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على مَن صَدَّق وتابع هذه الـكائنة ، فقال : « وما جَعلنا القبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلم من يَتَّبع الرسـول » . قال ابن عباس : إلا لنرَى من يَتَّبع الرسـولَ ممن ينقلب على عقبيه .

« وإن كانت لـكبيرة » أى وإن كانت هذه الـكائنة لَعظيمة المَوْقع كبيرةَ المحل شديدة الأمر ، إلا على الذى هدَى الله ، أى فهم مؤمنون بها مصدِّقون لها ، لا يشكُّون ولا يرتابون ، بل يَرْضون ويؤمنون ويعملون ، لأنهم عبيد للحاكم العظيم، القادر المقتدر الحليم الخبير، اللطيف العليم

وقوله : « وما كان الله ليضيع إيمانـكم » أى بِشرعته استقبالَ بيت المقدس والصلاة إليه : « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها، وذلك مبسوط فى التفسير، وسنزيد ذلك بياناً فى كتابنا « الأحكام الـكبير » .

وقد روى الإمام أحمد ، حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله وسلم ، يعنى فى أهل الكتاب : « إنهم لم يحسدونا على شئ كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلفَ الإمام آمين » .

فصل

فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين ، قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان . وقد قيل : إنه فرض فى شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يومَ عاشوراء ، فسألهم عنه فقالوا : هذا يومٌ نجَّى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس .

وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذين مِنْ قَبْلكم لعلكم تتَّقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِنْ أيام أُخَر ، وعلى الذين يُطيقونه فِدْيةٌ طعامُ مسكين ، فمن تطوَّع خيراً فهو خيرٌ له وأنْ تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون ، شهرُ رمضان الذى أُنْزل فيه القرآنُ هدًى للناسِ وبينات من الهدى والفُرْقان ، فمن شهد منكم الشهرَ فليَصُمْه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخَر[1] » الآية .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك

(١) سورة البقرة ١٨٣ ـ ١٨٥ .

والآثار المروية فى ذلك والأحكام المستفادة منه . ولله الحمد .

***

وقد قال الإمام أحمد . حدثنا أبو النَّضْر ، حدثنا المسعودى ، حدثنا عمرو بن مُرَّة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أُحيلت الصلاةُ ثلاثةَ أحوال ، وأُحيلَ الصيامُ ثلاثةَ أحوال . فذكر أحوال الصلاة . قال : وأما أحوال الصيام : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء .

ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل : « يَـٰأَيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذين مِنْ قبلكم » إلى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فِدْيةٌ طعامُ مِسْكين » فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأَجْزَأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى : « شهرُ رمضان الذى أُنزل فيه القرآن » إلى قوله : « فمنْ شهد منكم الشهرَ فليَصُمْه » فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخَّص فيه للمريض والمسافر ، وأثْبَت الإطعامَ للكبير الذى لا يستطيع الصيام . فهذان حولان .

قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صِرْمة كان يعمل صائما حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائما ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهد جهداً شديداً فقال : « ما لى أراك قد جَهِدْت جَهْداً شديداً ؟ » فأخبره قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله: « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم ، هن لباس لكم » إلى قوله « ثم أتموا الصيامَ إلى الليل[1] »

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

ورواه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه ، من حديث المسعودى نحوه .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يُصَام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله .

ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير . وبالله المستعان .

***

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أُمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلَّى النبى صلى الله عليه وسلم صلاةَ العيد وخرج بالناس إلى المصلى ، فكان أول صلاة عيد صلاَّها ، وخرجوا بين يديه بالحرْبة ، وكانت للزبير وهبها له النجاشى ، فكانت تُحْمَل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأعياد .

قلت : وفى هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فُرِضت الزكاة ذات النُّصب[1] : كما سيأتى تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) أى زكاة المال .

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر العظمى ، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلَّةٌ فاتقوا الله لعلكم تشكرون[1] » .

وقال الله تعالى « كما أخرجَك ربُّك مِنْ بيتك بالحقِّ ، وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبيَّن، كأنما يُساقون إلى الموتِ وهم ينْظرون . وإذ يَعِدُكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودُّون أنّ غيرَ ذاتِ الشَّوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يُحقَّ الحقَّ بكلماته ويَقْطعَ دابرَ الكافرين . ليُحقَّ الحقَّ ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون » وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال .

وقد تكلمنا عليها هنالك . وسنورد هاهنا فى كل موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سَرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة ، وفيها ثلاثون رجلا ، أو أربعون ، منهم مَخْرَمَة بن نوفل وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة : عن الزهرى ، كان ذلك بعد مقتل ابن الحضْرمى بشهرين . قال : وكان فى العِير ألفُ بعير تحمل أموال قريش بأَسْرها إلا حُوَيطب بن عبد العُزَّى ، فلهذا تخلَّف عن بدر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة

---

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقتُ من حديث بَدْر قالوا : لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله يُنْفِلُكموها» .

فانتدب الناسُ نخفّ بعضهم وثَقُل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقى حربا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس[1] من لَقِى من الركبان تخوُّفاً على أمرِ[2] الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفرَ أصحابه لك ولعيرك. فحذر عندذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارى ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم، عن عكرمة، عن ابن عباس ويزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير . قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمْضَم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أَفْظَعتْنى وتخوَّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتم علىّ ما أحدِّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟

قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأَبْطَح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث . ثم مَثَل به بعيره على رأس أبى قُبَيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة .

---

(١) ابن هشام : يتحسس . (٢) ح : على أموال الناس .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ، وكان له صَديقا ، فذكرها له واستكْتَمه إياها ، فذكرها الوليد لابنه عتبة ، ففشا الحديثُ حتى تحدّثت به قريش .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : ياأبا الفضل إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بَنى عبد المطلب ، متى حدَثت فيكم هذه النَّبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يابنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبَّأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثَلاث . فسنتربَّص بكم هذه الثلاث ، فإن يكُ حقا ماتقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نَكْتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت فى العرب .

قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبيرُ شىء ، إلا أنى جَحدْتُ ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبقَ امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقرَرْتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساءَ وأنت تَسمع ، ثم لم يكن عندك غيرةٌ لشىء مما سمعتَ ؟ قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منّى إليه منْ كَبيرٍ ، وأَيم الله لأتعرضنَّ له ، فإذا عاد لأَكْفيكنّه .

قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغْضَب ، أرى أنى قد فاتَنى منه أمرٌ أُحبُّ أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجدَ فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضُه لِيعود لِبعض ماقال فأقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه ، حديد اللسان حديد النظر ، قال :

إذ خرج نحوَ باب المسجد يشتد ، قال : قلت فى نفسى: ماله لعنه الله ؟ أ كلُّ هـذا فَرَقٌ منى أن أُشاتِمه ؟ ! وإذا هو قد سمع مالم أسمع ؛ صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحوّل رَحْلَه وشقّ قميصــه وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمةَ اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عَرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوثَ الغوث .

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

فتجهز الناسُ سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟! [كلاّ][1] والله ليعلمُنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عُقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق .

قال : فلما جاء ضَمْضمُ بن عمرو على تلك الصفة ، خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصَّعب والذلول .

قال ابن إسحاق : فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رَجلا ، وأوعَبَتْ قريشٌ فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بَعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن أبى نَجِيح أن أمية بن خَلَف كان قد أجْمَع القعودَ ، وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه ، بمجْمَرة يحملها فيها نار ومَجْمر ، حتى وضعها بين يديه ثم قال: ياأبا على استجْمِرْ فإنما أنت من النساء !

---

(١) من ابن هشام .

قال : قبحك الله ، وقبّح ماجئتَ به . قال : ثم تجهز وخرج مع الناس .

هكذا قال ابن إسحاق فى هذه القصة .

وقد رواها البخارى[١] على نحوٍ آخر فقال : حدثنى أحمد بن عثمان ، حدثنا شُريح ابن مَسْلَمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، حدثنى عمرو بن ميمون ، أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ ، أنه كان صَدِيقا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية .

فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لى ساعة خَلْوَة لعلّى أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل ، فقال : ياصفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد . قال له أبو جهل :ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبى صفوان مارجعتَ إلى أهلك سالما .

فقال له سعد ، ورفع صوته عليه : أمَا والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ماهو أشدُّ عليك منه: طريقَك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك ياسعد على أبى الحكم ، فإنه سيدُ أهل الوادى . قال سعد : دَعْنا عنك ياأمية ، فوالله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنهم قاتلوك » قال : بمكة ؟ قال : لا أدرى .

ففزع لذلك أمية فزعا شديداً

فلما رجع إلى أهله قال : ياأم صفوان ألم ترَىْ ماقال لى سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ .

---

(١) فى أول كتاب المغازى ،باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر .

قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلىّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدرى .

فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بَدْر ، استنفر أبو جهل الناسَ ، فقال : أدركوا عِيرَكم . فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : ياأبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلَّفت ، وأنت سيدُ أهل الوادى ، تخلَّفوا معك .

فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلَبْتنى[1] فوالله لأشترينَّ أجودَ بعير بمكة .

ثم قال أمية : ياأم صفوان جَهِّزينى . فقالت له : ياأبا صفوان ، وقد نسيتَ ما قال لك أخوك اليَثْربىُّ ؟ قال : لا ، وما أريد أن أَجُوزَ معهم إلا قريبا .

فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عَقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر .

وقد رواه البخارى فى موضع آخر[2] ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيدالله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق به نحوه .

تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن خلف بن الوليد ، وعن أبى سعيد ، كلاهما عن إسرائيل وفى رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يَكْذب .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسيرَ ذكروا ما كان[3] بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا

---

(١) الأصل : عبتنى . وهو تحريف ، وما أثبته من صحيح البخارى .

(٢) فى باب علامات النبوة . (٣) الأصل : ما كانوا . وما أثبته عن ابن هشام

مِنْ خَلفْنا . وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر فى ابنٍ لِحَفْص بن الأَخْيَف من بنى عامر بن لُؤى ، قتله رجل من بنى بكر ، بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن المُلَوَّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مِكْرَز بن حَفْص ، فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك أن يَثْنيهم ، فتبدَّى لهم إبليس فى صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌ منْ أن تأتيكم كنانة من خَلْفكم بشئ تكرهونه . فخرجوا سراعا .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خَرجوا من ديامهم بَطَراً ورِئَاء النـاس ويَصُدُّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زيَّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال : لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإنى جارٌ لكم . فلما تراءت الفِئتان نَكَص على عَقِبيه وقال : إنى برئ منكم إنّى أرَى مالا تَرَوْن إنى أخاف الله والله شديدُ العقاب[1] » .

غرَّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسْلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجدَّ والملائكة تنْزل للنصر وعاين جبريلَ نكص على عقبيه وقال : إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله .

وهذا كقوله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر . فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين »[2] :

وقد قال الله تعالى : « وقُلْ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقا[3] .

---

(١) سورة الأنفال ٤٧ ، ٤٨ (٢) سورة الحشر ١٦ . (٣) سورة الإسراء ٨١ .

فإبليس لعنه الله لمَّا عايَن الملائـكة يومئذ تنزل للنصر فرَّ ذاهباً ، فـكان أولَ مَن هرب يومئذ ، بعد أن كان هو المشجِّع لهم المجير لهم ، كما غرَّهم ووعدهم ومَنَّاهم ، وما يَعِدهم الشيطانُ إلا غرورا .

وقال يونس عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصَّعب والذَّلول فى تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القِيَان يضرِبْنَ بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين .

وذكر المطعمين لقريش يوماً يوما .

وذكَر الأموى : أن أولَ من نحَرلهم حين خرجوا من مكة أبو جهل ، نحـر لهم عَشْراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسْفان تسعاً ، ونحر لهم سهيلُ بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى ميـاه نحو البحر فظلوا (١) فيها وأقاموا بها يوماً . فنحر لهم شيبةُ بن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحرلهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأَبْواء فنحر لهم نُبيه ومُنبه ابنا الحجاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البَخْترى عشرا ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا أبو بكر الهُذَلى ، قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء فى نَفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر .

* * *

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ليالٍ مضَتْ من شهر رمضان فى أصحابه ، واستعمل ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردَّ أبا لُبَابة من الرَّوحاء واستعمله على المدينة .

---

(١) فى شرح المواهب : فضلوا فأقاموا يوما .

ودَفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمير وكان أبيض ، وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها : العُقَاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشام : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .

وقال الأموى : كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقَة قيسَ بن أبى صَعْصَعة أخا بنى مازن بن النجار . وقال الأموى : وكان معهم فرَسان ، على إحداهما مُصعب ابن عمير ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام ، ومن [الميمنة] سعد بن خيثمة ومن [الميسرة] المِقْداد ابن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المِقْداد .

وروى البيهقى من طريق ابن وهب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البَلْخى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عليا قال له : ما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير وفرس للمِقْداد بن الأسود ، يعنى يوم بدر .

وقال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن التيمى قال : كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد ابن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يَعتقبونها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ ومَرْثَد بن أبى مَرْثَد يَعْتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كَبْشة وأنسة [مَوْلَيا رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) يعتقبون بعيراً .

---

(١) من ابن هشام .

كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زِرّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا يومَ بدر كلٌّ ثلاثة على بعير ، كان أبو لُبَابة وعليّ زميلَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فكانت عُقْبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن نمشي عنكَ . فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النسائي ، عن الفَلّاس ، عن ابن مهدى ، عن حماد بن سلمة به .

قلت : ولعل هذا كان قبل أن يَرُدَّ أبا لبابة من الرَّوحاء، ثم كان زميلاه عليّ ومَرْثَد بدل أبي لبابة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أبي أَوْفَى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تُقْطع من أعناق الإبل يوم بدر .

وهـذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المِزِّى فى الأطراف : وتابعه سعيدُ بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة، عن زُرَارة ، عن أبي هريرة . فالله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعبَ ابن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوةٍ غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى تخلفت عن غزوة بدر ، ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

تفرَّد به

* * *

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقَه من المدينة إلى مكة على نَقْب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحُلَيفة ، ثم على أولات الجَيْش ، ثم مَرَّ على تُرْبان ، ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحمام ، ثم على صُخَيرات اليمامة ، ثم على السيَّالة ، ثم على فَجِّ الرَّوحاء ، ثم على شُنوكة ، وهى الطريق المعتدلة .

حتى إذا كان بعرق الظَّبية لقى رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن النـاس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أوفيكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فسلَّم عليه ، ثم قال : لئن كنتَ رسولَ الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هـذه . قال له سلَمة بن سلامة بن وَقْش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلْ علىَّ فأنا أخبرك عن ذلك ، نزَوْتَ عليها ففى بطنها منكَ سَخْلة [1] . فقـال رسولُ الله صـلى الله عليـه وسلم : مَهْ أفحشتَ على الرجـل . ثم أعرَض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَجْسَج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان منهـا بالمنصرَف ترك طريقَ مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جَزع واديا [2] يقال له رُحْقان [3] بين النازية وبين مَضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبَّ منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث

---

(١) السخلة : ولد الضأن أو الماعز ، واستعارها هنا لولد الناقة

(٢) جزع واديا : قطعه عرضا . (٣) الأصل : وحقان . وما أثبته عن ابن هشام .

بَسْبَسَ [1] بن عمرو الُجهَنى حليف بنى ساعدة وعدىَّ بن أبى الزَّغْباء حليف بنى النجار إلى بدر ، يتجسسان الأخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعِيره .

وقال موسى بن عُقْبة : بعثهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناسَ إليها .

فإن كان ماذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين . والله أعلم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبليها ما اسماها [2] ؟ فقالوا : يقال لأحدهما مُسْلح وللآخر مُخْرِئ ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار ، وبنو حُراق، بطنان من غِفَار . فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرورَ بينهما وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما والصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ، فجزع فيه ثم نزل .

***

وأتاه الخبر عن قريش ومَسِيرهم ليمنعوا عيرهم .

فاستشار الناسَ وأخبرهم عن قريش .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسَن .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .

---

(١) قال الزرقانى : ويقال له بسبسة ، كما وقع لجميع رواة مسلم وبعض رواة أبى داود . والأصح ماذكره ابن إسحق. قال ابن الكلبى : إنه الذى أراده الشاعر بقوله :

أقِمْ لها صدورها يا بَسْبَسُ إنّ مطايا القوم لا تُحسّسُ

(٢) الأصل : ما أسماؤهما وما أثبته عن ابن هشام .

ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال : يارسول الله امضِ لما أَراكَ الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذى بعثَك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد (١) لجالَدْنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا علىَّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصارَ ، وذلك أنهم كانوا عددَ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يارسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوَّف ألّا تكون الأنصار ترى عليها نَصْرَه إلا ممن دَهمه بالمدينة من عدوِّه ، وأنْ ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : «أجل» قال : فقد آمنَّا بك وصدَّقناك وشهدنا أنّ ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومَواثيقنا على السَّمْع والطاعة لك ، فامضِ يارسول الله لِمَا أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخُضْته لخضناه معك ماتخلَّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر فى الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ على بركة الله .

قال : فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشَّطه ، ثم قال : « سِيروا

---

(١) برك الغماد : قال الحازمى : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكرى : هى أقاصى هجر . وقال الهمدانى : هو فى أقصى اليمن من شرح المواهب ١/ ٤١٢ .

وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » .

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة .

فمن ذلك مارواه البخارى فى صحيحه : حدثنا أبو نعيم ،حدثنا إسرائيل ، عن مُخَارق ، عن طارق بن شهاب ، قال سمعت ابنَ مسعود يقول : شهدتُ من المقْداد بن الأسود مشهداً لأنْ أكون صاحبَه أحبُّ إلى مما عُدِل به ، أتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قومُ موسى لموسى : اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك .

فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أشرَق وجهه وسرَّه .

انفرد به البخارى دون مسلم ، فرواه فى مواضع من صحيحه من حديث مُخَارق به ، ورواه النسائى من حديثه ، وعنده : وجاء المقدادُ بن الأسود يومَ بدر على فرسٍ . فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبيدة ، هو ابن حُميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، قال : استشار النبى صلى الله عليه وسلم مَخْرَجه إلى بدر ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعضُ الأنصار : إياكم يريد رسولُ الله يامعشر الأنصار .

فقال بعض الأنصار : يارسول الله ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربْتَ أكبادَها إلى بَرْك الغِماد لاتبعناك .

وهذا إسناد ثلاثى صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : شاور حين بلغه إقبالُ أبى سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيانا يريد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نُخيضها البحارَ لأخضْناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا .

فندب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ .

قال : فانطلَقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه ، وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول : مالى عِلمٌ بأبى سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة و مية بن خاف . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه . قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان . فإذا تركوه فسألوه قال : مالى بأبى سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعُتبة وشَيبة وأُمية . فإذا قال هذا أيضاً ضربوه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال : والذى نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدَق وتتركونه إذا كذَبكم .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مَصْرع فلان، يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا ، فما أماط أحدُهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه مسلم عن أبى بكر ، عن عَفَّان به نحوه .

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مَرْدَويه ، واللفظ له ، من طريق عبد الله ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسْلم ، عن أبى عمران ، أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « إنى أُخبرت عن عِير أبى سفيان أنها مُقْبلة ، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعل الله يُغْنمناها؟» فقلنا: نعم.

نخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : « ماترون فى القوم ، فإنهم قد أُخبروا بمَخْرجكم ؟ » فقلنا : لا والله مالنا طاقة بقتال القوم ، ولـكنا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون فى قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك .

فقام المقـداد بن عمرو [فقال] : إذاً لا نقول لك يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

قال : فتمنَّينا معشرَ الأنصار لو أنا قلنا مثـلَ ماقال المقـداد ، أَحبُّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، فأنزل الله عز وجل على رسوله : « كما أخرجك ربُّك مِنْ بَيْتك بالحقِّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لـكارهون » وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضا ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص اللّيثى ، عن أبيه عن جده ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، حتى إذا كان بالرَّوحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يارسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بـكر . ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذى أ كرمَك وأنزل عليك الـكتابَ ما سلـكتُها قط ولا لى بها علم ، ولئن سرتَ حتى تأتى بَرْكَ الغماد من ذى يَمنٍ لنَسيرنَّ معك ، ولا نـكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولـكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مُتَّبِعون ، ولعل أن تكون خرجتَ لأمرٍ وأحدَث الله إليك غيرَه ، فانظر الذى أحدثَ الله إليك فامضِ ، فصِلْ حبالَ مَن شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعادِ من شئتَ ، وسالمْ من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت .

فنزل القرآن على قول سعد : « كما أخرجك ربُّك مِنْ بيتك بالحقِّ ، وإنَّ فريقاً من المؤمنين لــكارهون » الآيات .

وذكره الأموى فى مغازيه ، وزاد بعد قوله : « وخذ من أموالنا ماشئت » : « وأعطنا ما شئت ؛ وما أخذتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركت ؛ وما أمرت به من أمر فأمْرُنا تَبَعٌ لأمرك ، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البَرْكَ من غمدان لنسيرنَّ معك » .

***

قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافِر ، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبّة ، وترك الحنَّان بيمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن هشام : هو أبو بكر .

قال ابن إسحاق ، كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . فقال : أوَ ذاك بذاك ؟ قال : نعم .

قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمــكان الذى به قريش .

فلما فرغ مِن خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما مِنْ ماء ؟ أمِنْ ماءِ العراق ؟

قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سُفيان الضَّمْرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمْسَى بعث علىَّ بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، كما حدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير .

فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلم غلام بنى الحجاج ، وعَرِيض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من المـاء .

فـكره القوم خبرهما ، ورجَوْا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما[1] قالا : نحن لأبى سفيان . فتركوهما .

وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه وسلم . وقال : « إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، وإذا كَذَباكم تركتموهما ! صدَقا والله إنهما لقريش ، أخبِرانى عن قريش ؟ قالا : هم [والله[2]] وراء هـذا الـكَثِيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ، والـكثيب العَقَنْقَل .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليـه وسلم : كم القومُ قالا : كثير ، قال : ماعِدَّتهم ؟ قالا : لاندرى . قال : كم يَنْحرون كلَّ يوم؟ قالا: يوماً تِسعاً ويوما عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف » .

ثم قال لهما : فمَنْ فيهم مِن أشراف قريش ؟

قالا : عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِى بن هشام ، وحَـكيم بن حِزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عدى بن نوفل ، والنَّضر

---

(١) أذلقوهما : آذوهما . (٢) عن ابن هشام .

ابن الحارث ، وزَمْعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسُهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ .

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقتْ إليكم أفلاذَ كبدها » .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبس بن عمرو وعَدى بن أبي الزَّغْباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًّا لهما يستقيان فيه ، ومَجْدى بن عمرو الُجهنى على المـاء ، فسمع عديٌّ وبَسْبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان[1] على الماء والملزومةُ تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهم ثم أقْضيك الذى لك . قال مَجْدى : صدقتِ . ثم خلَّص بينهما .

وسمع ذلك عديٌّ وبَسْبس فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العيرَ حذِرا حتى ورد الماء ، فقال لمجْدى بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنـكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هـذا التل ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخَهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتَّه فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب .

فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجهَ عيره عن الطريق فساحَلَ بها ، وترك بدراً بيَسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الُجحْفة رأى جُهيم بن الصَّلْت بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبَيْن النائم واليقظان ، إذ

---

(١) يتلازمان : يتقاضيان .

نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف وفلان وفلان ، فعدَّ رجالا ممن قُتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أباجهل لعنه الله فقال : هذا أيضا نبىٌّ آخر من بنى المطَّلب ! سيعلم غداً مَن المقتولُ إن نحن التقينا .

***

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالكم ، فقد نجَّاها الله فارجعوا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نَرِدَ بدراً ، وكان بدرُ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كلَّ عام ، فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجَزُور [1] ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتَعزف علينا القِيَان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

وقال الأَخْنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقفى ، وكان حليفا لبنى زُهرة ، وهم بالجحفة : يابنى زهرة قد نجَّى الله لكم أموالكم ، وخلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمة بن نوفل ، وإنما نَفَرتم لتمنعوه ومالَه ، فاجعلوا [2] بى جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لاحاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضَيْعة ، لا مايقول هذا .

قال : فرجعوا فلم يشهدها زُهْرىٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا .

ولم يكن بَقى بطنٌ من قريش إلا وقد نفَر منهم ناس إلا بنى عَدى ، لم يخرج منهم

(١) ابن هشام : الجزر . (٢) ابن هشام : فاجعلوا لى .

رجل واحد ، فرجعت بنو زُهـرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد .

قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبى طالب ، وكان فى القوم ، وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أنّ هوا كم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال فى ذلك :

لا هُمَّ إمّا يَغزوَنَّ طالبْ ... فى عُصبةٍ محالفٌ مُحـارِبْ
فى مِقْنَبٍ مِنْ هذه المَقَانب (١) ... فليكن المسلوبُ غيرَ السالبْ
وليكن المغلوبُ غيرَ الغالبْ

* * *

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادى خلف العَقَنْقَل وبطن الوادى وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيبُ الذى خَلْفَه قريش ، والقليب ببدر فى العدوة الدُّنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة .

قلت : وفى هـذا قال تعالى « إذ أنتم بالعُدْوة الدُّنيا وهم بالعدوة القصوى والركبُ أسفلَ منكم » أى من ناحية الساحل « ولو تواعَدْتم لاختلفتم فى الميعاد ، ولكنْ لِيَقْضى الله أمراً كان مَفْعولا » (٢) الآيات .

وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسا (٣) فأصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبَّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل مقدارها ثلاثمائة أو نحوها .
(٢) سورة الأنفال ٤٢ (٣) دهسا : لينا .

قلت : وفى هذا قوله تعالى « ويُنَزِّل عليكم من السماء ماءً ليطهِّركم به ويُذْهب عنكم رجزَ الشيطان وليَرْبط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام »[1] .

فذكر أنه طهرَّهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبَّت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيلَ الشيطان وتخويفَه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيتُ الباطن والظاهر ، وأنزل النصرَ عليهم من فوقهم فى قوله : « إذ يُوحى ربُّك إلى الملائكة أنى معكم ، فثبِّتوا الذين آمنوا ، سأُلْقى فى قلوبِ الذين كفروا الرُّعْبَ ، فاضربوا فوقَ الأعناق » أى على الرءوس « واضربوا منهم كلَّ بنَان » أى لئلا يَستمسك منهم السلاحُ « ذلك بأنَّهم شاقُّوا الله ورسولَه ومَنْ يُشَاقِق الله ورسوله فإنّ الله شديدُ العقاب ، ذلكم فذُوقوه وأنّ للكافرين عذابَ النار »[2] .

قال ابن جرير : حدثنى هارون بن إسحاق ، حدثنا مُصْعَب بن المقْدام ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن على بن أبى طالب ، قال : أصابنا من الليل طَشٌّ[3] من المطر ، يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعةُ بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُف[4] نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قائما يصلى ، وحرَّض على القتال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شُعْبة عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : ما كان فينا فارسٌ يومَ بدر إلا المقداد ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح .

وسيأتى هذا الحديث مطولا .

---

(١) سورة الأنفال ١٢ . (٢) سورة الأنفال ١٣، ١٤ . (٣) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . (٤) الحجف : جمع حجفة وهى الترس الصغير يطارق بين جلدين .

ورواه النسائى عن بُنْدار ، عن غُنْدَر ، عن شُعبة به . وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبَّدت به الأرضُ وطابت به أنفسهم وتبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليـلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان ، سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى إلى جِذْم شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول : « ياحىّ ياقيوم » يكرر ذلك ويُلظُّ به عليه السلام .

* * *

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنَى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدُثت عن رجال من بنى سلَمة ، أنهم ذكروا أن الحبَاب ابن منذر بن الجَمُوح قال : يارسول الله أرأيتَ هذا المَنْزل ، أمنْزلا أنزلـكه الله ليس لنا أن نَتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأىُ والحرب والمـكيدة ؟

قال : بل هو الرأى والحرب والمَـكيدة .

قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنْزل ، فامض بالناس حتى نأتىأدنى ماء من القوم فَننْزله ، ثم نغوّر ماوراءه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرتَ بالرأى » .

قال الأموى : حدثنا أبى ، قال : وزعم الـكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : بينْا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الأقباص[(١)] وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملَك من الملائـكة فقال : يامحمد إن الله يقرأ عليك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) بالأصل غير منقوطة . ولم أجد هذ النص ، والقبص : الجماعة من الناس .

« هو السلام ومنه السلام وإليه السلام » فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمرَ الذى أمركَ به الحبابُ بن المنذر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجبريل هل تعرف هذا ؟ فقال : ما كلّ أهل السماء أَعْرِف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان .

فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أَمر بالقُلُب فَغُوِّرَت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضُهم أن الحُبَاب بن المنذر لمّا أشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملَك من السماء وجبريلُ عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الملك : يامحمد ، ربُّك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن الرأى ما أشار به الحُبَاب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال : ليس كل الملائكة أعرفهم ، وإنه ملك وليس بشيطان .

وذكر الأموى أنهم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصفَ الليل ، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملأوا الحياضَ حتى أصبحت مِلاءً وليس للمشركين ماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدِّث أن سعد بن معاذ قال يانبى الله ألا نبنى لك عَريشا تكون فيه ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلْقَى عدوّنا ، فإنْ أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا مِن قومنا ، فقد تخلَّف عنك أقوام مانحن بأشدّ حبًّا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم يُنَاصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ، ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه .

***

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت .

فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تُصوِّب من العَقَنْقَل ، وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى ، قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفَخْرها تُحَادُّك وتكذِّب رسولَك ، اللهم فنَصْرَكَ الذى وعدتنى ، اللهم أَحِنْهم[1] الغداةَ » .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له أحمر : إن يكنْ فى أحدٍ من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يَرْشُدوا .

قال : وقد كان خُفَاف بن أيماء بن رَحَضة ، أو أبوه أيماء بن رَحَضة الغِفَارى ، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال : إن أحببتم أن نُمدكم بسلاح ورجال فعَلْنا قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلَتْكَ رَحِم ، وقد قضيتَ الذى عليك ، فلعَمْرى إنْ كنّا إنما نقاتل الناسَ مابنا ضَعْفٌ عنهم ، وإنْ كنّا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحدٍ بالله من طاقة !

قال : فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجَّانى يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر

---

(١) أحنهم : أهلكهم .

رجلا كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نعقده بعد الوقعة ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

* * *

ففى صحيح البخارى عن البراء ، قال : كنا نتحدث[1] أن أصحابَ بدر ثلثمائة وبضعة عشر ، على عِـدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزا معـه النهرَ ، وما جاوزه معه إلا مؤمن .

وللبخارى أيضا عنه قال : استُصْغِرت أنا وابنُ عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يومَ بدر نَيِّفًا على ستين ، والأنصار نيفٌ وأربعون ومائتان .

وروى الإمام أحمد عن نصر بن رِئاب ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكانت هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة .

وقال الله تعـالى : « إذ يُريكهم الله فى مَنامك قليلاً ولو أراكَهم كثيراً لفَشِلْتم ولَتنازعتم فى الأمر ، ولـكنّ الله سَلَّمَ »[2] الآية .

وكان ذلك فى منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام فى العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذَن لهم ، فدنا القومُ منهم فجعل الصِّديق يوقظـه ويقول : يارسول الله دنَوا منّا فاستيقظْ . وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا .

ذكره الأموى وهو غريب جداً .

وقال تعالى : « وإذ يُريكموهم إذ التقيتم فى أعينـكم قليلاً ويُقَلِّلـكم فى أعينهم ، لِيَقْضى الله أمراً كان مفعولا »[3] .

---

(١) البخارى . سمعت البراء رضى الله عنه يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت .

(٢) سورة الأنفال ٤٣ .

(٣) سورة الأنفال ٤٤ .

فعند ماتقابل الفريقان قلّل الله كلاً منهما فى أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ، لما له فى ذلك من الحكمة البالغة .

وليس هذا معارضاً لقوله تعالى فى سورة آل عمران : « قد كان لكم آيةٌ فى فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأىَ العين ، والله يؤيد بنصْره مَن يشاء » .

فإن المعنى فى ذلك على أصح القولين : أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلَىْ عدد الكافرة على الصحيح أيضا ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة[1] أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً ، بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلا ، ثم أيد المؤمنين بنصره ، فجعلهم فى أعين الكافرين على الضِّعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغُلبوا . ولهذا قال : « والله يؤيدُ بنصره مَن يشاء ، إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار » .

قال إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عُبيد وعبد الله ، لقد قُلّلوا فى أعيننا يومَ بدر ، حتى أنى لأقول لرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ فقال : أَراهم مائة !

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عُمير بن وَهْب الُجمحِى فقالوا احْزِر لنا القومَ أصحاب محمد .

قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر : ألِلقوم كَمينٌ أو مَدَد .

قال : فضرب فى الوادى حتى أبْعدَ فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : مارأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نَواضحُ يَثْرب تحمل الموت الناقع ،

---

(١) الأصل : والمسابقة وهو تحريف .

قومٌ ليس لهم منَعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقْتل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خيرُ العيش بعد ذلك !؟ فرَوا رأيَكم .

فلما سمع حكيم بن حِزام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عتبةَ بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟

قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمرَ حليفك عمرو ابن الحَضْرمى . قال : قد فعلتُ ، أنت علىَّ بذلك ، إنما هو حليفى فعلىَّ عَقْله وما أصيب من ماله . فَأْت ابن الحَنْظلية ، يعنى أبا جهل ، فإنى لا أخشى أن يَشْجر[1] أمرَ الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال : يامعشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يَكْره النظرَ إليه ، قَتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نَثل درعًا فهو يَهْنِئُها[2] فقلت له : يا أبا الحكم إنّ عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا. فقال : انتفخ والله سَحْره[3] حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنُه ، فقد تخوّفكم عليه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ؛ فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد

---

(١) يشجر : يخالف ويفسد . وفى الأصل : يسجر . وما أثبته عن ابن هشام (٢) نثل : أخرج . ويهنئها : يهيئها ويصلحها (٣) انتفخ سحره : جبن والسحر : الرئة .

رأيتَ ثأركَ بعينك فقم فانشد خُفْرَتك ومقتلَ أخيك.

فقام عامرُ بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ : واعمْراه واعمراه . قال : فحميت الحرب وحَقِب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأىَ الذى دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل : انتفخ والله سَحْره ، قال : سيعلم مُصَفِّر استه[١] مَن انتفخ سَحْره أنا أم هو !

ثم التمس عُتبة بَيْضَةً ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضةً تَسَعه مِنْ عِظَم رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببُرْد له .

***

وقد روى ابنُ جرير من طريق مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبوعى ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيَّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن . قال : ائذن له . فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد ادْنُ ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدِّثنا حديث بدر .

فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالُجحْفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التى قال الله تعالى ، فجئت عتبةَ بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمى وهو حليفُك ، فتحمَّل بدِيته ويرجع الناس .

فقال : أنت علىَّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظلية ، يعنى أبا جهل ، فقل له :

---

(١) مصفر استه : أراد مصفر بدنه بالصفرة وهى الطيب . ولكنه قصد المبالغة بالذم فذكر ما يسوؤه أن يذكر.

هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟

فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابنُ الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : فسَخْتُ عقدى من عبد شمس ، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم . فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولا لغيره .

قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شىء ، وعتبة متكىء على أَيْماء بن رَحَضة الغفارى ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر .

فطلع أبو جهل الشرُّ فى وجهه فقال لعتبة : انتفخ سَحْرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال أيماء بن رَحَضة : بئس الفَأْل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم أحسَن تَعْبية .

فروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلاً .

وروى الإمام أحمد من حديث ابن لَهيعَة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، أنّ أسْلم أبا عمران حدّثه ، أنه سمع أبا أيوب يقول : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر ، فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « معى معى » .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد حسن .

* * *

وقال ابن إسحاق : وحدثنى حَبَّان بن واسع بن حبّان ، عن أشياخ من قومه ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْح [١] يعدّل به القوم ، فمر بسواد بن غَزِيّة حليف بنى عدى بن النجار وهو مُسْتَنْتِل [٢] من الصف . فطعن فى بطنه بالقِدْح وقال : « استوِ ياسواد » .

فقال : يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدْنى . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : استقِدْ . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يارسول الله حضر ما ترى ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدى جلدك .

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ما يُضحك [٣] الربَّ مِن عَبْده ؟ قال: « غَمْسُه يدَه فى العدو حاسراً » .

فنزع درعا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره : وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفاً على باب العريش متقلّداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار ، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من أن يَدْهمه العدو من المشركين ، والجنائبُ النجائب مهيَّأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل ، عن علىّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجعُ الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين .

---

(١) القدح السهم . (٢) مستنتل : متقدم . (٣) يضحك : يرضى .

فقال : أمَا إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفتُ منه ، ولـكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يَهْوِى إليه أحدٌ من المشركين ؟ فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بـكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَهوى إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس .

قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يحادُّه ، وهـذا يُتَلْتِله ، ويقولون : أنت جعلتَ الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بـكر يضرب ويجاهد هذا ويُتَلْتِل هذا ، وهو يقول : ويلـكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

ثم رفع علىٌّ بردةً كانت عليـه فبكى حتى اخضلَّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله : أمؤمنُ آلِ فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعةٌ من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجلٌ يَـكْتم إيمانَه ، وهـذا رجل أعلنَ إيمانه .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

فهذه خصوصية للصِّديق ، حيث هو مع الرسول فى العريش ، كما كان معه فى الغار رضى الله عنه وأرضاه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهالَ والتضرعَ والدعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إنْ تَهلك هـذه العصابة لا تُعبد بعـدها فى الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجزْ لى ماوعدتنى ، اللهم نصرَكَ » .

ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن مِنْـكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه

يلتزمه من ورائه ويسوِّى عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يارسول الله بعضَ مناشدتك ربك ، فإنه سيُنْجز لك ماوعدك .

هكذا حكى السهيلى عن قاسم بن ثابت ، أن الصـديق إنما قال : بعضَ مناشدتك ربك ، من باب الإشفاق لمَا رأى مِنْ نَصَبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منـكبيه فقال : بعضَ هذا يارسول الله . أى : لِمَ تُتعب نفسَك هـذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر . وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى السُّهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى بأنه قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى مقام الخوف ، والصِّديق فى مقام الرجاء ، وكان مقامُ الخوف فى هـذا الوقت ، يعنى أكمل . قال : لأن لله أن يفعل مايشاء ، نخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها، فخَوْفُه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قولٌ مردود على قائله ، إذ لم يتذكر هـذا القائل عوَرَ ماقال ولا لازِمَه ولا مايترتب عليـه . والله أعلم .

***

هـذا وقد تواجه الفئتـان وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ، واستغاث بربه سيدُ الأنبياء ، وضجَّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء .

فـكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا شرساً سيئَ الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأَهْدمنّه أو لأموتن دونه . فلمـا خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما

التقيـا ضربه حمزة فأطنَّ [1] قدمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رجله دماً نحوَ أصحابه ، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيـه ، يريد ، زعَم ، أن تبرَّ يمينُه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

قال الأموى : فحَمِى عند ذلك عتبةُ بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شَيْبة وابنه الوليد ، فلما توسَّطوا بين الصفين دعَوا إلى البِرَاز ، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عَفْراء ، والثالث عبد الله بن رَوَاحة فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : مالنا بكم من حاجة . وفى رواية فقالوا : أَكْفاء كِرام ، ولـكن أَخرجوا إلينـا من بنى عمنا ، ونادى مناديهم : يامحمد أخرج إلينا أكفاءنا مِن قومنا .

فقـال النبى صلى الله عليـه وسلم : « قُم ياعبيـدةَ بن الحارث ، وقم ياحمزة ، وقم ياعلى » .

وعند الأموى أن النفر من الأنصار لـما خرجوا كره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أولُ مَوقف واجه فيـه رسول الله صلى الله عليـه وسلم أعداءه ، فأحبَّ أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق : فلمـا دنَوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفى هـذا دليل أنهم كانوا مُلْبسين لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدةُ : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال على : على . قالوا : نعم ، أكْفَاء كرام . فبارَز عبيدةُ ، وكان أسنَّ القوم ، عتبةَ ، وبارز حمزةُ شيبةَ ، وبارز علىٌّ الوليدَ بن عتبة .

فأما حمزة فلم يُمْهل شيبةَ أنْ قتَله ، وأما علىّ فلم يُمهل الوليـدَ أنْ قتَله ، واختلف

---

(١) أطن : أطار .

عبيدةُ وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أَثْبَتَ صاحبَه، وكرَّ حمزة وعلىّ بأسيافهما على عتبة فذَفَّفا [١] عليه ، واحتملا صاحبَهما فحازاه إلى أصحابهما [٢] . رضى الله عنه .

***

وقد ثبت فى الصحيحين من حـديث أبى مِجْلَز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن أبى ذَر : أنه كان يُقْسِم قسَماً أن هـذه الآية « هذان خَصْمان اختَصَموا فى ربهم » [٣] نزلت فى حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه ،يوم برزوا فى بدر .

هذا لفظ البخارى فى تفسيرها .

وقال البخارى : حدثنا حجَّاج بن مِنْهال ، حـدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبى ، حـدثنا أبو مِجْلَز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن على بن أبى طالب ، أنه قال : أنا أولُ من يَجْثو بين يدَى الرحمن عز وجل فى الخصومة يوم القيامة .

قال قيس : وفيهم نزلت : « هذان خَصْمان اختَصموا فى ربهم » قال : هم الذين بارزوا يومَ بدر : علىّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

تفرّد به البخارى .

وقد أوسعنا الـكلامَ عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال الأموى : حـدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله البهىّ ، قال : برز عتبة وشيبة والوليـد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلى ، فقالوا : تـكلَّموا نَعْرفـكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كُفءٌ كريم . وقال على : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوم فقتلهم الله .

---

(١) ذففا عليه : أجهزا .

(٢) ابن هشام : إلى أصحابه .

(٣) سورة الحج ١٩ .

فقالت هند فى ذلك :

أعينىّ جُودِى بدمعٍ سَرِبْ على خيرِ خِنْدِفَ لم يَنْقلبْ
تداعَى له رَهْطه غُدْوةً بنو هاشمٍ وبنو المطَّلبْ
يذيقونه حَدَّ أسيافهم يعلّونه بعد ماقد عَطبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشْرَفه (١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قدمَه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يارسول الله لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله :

ونُسْلمه حتى نُصَرَّع دونَه وتَذْهل عن أبنائنا والحلائِل

ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أنك شهيد » . رواه الشافعى رحمه الله .

وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رُمى بسهم فقتله .

قال ابن إسحاق : فكان أولَ من قُتل ، ثم رُمى بعده حارثة بن سُرَاقة أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات .

وثبت فى الصحيحين ، عن أنس ، أن حارثة بن سُرَاقة قُتل يوم بدر وكان فى النَّظارة، أصابه سَهمٌ غَرْبٌ فقتَله ، فجاءت أمه فقالت : يارسول الله أخبرنى عن حارثة ، فإن كان فى الجنة صبرتُ وإلا فليرينَّ الله ما أصنع ، يعنى من النِّيَاح ، وكانت لم تُحرَّم -

(١) كذا وفى إنسان العيون : فأفرشه .

بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك أَهَبِلْتِ ، إنها جِنانٌ ثمان ، وإن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى ! » .

***

قال ابن إسحاق : ثم تزاحف النـاسُ ودنا بعضهم من بعض . وقد[1] أمر رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتَنَفَـكم القومُ فانْضَحوهم عنكم بالنبل .

وفى صحيح البخارى عن أبى أُسَيد ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : إذا أَكْثَبوكم ، يعنى المشركين ، فارموهم واسْتَبْقوا نَبْلَـكم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حـدثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُـكَير ، عن أبى إسحاق ، حدثنى عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارَ المهاجرين يوم بدر : يابنى عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يابنى عبد الله . وشعار الأوس : يابنى عبيد الله ، وسمى خيلَه خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر : أَحَدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر رضى الله عنه ، يعنى وهو يستغيث الله عز وجل ، كما قال تعالى : « إذ تَسْتغيثون ربَّـكم فاستجاب لـكم أنّى مُمِدُّكم بألفٍ من الملائـكة مُرْدِفين . وما جعـله الله إلا بُشْرَى ولتطمئنَّ به قلوبكم وما النصرُ إلا مِنْ عندِ الله ، إن الله عزيز حكيم »[2] .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح قُراد ، حـدثنا عكرمة بن عمار ، حـدثنا سِماك الحنفى أبو زُميل ، حدثنى ابن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب ، قال : لمـا كان يوم بدر

---

(١) الأصل : وقال . وهو تحريف . وما أثبته عن ابن هشام .
(٢) سورة الأنفال ٩ ، ١٠ .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلةَ وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أنجزْ لى ماوعدتنى ، اللهم إن تَهلِك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد بعدُ فى الأرض أبداً » .

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردَّه ثم التزَمه مِن ورائه ثم قال : يارسول الله كفاك[1] مناشدتَك ربَّك ، فإنه سيُنْجز لك ماوعدك . فأنزل الله : « إذ تَسْتغيثون ربَّكم فاستجاب لكم أنِّى مُمدكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفِين » .

وذكر تمام الحديث كما سيأتى .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليمانى ، وصححه على ابن المَدِينى والترمذى .

وهكذا قال غير واحد ، عن ابن عباس والسُّدى وابن جَرير وغيرهم ، أن هذه الآية نزلت فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

وقد ذكر الأموى وغيره أن المسلمين عجُّوا إلى الله عز وجل فى الاستغاثة بجنابه والاستعانة به .

وقوله تعالى : « بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين » أى رِدْفاً لكم ومدداً لفئتكم .

رواه العوفى عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم .

وقال أبو كُدينة ، عن قابوس ، عن ابن عباس « مُرْدِفِين » وراء كلِّ مَلَكٍ ملكٌ

---

(١) الأصل : كذاك . وهو تحريف .

وفى رواية عنه بهـذا الإسناد « مُرْدفين » بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظَبْيان والضحاك وقتادة .

وقد روى على بن أَبى طلحة الوالِبىّ عن ابن عباس قال : وأمدَّ الله نبيَّه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل فى خمسمائة مُجنَّبة وميكائيل فى خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جرير : حدثنى المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنى عبد العزيز بن عمران ؛ عن الرَّبَعى ، عن أبى الُحويرث عن محمد بن جبير ، عن على ، قال : نزل جبريل فى ألفٍ من الملائكة على ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة على ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى الميسرة .

ورواه البيهقى فى الدلائل ، من حديث محمد بن جبير ، عن على ، فزاد: ونزل إسرافيل فى ألف من الملائكة .

وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة .

وهذا غريب وفى إسناده ضعف ، ولو صح لكان فيه تقويةٌ لما تقدم من الأقوال . ويؤيدها قراءة من قرأ : « بألفٍ من الملائكة مُرْدَفين » بفتح الدال . والله أعلم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أَخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى ، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن مَوهب ، أخبرنى إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبى رافع ، عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على بن أبى طالب ، عن أبيه عن جده ،قال : لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعا لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل ، قال : فجئت فإذا هو

ساجد يقول « ياحى ياقيوم ياحى ياقيوم » لا يزيد عليها . فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة ، عن بُنْدار ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبى على الحنفى .

وقال الأعمش : عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : ماسمعت مُناشداً يَنْشد أشدَّ من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد » ثم التفت وكأن شقَّ وجهه القمرُ وقال : كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشيةً .

رواه النسائى من حديث الأعمش به .

وقال : لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت مناشداً ينشد حقًّا له أشدَّ مناشدةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره .

وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة . وهو مناسب ، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر مايدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم .

ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبلُ بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يومَ الوقعة . والله أعلم .

وقد روى البخارى من طرق ، عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ،

اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبُك يارسول الله أَلحَحْتَ على ربك. فخرج وهو يَثِب فى الدِّرع وهو يقول : « سيُهْزَم الجمع ويُوَلُّون الدُّبر . بل الساعةُ مَوْعدُهم والساعة أدْهَى وأمرُّ » .

وهذه الآية مكية . وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو الربيع الزَّهرانى ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لما نزلت : « سيُهْزَم الجمع ويولُّون الدُّبر » قال عمر : أىُّ جمع يهزم وأى جمع يَغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثب فى الدرع وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدُّبر . بل الساعة مَوْعِدهم والساعةُ أدهى وأمرّ » فعَرفت تأويلها يومئذ .

وروى البخارى من طريق ابن جُرَيج ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول: نزل على محمد بمكة — وإنى لجارية ألعب — « بل الساعة مَوْعدهم والساعةُ أدْهَى وأمرُّ ».

* * *

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تَهلك هذه العصابة اليومَ لاتعبد » وأبو بكر يقول: يا نبىّ الله بعضَ مناشدتك ربك ، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك .

وقد خفق النبى صلى الله عليه وسلم [خفقةً] وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريلُ آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقْعُ » يعنى الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرَّضهم وقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدْبر إلا أدخله الله الجنة » .

قال عُمَير بن الُحمام ، أخوبنى سلمة وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ !أفما بيْنى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بَسْبَساَ عَيناً ينظر ما صنعت عِيرُ أبى سفيان ، فجاء وما فى البيت أحدٌ غيرى وغير النبى صلى الله عليه وسلم . قال : لا أدرى ما استثنى مِن بعض نسائه ، قال : فحدثه الحديث . قال : فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طِلْبةً ، فمن كان ظهرُه حاضراً فليركب معنا » فجعل رجالٌ يستأذنونه فى ظهورهم فى عُلْو المدينة قال : « لا إلا من كان ظهرُه حاضراً » .

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبَقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه » .

فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى جنة عرْضُها السموات والأرض » .

قال يقول عُمَير بن الحمام الأنصارى : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال : نعم . قال : بخ بخ ؟ فقال رسول الله : « ما يَحْملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءَ أن أكون من أهاها . قال : فإنك من أهلها .

قال : فأخرج تمرات من قَرَنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ! قال : فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله .

ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جرير أن عُميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :

رَكْضاً إلى الله بغير زادِ إلا التُّقَى وعمل المَعَادِ
والصَّبرِ فى الله على الجهاد وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النفادِ
غير التُّقَى والبرِّ والرشادِ

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن على ، قال : لما قدمنا المدينة أصبْنَا من ثمارها فاجتوَيْناها وأصابنا بها وَعكٌ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحيز عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقْنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط ، فأما القُرشى فانفلت ، وأما المَوْلى فوجدناه ، فجعلنا نقول له : كم القومُ ؟ فيقول : هم والله كثير عددُهم شديدٌ بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه .

حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ قال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . فجهد النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى . ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الُجزر ؟ فقال : عَشراً كل يوم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « القوم ألفٌ ، كلُّ جزور لمائة وتبعها » .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ من من مطر ، فانطلقنا تحت الشجر والُحجُف نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » .

فلما طلع الفجر نادى : الصلاة عبادَ الله . فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحرّض على القتال ثم قال : « إنّ جمع قريش تحت هذه الضِّلَع الحمراء من الجبل » .

فلما دنا القومُ منا وصافَفْناهم إذا رجلٌ منهم على جمل له أحمر يسير فى القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا على ناد حمزة » ، وكان أقربهم من المشركين ، منْ صاحب الجمل الأحمر ؟ فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة . وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم اعصبوها برأسى وقولوا : جَبُن عتبة بن ربيعة . وقد علمتم أنى لست بأجْبنكم .

فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك ، والله لو غيرُك يقوله لأعضَضْتُه ، قد ملأتْ رئتُك جوفَك رعباً . فقال : إياى تعيِّر يامُصَفّر استه ؟ ستعلم اليوم أيُّنا الجبان .

فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حَمِيةً فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار مشبّبة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز مِن بنى عمنا من بنى عبد المطلب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » .

فقتل الله عتبةَ وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة ، وجُرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسَرْنا سبعين .

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله إن هذا ما أسَرنى ، لقد أسرنى رجلٌ أجْلَح مِن أحسن الناس وجهاً على فرس أبْلَق ما أراه فى القوم . فقال الأنصارى : أنا أسَرْته يا رسول الله .

فقال : « اسكت ، فقد أيدَّك الله بملك كريم » .

قال : فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعَقيلا و نوفل بن الحارث .

هذا سياق حسن ، وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى ، وقد تفرد بطوله الإمام أحمد ، وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به .

* * *

ولمـا نزل رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم من العريش وحرَّض الناسَ على القتال ، والناسُ على مصاَفّهم صابرين ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتُوا واذكروا الله كثيراً[1] » الآية .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق ، قال : قال الأوزاعى : كان يقال : قلَّما ثبت قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغضَّ طَرفه ويذكر الله رجوتُ أن يَسْلم من الرياء .

وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم ، يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، جِثيًّا على الرُّكب كأنهم حَرس ، يتلمَّظون كما تتلمظ الحياتُ ، أو قال الأفاعى .

قال الأموى فى مغازيه : وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حين حرض المسلمين على القتــال قد نَفَّل كلَّ امرىء ما أصاب ، وقال : « والذى نفسى بيــده لا يقاتلهم اليومَ رجل [فيقُتل] صابراً محتسبا مقبلاً غير مُدْبر إلا أدخله الله الجنة » . وذكر قصة عمير ابن الحمام كما تقدم .

وقد قاتل بنفسه الـكريمة قتالا شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق ، كما كانا

(١) سورة الأنفال ٤٥ .

فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان جَمْعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة ابن مضرب ، عن على ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .

ورواه النسائى من حديث أبى إسحاق عن حارثة ، عن على قال : كنا إذا حَمِى البأس ولقى القوم اتقَّينا برسول صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا مِسْعر ، عن أبى عَون ، عن أبى صالح الحنفى ، عن على ، قال : قيل لعلى ولأبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر : مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل . أو قال : يشهد الصفَّ .

وهذا يشبه ماتقدم من الحديث : أن أبا بكر كان فى المَيْمنة ، ولمّا تنزّل الملائكةُ يوم بدر تنزيلا ، كان جبريل على أَحد المَجْنبتين فى خمسمائة من الملائكة ، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى فى خمسمائة من من الملائكة فوقفوا فى الميْسَرة ، وكان على بن أبى طالب فيها .

[وفى حديث رواه أبو يعلى ، من طريق محمد بن جبير بن مطعم ، عن على ، قال كنت أَسْبح على القليب يوم بدر ، فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائل فى ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أبو بكر ، وإسرافيل فى أَلف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل فى ألف قال : ولقد طفَتْ يومئذ حتى بلغ إبطى][1] .

(١) سقط من ا

وقد ذكر صاحب العِقْد وغيره أن أفخرَ بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

وببئر بدرٍ إذ يكُفُّ مَطيَّهم　　　جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

***

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جَرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال:من أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة .

انفرد به البخارى .

وقد قال الله تعالى : « إذ يوحِى ربك إلى الملائكة أنِّى معكم فَثبِّتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرُّعب ، فاضربوا فوقَ الأعناق ـ يعنى الرؤوس ـ واضربوا منهم كلَّ بنَان » .

وفى صحيح مسلم مِن طريق عكرمة بن عمار ، عن أبى زُمَيْل ، حدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أَثَر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقَه وصوتَ الفارس [يقول:][1] أَقْدِم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرَّ مُسْتلقيا ، فنظر إليه فإذا هو [قد][1] خُطِم [أنفه][1] وشُقَّ وجهه بضربة[2] السوط فاخضَرَّ[3] ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدَّث ذاك[4] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقتَ ذلك مِنْ مدد السماء الثالثة . » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأَسَرُوا سبعين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عمن حدثه ، عن ابن عباس، عن رجل من بنى غِفَار ، قال : حضرت أنا وابنُ عم لى بَدْراً ونحن على شِرْكنا،

---

(١) من صحيح مسلم .　(٢) صحيح مسلم : كضربة السوط .

(٣) الأصل : وحضر . بالحاء والضاد . وما أثبته عن صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٨٦

(٤) مسلم : بذلك .

وإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على مَن تكون الدائرة [١] ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حَمْحمة الخيل ، وسمعنا قائلا يقول : أقْدِمْ حَيزومُ : فأما صاحبي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لكدْتُ [٢] أن أهلك ثم انتعشت [٣] بعد ذلك .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعِدة ، عن أبى أُسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدر ومعى بصرى لأَريتكم الشِّعْب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أَتمارى .

فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم : « أنى معكم فثبِّتوا الذى آمنوا » . وتثبيتهم : أن الملائكة كانت تأتى الرجلَ فى صورة الرجل يعرفه فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشىء والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

وقال الواقدى : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملَك يتصوَّر فى صورة مَن يعرفون فيقول : إنى قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ماثبتْنا. ليسوا بشىء . إلى غير ذلك من القول .

فذلك قوله : « إذ يوحِى ربُّك إلى الملائكة أنِّى معكم فثبتوا الذين آمنوا » الآية .

ولما رأى إبليسُ الملائكة نكَص على عقبيه وقال : «إنى برىء منكم ، إنى أرى مالا ترَوْن » وهو فى صورة سُراقة .

وأقبل أبو جهل يحرِّض أصحابه ويقول : لا يهُولنكم خذلانُ سُرَاقة إيا كم ، فإنه كان على مَوعد من محمد وأصحابه. ثم قال : واللات والعزى لا نَرجع حتى نفرّق محمداً وأصحابه فى الجبال ، فلا تقتلوهم وخُذوهم أخذاً .

---

(١) ابن هشام وأبو نعيم : الدبرة . (٢) ابن هشام وأبو نعيم : فكدت .
(٣) ابن هشام وأبو نعيم : ثم تماسكت .

وروى البيهقى من طريق سلامة ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال أبو أُسيد ، بعد ماذهب بصره : ياابن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ، ثم أطلق الله بصرى ، لأريتك الشِّعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شكٍّ ولا تمارٍ .

وروى البخارى ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وأخبرنى موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمى ، عن أبيه ، وحدثنى عابد بن يحي ، عن أبى الحُوَيرث ، عن عُمارة بن أُكَيمة اللَّيثى ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزام ، قالوا : لما حضر القتال ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إنْ ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دِين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضَنَّ وجهَك . فأنزل الله ألفا من الملائكة مُرْدِفين عند اكتناف العدو .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعتَجِرٌ بعمامة صفراء آخذ بعِنَان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيَّب عنى ساعةً ثم طلع وعلى ثناياه النَّقْع يقول : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل ، عن أبيه ، قال : يابنى لقد رأيتنا يومَ بدر وإن أحَدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبلَ أن يَصِل إليه السيفُ .

وقال ابن إسحاق : حدثنى والدى ، حدثنى رجال من بنى مازن ، عن أبى واقد اللَّيثى ، قال : إنى لأَتْبع رجلًا من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنّ غيرى قد قتله .

وقال يونس بن بُكَير ، عن عيسى بن عبد الله التيمى ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان الناس يعرفون قتلَى الملائكة ممَّن قتلوهم بضربٍ فوقَ الأعناق وعلى البَنان مثل سِمَة النار وقد أحرق به .

وقال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرْخوها على ظهورهم إلا جبريل ، فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وقد قال ابن عباس : لم تقاتِل الملائكةُ فى يومٍ سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدداً ومدداً لا يَضْربون .

وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن موسى بن أبى أمية ، عن مصعب بن عبد الله ، عن مولىً لسهيل بن عمرو ، سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يومَ بدر رجالا بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض مُعلَّمين يَقْتلون ويَأْسرون .

وكان أبو أُسيد يحدِّث بعد أن ذهب بصره ، قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعى بصرى ، لأريتكم الشِّعب الذى خرجت منه الملائكة لاأشك ولا أَمْتَرى .

قال : وحدثنى خارجة بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « من القائل يومَ بدر من الملائكة أَقْدِم حَيْزومُ ؟ » فقال جبريل : يامحمد ما كلّ أهل السماء أعْرف .

قلت : وهذا الأثر مرسل ، وهو يردّ قولَ من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل ، كما قاله السهيلى وغيره . والله أعلم .

وقال الواقدى : حدثنى إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صُهيب ، عن أبيه قال : فما أدرى كم يدٍ مقطوعة وضَرْبة جائفةٍ لم يَدْمِ كَلْمُها قد رأيتُها يوم بدر !

وحدثنى محمد بن يحيى ، عن أبى عقيل ، عن أبى بُرْدة بن نِيار ، قال : جئت يومَ

بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أمّا رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإنى رأيت رجلا طويلا [قتله] فأخذت رأسه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة » .

وحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبى حُبيش يحدث فى زمن عمر يقول : والله ماأسَرنى أحدٌ من الناس . فيقال : فمن ؟ يقول : لما انهزمت قريش انهزمتُ معها ، فأدركنى رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقنى رِباطا ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطا فنادى فى العسكر : من أسرَ هذا ؟ حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أسَرك ؟ قلت : لا أعرفه . وكرهت أن أخبره بالذى رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسَرك ملَك من الملائكة اذهب يابنَ عوف بأسيرك » .

وقال الواقدى : حدثنى عابد بن يحيى ، حدثنا أبو الحوَيرث ، عن عمارة بن أُكيمة ، عن حكيم بن حزام ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر وقد وقع بِجادٌ [1] من السماء قد سدَّ الأفق ، فإذا الوادى يسيل نَمْلاً ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أُيِّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمةُ ولقىّ الملائكة .

[وقال إسحاق بن راهَوْيه ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنى أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى أبى ، عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت قبلَ هزيمة القوم ، والناس يقتتلون ، مثل البِجَاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشكّ أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] [2] .

* * *

ولما تنزَّلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغفىَ إغفاءةً

---

(١) البجاد : كساء مخطط .   (٢) سقط من ا

ثم استيقظ ، وبشَّر بذلك أبا بكر وقال « أبشر ياأبا بكر هـذا جبريل يقود فرَسه على ثَناياه النَّقْع » يعنى من المعركة .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم من العريش فى الدِّرع فجعـل يحرض على القتال ، ويبشّر الناسَ بالجنة ويشجعهم بنزول الملائـكة ، والناسُ بعـدُ على مصافِّهم لم يحملوا على عدوهم ، حصل لهم السكينة والطمأنينة .

وقد حصل النعاسُ الذى هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال : « إذ يُغشيِّـكم النعاسَ أَمَنةً منه » وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحـد بنص القرآن .

ولهـذا قال ابن مسعود : النعاسُ فى المَصافِّ من الإيمان ، والنعاس فى الصـلاة من النفاق .

وقال الله تعـالى : « إن تَستفتحوا فقـد جاءكم الفتحُ ، وإن تَنْتهوا فهو خيرٌ لـكم ،وإن تَعُودوا نَعُدْ ولن تُغْنىَ عنـكم فئتـكم شيئاً ولو كثُرتْ وإنّ الله مع المؤمنين [(١)] » .

قال الإمام أحمـد . حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حـدثنى الزُّهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال ، حين التقى القوم : اللهم أَقْطَعنا للرَّحم وآتانا بما لا نَعْرف فأحِنْه الغَداة : فـكان هو المستفتح .

وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة ، ورواه النسائى من طريق صالح بن كَيْسان عن الزهرى ، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضاً . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الأموى : حدثنا أسْباط بن محمد القرشى ، عن عطية ، عن مطرف ، فى قوله :

---

(١) سورة الأنفال ١٩ .

« إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » قال : قال أبو جهـل : اللهم [أعن] أعزَّ الفئتين ، وأكرمَ القبيلتين ، وأكثرَ الفريقين . فنزلت : « إن تَستفتحوا فقد جاءكم الفتحُ » .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : «وإذ يَعِدكم الله إحدى الطائفتين أنها لـكم » قال : أقبلت عيرُ أهل مكة تريد الشام ، فبلغ ذلك أهلَ المدينـة فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير .

فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لـكيلا يَغْلب عليها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العيرُ رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم ، وكان الله قد وعدهم إحـدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يَلقوا العير .

وسار رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشَوْكة القوم ؛ فنزل النبى صلى الله عليـه وسلم والمسلمون ، وبينهم وبين المـاء رملةٌ دِعْصَة ، [1] فأصاب المسلمون ضعف شديد ، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنـكم أولياء الله وفيـكم رسوله ، وقد غلبـكم المشركون على الماء وأنتم كذا [2] .

فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب .

فساروا إلى القوم وأيّد الله نبيَّه والمؤمنين بألفٍ من الملائـكة ، فكان جبريل فى خمسمائة من الملائـكة مجنبة ، وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة .

وجاء إبليس فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بنى مُدْلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : « لاغالبَ لـكم اليومَ من الناس ، وإنى جارٌ لـكم » .

---

(١) الدعصة : المستدير من الرمل . (٢) فى الروايات أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام .

فلما اصطف الناسُ قال أبو جهل : اللهم أَوْلاَنا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « يارب إنْ تَهْلك هذه العصابة فلن تُعبد فى الأرض أبداً » .

فقال له جبريل : خذ قبضةً من التراب . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولَّوا مدبرين .

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ، وكانت يده فى يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم ولَّى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقة أمَا زعمت أنك لنا جارٌ ؟ قال : إنى أرى مالا ترون ، إنى أخاف الله والله شديد العقاب . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقى فى الدلائل .

***

[وقال الطبرانى : حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصارى ، عن رفاعة بن رافع ، قال : لمّا رأى إبليس مافعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يُخْلص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللهم إنى أسألك نظرتك إياى ، وخاف أن يخلص القتل إليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يَهُولنكم خذلانُ سُراقة بن مالك ، فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعُتبة والوليد فإنهم قد عَجِلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفينَّ رجلاً منكم قَتل رجلا ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرّفوهم سوء صنيعهم ، من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى .

ثم قال أبو جهلا متمثِّلا :

ما تَنْقِم الحربُ الشَّمُوس منّى بازل عامين حديثٌ سنّى

لمثل هذا ولدتنى أمى][1]

وروى الواقدى ، عن موسى بن يعقوب الزمعى ، عن أبى بكر بن أبى سليمان ، عن أبى حتمة ، سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألحَّ عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدى : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر[2] ، سمعت نوفل بن معاوية الدِّيلى يقول : انهزمْنا يوم بدر ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى فى الطاس فى أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدِّ الرعب علينا .

وقال الأموى : حدثنا أبى ، حدثنا ابن أبى إسحاق ، حدثنى الزهرى ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَيْر ، أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقْطَعُنا للرحم وآتانا بما لا نعْرِف فأحِنْه الغداةَ . فكان هو المستفتح .

فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلَّلهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً فى العريش ثم انتبه فقال : « أَبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعمامته آخذ بعِنَان فرسه يقوده ، على ثَنَاياه النَّقْع ، أتاك نصر الله وعِدَته » .

---

(١) سقط من ا (٢) المطبوعة : صعير . وهو خطأ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القومَ فقال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها ، ثم قال لأصحابه : احملوا .

فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتل الله مَن قُتِل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنةً من الحَصْباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدِّى الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ يومَ بدر : « أعطنى حَصْباء من الأرض » فناوله حصباء عليها تراب ، فرمى به فى وجوه القوم فلم يَبْقَ مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شىء ، ثم رَدِفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله فى ذلك : « فلَمْ تَقْتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رَميْتَ إذ رميتَ ولكن الله رَمى » .

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : إن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر .

وقد فعل عليه السلام مثلَ ذلك فى غزوة حنين . كما سيأتى فى موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرّض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى ، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرّ راجعةٌ من المشركين إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما وضع القومُ أيديهم يأسرون ، رأى رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له : « كأنى بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان فى القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ « إنى قد عرفتُ أنّ رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أُخْرجوا كُرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لَقِى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البَخْتَرِى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مُسْتكرَها » .

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألحمّنه بالسيف .

فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : « يا أبا حفص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ، « أيُضْرب وجه عم رسول الله بالسيف ! » .

فقال عمر : يا رسول الله دَعْنى فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق .

فقال أبو حذيفة : ما أنا بآمِنٍ من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفّرها عنى الشهادة . فقُتل يوم اليمامة شهيداً . رضى الله عنه .

مَقْتل أبى البَخْتَرى بن هشام

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخْتَرى

لأنه كان أ كفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة ، فلقيه المجذّر بن ذِياد البَلَوى حليف الأنصار فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك . ومع أبى البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مليحة وهو من بنى ليث . قال : وزميلى ؟ فقال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا ، لا يتحدث عنى نساء قريش بمكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة !

وقال أبو البخترى وهو ينازل المجذر :

لن يَتْرك[1] ابن حرة زميلَه ... حتى يموت أو يَرى سبيلَه

قال : فاقتتلا فقتله المجذَّر بن ذِياد . وقال فى ذلك :

إما جهلتَ أو نسيت نسبى ... فأثبت النسبةَ إنى من بَلِى
الطاعنين برماح اليَزَنى ... والطاعنين[2] الكبشَ حتى ينْحنى
بشِّر بُيتمٍ مَنْ أبوه البَخْتَرِى ... أو بَشِّرنْ بمثلها منِّى بَنِى
أنا الذى يقال أصْلى مِنْ بَلِى ... أطْعَنُ بالصَّعْدَة[3] حتى تَنْثنى
وأَعْبِطُ القِرْن بعَضْبٍ مَشْرَفى ... أُرْزِم للموت كإرزام المَرِى[4]
فلا ترى مجذَّراً يفرْى فَرِى[5]

ثم أتى المجذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبَى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

---

(١) ابن هشام : لن يسلم (٢) ابن هشام : الضاربين (٣) الصعدة : الرمح .
(٤) أعبط : أقتل . والقرن : النظير فى الحرب . والعضب : السيف القاطع. وأرزم : أحن . والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر . (٥) يفرى فرى : يصنع صنعى

فصـــل

فى مقتل أميـــة بن خلف

قال ابن إسحاق ، وحـدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيـه وحدَّثنيه أيضا عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لى صَدِيقا بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن: فـكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : باعبد عمرو أرغِبْتَ عن اسم سمّاكه أبوك ؟ قال : فأقول : نعم . قال [(١)] : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : وكان إذ دعانى ياعبد عمرو لم أجبه . قال : فقلت له : ياأبا على اجعل ماشئتَ . قال : فأنت عبدُ الإله . قال : قلت : نعم .

قال : فـكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله . فأجيبه فأتحدث معه .

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على وهو آخذ بيده ، قال : ومعى أدْراع لى قد استلبتُها فأنا أحملها ، فلما رآنى قال : ياعبد عمرو فلم أجبه ، فقال : ياعبد الإله . فقلت : نعم. قال : هل لك فىّ فأنا خيرٌ لك من هـذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله[(٢)] .

قال : فطرحتُ الأدراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه ، وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ، أمالـكم حاجة فى اللبن[(٣)] ؟ ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الواحد بن أبى عَون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

---

(١) ابن هشام : فيقول . (٢) ابن هشام : ها الله ذا . وها : حرف تنبيه ولفظ الجـلالة مجرور بحرف قسم مضمر قام التنبيه مقامه . (٣) قال ابن هشام : يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما : ياعبد الإله من الرجلُ منكم المُعْـلَم بريشه نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : حمزة قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذِّب بلالاً بمكة على الإسلام ، فلما رآه قال : رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال قلت : أى بلال ، أسيرىّ ، قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : ياأنصار الله ، رأسُ الكفر أمية بن خلَف ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكة[1] فأنا أذُبُّ عنه ، قال : فأخْلَف رَجلٌ السيفَ فضرب رِجْلَ ابنه فوقع ، وصاح أميـة صيحـةً ما سمعت بمثلها قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ولا نجـاء [بك][2] ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهَبرُوهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، فجعنى بأدراعى وبأسيرَىّ !

وهكذا رواه البخارى فى صحيحه قريبا من هذا السياق ، فقال فى الوكالة : حدثنا عبد العزيز ، هو ابن عبدالله ، حدثنا يوسف ، هو ابن الماجشون ، عن صالح بن ابراهيم ابن عبدالرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن جده عبد الرحمن بن عوف ، قال : كاتبتُ أميةَ ابن خلف كتابا بأن يحفظنى فى صاغِيتى[3] بمكة وأحفظه فى صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرف الرحمن ، كاتِبْنى باسمك الذى كان فى الجاهلية . فكاتبته عبدَ عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال : أمية بن خلف ؟ ! لا نجوتُ إن نجا أمية بن خلف .

فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلَّفت لهم ابنَه

---

(١) المسكة : السوار ، أى أحدقوا بهم . (٢) من ابن هشام . (٣) صاغيتى : خاصتى .

لأشغلهم فقتلوه ، ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له : ابرك . فبَرك فألقيت عليه نفسى لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه ، فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك فى ظهر قدمه .

سمع يوسفُ صالحًا وإبراهيمُ أباه .

تفرد به البخارى من بينهم كلهم . وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف .

مقتل أبى جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل][1] ويقول :

ما تَنْقِمِ الحربُ العَوانُ منّى ‌ ‌ ‌ بازِلُ عامَين حديثٌ سنّى

لمثل هذا ولدتنى أمى

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبى جهل أن يُلْتَمس فى القتلى .

وكان أول من لقى أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضاً ، قد حدثنى ذلك ، قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلِمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرَجَة[2] وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَص إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأنى فصَمَدْت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربةً أطنَّت[3] قدَمه بنصف ساقه ، فوالله ماشبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مِرْضَخة النَّوَى حين يُضرب بها . قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى

(١) من ابن هشام . (٢) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . (٣) أطنت : أطارت .

فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني[1] القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عامةَ يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان .

ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عَقِير ، مُعَوِّذ بن عَفراء فضربه حتى أثبتَه ، وتركه وبه رَمق ، وقاتل معوذ حتى قُتل .

فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل،حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : انظروا إنْ خَفِي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ونحن غلامان وكنت أشفَّ منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجُحِش[2] في أحدهما جَحْشاً لم يزل أثره به .

قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَث بي[3] مرةً بمكة فآذاني ولكزني ، ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني [قال[4]] أعْمَدُ من رجل قتلتموه[5] . أخبرْني لمن الدائرةُ اليومَ ؟ قال : قلت لله ولرسوله .

قال ابن إسحاق : وزعم رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيتَ مُرْتقىً صَعبا يارُوَيْعي الغنم . ثم احتززتُ رأسَه ، ثم جئت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله هذا رأس عدو الله . فقال : « آللهِ الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

---

(١) أجهضني : غلبني . (٢) جحش : انخدش . (٣) ضبث : قبض عليه ولزمه .
(٤) ليست في ابن هشام . (٥) ابن هشام : أعمد من رجل قتله قومه .

هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله .

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون ، عن صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : إنى لواقفٌ يومَ بدر فى الصف ، فنظرت عن يمينى وشمالى ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بيْن أظْلَع[1] منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : ياعم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أُخْبرت أنه يسبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سوادَه حتى يموت الأعْجَلُ منّا . فتعجبت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال لى أيضاً مثلَها . فلم أنْشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذى تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال : « أيّكما قتلَه ؟ » . قال كلٌّ منهما : أنا قتلته . قال : « هل مسَحْتما سيفيكما ؟ » قالا : لا . قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عَفْراء .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن أبيه عن جده ، قال : قال عبد الرحمن : إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمَنْ بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عم أرنى أبا جهل . فقلت : يا بن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه . وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثلَه . قال : فما سرَّنى أنى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشَدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء .

(١) أظلع : أضعف .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى سليمان التيمى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى عليه الله وسلم « من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عَفراء حتى بَرَد . قال : فأخذ بلحيته قال فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوقَ رجل قتلتموه . أو قال : قتله قومه !

وعند البخارى ، عن أبى أسامة ، عن إسماعيل بن قيس ، عن ابن مسعود ، أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ فقال : هل اعْمَدَ من رجل قتلتموه !

وقال الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيّد ، ومعى سيف ردىء ، فجعلت أَنْقف رأسه بسيفى وأذْكُر نَقْفاً كان ينقف رأسى بمكة حتى ضعفت[١] يده ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على مَن كانت الدائرةُ ، لنا أو علينا ؟ ألست رُوَيْعينا بمكة ؟

قال : فقتلته ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قتلتُ أباجهل . فقال : آلله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفنى ثلاث مرات . ثم قام معى إليهم فدعا عليهم.

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، قال : قال عبد الله : انتهيت إلى أبى جهل يومَ بدر وقد ضُربت رجله وهو يذُبُّ الناس عنه بسيف له ، فقلت : الحمد لله الذى أخزاك الله يا عدو الله . قال : هل هو إلا رجلٌ قتله قومُه !

فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل ، فأصبت يده ، فندر[٢] سيفُه ، فأخذته فضربته حتى قتلته .

قال : ثم خرجت حتى أتيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم كأنما أُقَلُّ[٣] من الأرض فأخبرته فقال : « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا . قال : قلت : آلله الذى لا إله إلاّ هو .

---

(١) ا : صفقت . (٢) ندر : سقط . (٣) أقل : أحمل .

قال : فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذى قد أخزاك الله يا عدوّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة ».

وفى رواية أخرى قال ابن مسعود : فنَفَّلنى سيفَه .

وقال أبو إسحاق الفزارىّ ، عن الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن ابن مسعود قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت : قد قتلت أبا جهل فقال : « آلله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت : آلله الذى لا إله إلا هو مرتين ، أو ثلاثا .

قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، الحمد لله الذى صدَق وعدَه ، ونَصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال : « انطلق فأَرِنيه ، فانطلقت فأريته ، فقال : « هذا فرعونُ هذه الأمة » .

ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبى إسحاق السَّبِيعىّ به .

وقال الواقدى : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَصْرع ابنى عَفْراء فقال : «رحم الله ابنَىْ عفراء ، فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل : يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكةُ ، وابن مسعود قد شَرِكَ فى قتله » .

رواه البيهقى .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصَمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن عَنْبسَة بن الأزهر ، عن أبى إسحاق ، قال : لما جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم البشيرُ يوم بدر بقتل أبى جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيتَه قتيلا ؟ فحلف له ، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً .

ثم روى البيهقى من طريق أبى نُعيم ،عن سلمة بن رجاء ، عن الشَّعْثاء ، امرأة من بنى أسد ، عن عبد الله بن أبى أوْفَى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بُشِّر بالفتح وحين جىء برأس أبى جهل .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بِشر بكر بن خلف ، حدثنا سلَمة بن رجاء ، قال حدثتني شَعْثاء ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بُشِّر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا هشام ، أخبرنا مُجَالِد ، عن الشَّعبي ، أن رجلا قال لرسول الله صلى الله وسلم : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بِمَقْمَعَة معه حتى يغيب في الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أبو جهل بن هشام ، يعذَّب إلى يوم القيامة » .

وقال الأموي في مغازيه : سمعت أبي ، حدثنا المجالِد بن سعيد ، عن عامر ، قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال إني رأيت رجلا جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أبو جهل وكِّل به مَلَكٌ يفعل به كلما خرج ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : قال الزبير : لقيت يومَ بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجَّج لا يُرى منه إلا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذاتِ الكَرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعنزة فطعنته في عينه فمات . قال هشام : فأُخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت ، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل .

وقال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى ، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرَّ به ؛ إنى أراك كأن فى نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلت أباك ؟ إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنى قتلتُ خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحثَ الثَّور بروْقه ، فحُدْتُ عنه وقصد له ابنُ عمه علىّ فقتله .

***

قال ابن إسحاق: وقاتل عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حرْثان الأسدى حليف بنى عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِذْلا من حطب فقال : « قاتل بهذا ياعكاشة » .

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزَّه فعاد سيفا فى يده طويلَ القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمَّى العَوْن ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الأسدى أيام الردة ، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله :

عشية غادرتُ ابن أَقْرَم ثاوياً وعُكَّاشة الغَنْمى عند مجالِ

وقد أسلم بعد ذلك طليحة ، كما سيأتى بيانه .

قال ابن إسحاق : وعُكاشة هو الذى قال حين بَشَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : « اللهم اجعله منهم » .

وهذا الحديث مخرَّج فى الصحاح والحِسان وغيرهما .

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ « منا خيرُ فارسٍ فى العرب » قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال « عُكاشة بن مِحْصن » فقال ضِرار

ابن الأزور : ذاك رجل منا يارسول الله . قال : ليس منكم ، ولكنه منا للحِلْف .

وقد روى البيهقى ، عن الحاكم ، من طريق محمد بن عمر الواقدى ، حدثنى عمر بن عثمان الخشنى ،عن أبيه ، عن عمته، قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفى يومَ بدر فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

وقال الواقدى : وحدثنى أسامة بن زيد ، عن داود بن الُحصَين ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، عِدَّة ، قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريش يوم بدر ، فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده مِن عَراجين ابن ِ طاب [1] فقال : اضرب به . فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جِسْر أبى عبيدة .

ردُّه عليه السلام عينَ قتادة

قال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو سعد المالِينىّ ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدى ، حدثنا أبو يَعْلى ، حدثنا يحيى الحِمّانى ، حدثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغَسِيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدرى أىّ عينيه أصيب !

وفى رواية : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم ابن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

(١) ابن طاب : ضرب من الرطب .

أنا ابنُ الذى سالَتْ على الخدِّ عينُه فرُدَّت بكفِّ المصطفى أيمَّا رَدِّ

فقال عمر بن عبد عبد العزيز رحمه الله عند ذلك ، منشدا قولَ أمية بن أبي الصلت فى سيف بن ذى يزن ، فأنشده عمر فى موضعه حقا :

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

فصل فى قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن صالح ، أخبرنا الفضل بن محمد الشَّعرانى ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، أخبرنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنى رفاعة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه رافع بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبىّ بن خلف ، فأقبلتُ إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه ، قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورُميت بسهم يوم بدر ، ففُقئت عينى ، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى ، فما آذانى منها شىء .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن المنذر .

***

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر ابنه عبدَ الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين لم يُسْلم بعد ، فقال : أين مالى ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يَبْقَ إلا شكَّةٌ ويَعْبوبْ وصارمٌ يَقْتل ضُلال الشِّيبْ

يعنى لم يبق إلا عدة الحرب وحصان وهو اليَعْبوب ، يقاتل عليه شيوخ الضلالة . هذا يقوله فى حال كفره .

وقد روينا فى مغازى الأموى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشى هو

وأبو بكر الصديق بين القتلى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نُفَلِّقُ هاماً » : فيقول الصِّديق :

مِنْ رجالٍ أعِزَّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظْلَما !

ذكر طرح رءوس الكفر فى بئرٍ يوم بدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القَليب ، طُرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمُه] فأقرّوه وألقوا عليه ماغيَّبه من التراب والحجارة .

فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم فقال : « ياأهل القليب، هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقًّا ، فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا ؟ » .

قالت فقال له أصحابه : يارسول الله أتكلم قوماً موتى ؟ !

فقال : « لقد علموا أنّ ماوعدهم ربُّهم حق » .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ماقلتُ لهم . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ النبى صلى الله عليه وسلم رسولَ الله من جوف الليل وهو يقول « ياأهل القَليب ، ياعتبة ابن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، وياأبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم فى القَليب ، هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا .

فقال المسلمون : يارسول الله أتنادى قوما قد جَيَّفوا ؟ .

فقال : « ماأنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، ولـكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » .

وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبى عَدى،عن حميد ، عن أنس . فذكر نحوه . وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أهل القليب بئس عشيرةُ النبي كنتم لنبيكم ، كذَّبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ؛ هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا » .

قلت : وهذا ممـا كانت عائشة رضى الله عنهـا تتأوله من الأحاديث ، كما قد جُمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء ، وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات .

وهذا المقام مما كانت تعارِض فيه قولَه : « وما أنت بِمُسْمِـعٍ مَنْ فى القبور » وليس هو بمعارض له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومَن بعدهم ، للأحاديث الدالة نصًّا على خلاف ماذهبت إليه رضى الله عنها وأرضاها .

وقال البخارى : حدثنا عُبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذُكر عند عائشة أن ابن عمر رفَع إلى النبى صلى الله عليـه وسلم أن الميت يعذَّب فى قبره ببكاء أهله . فقالت: رحمه الله ! إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن » .

قالت : وذاك مثل قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القَليب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ماقال ، قال : إنهم ليسمعون ما أقول . وإنمـا قال : « إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » ثم قرأت : « إنك لا تُسْمع الموتى » و « ما أنت بمُسْمعٍ مَنْ فى القبور » تقول : حين تبوأوا مقاعدهم من النار .

وقد رواه مسلم عن أبى كُرَيب عن أبى أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ماحديث ، كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله .

ثم قال البخارى : حدثنى عثمان ، حدثنا عَبْدَة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ماوعدَ ربكم حقا » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » .

وذُكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق . ثم قرأت : « إنك لا تُسْمع الموتى » حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلم عن أبى كُرَيب ، عن أبي أسامة ، وعن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ، كلاهما عن هشام بن عروة .

* * *

وقال البخارى : حدثنا [1] عبد الله بن محمد ، سمع رَوْحَ بن عُبادة ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة قال : ذَكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صَناديد قريش فقُذفوا فى طَوِيّ [2] من أَطْواء بَدْر خبيثٍ مُخْبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة [3] ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلُها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا مانرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِيّ ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان بن فلان ، ويافلان بن فلان ، يسرُّكم [4] أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وَعد ربكم حقا ! » .

فقال عمر : يارسول الله ماتكلِّم من أجساد لا أرواح فيها ؟

---

(١) البخارى: حدثنى . (٢) الطوى : البئر المبنية بالحجارة (٣) العرصة : الموضع الواسع لا بناء فيه .
(٤) البخارى : أيسركم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمعَ لمَا أقول منهم » .

قال قَتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه توبيخا وتصغيراً ونِقْمةً وحسرةً وندما .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن سعيد بن أبى عروبة .

ورواه الإمام أحمد ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، قال : حدَّث أنس بن مالك. فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة . وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيّفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية ابن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا » .

قال : فسمع عمر صوته فقال : يارسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : « إنك لا تُسْمع الموتى » فقال : « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » .

ورواه مسلم ، عن هُدْبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

* * *

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينب بالكَثِيبِ ... كخطِّ الوَحْىِ فى الورق القَشِيبِ[1]

تداولَها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ ... من الوَسْمِىِّ[2] مُنْهمرٍ سَكُوبِ

فأمْسَى رَسْمُها خَلَقاً وأمسَتْ ... يَبَاباً بعدَ ساكنها الحبيبِ

فدَعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارةَ القلب الكئيبِ[3]

(١) الوحى : الكتابة . (٢) الوسمى : مطر الخريف . (٣) ابن هشام : الصدر الكئيب .

وخـــبِّرْ بالذى لا عَيْب فيه ... بصِدْقٍ غـير إخبار الـكذوبِ
بما صَنع المليكُ غــداةَ بدرٍ ... لنـا فى المشركين من النَّصيبِ
غــداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدَتْ أركانُه جُنْحَ الغــروبِ
فلاقينـــاهمُ منّا بجمعٍ ... كأُسْـدِ الغاب مِردانٍ وشِيبِ
أمامَ محمــــد قد وازروه ... على الأعـداء فى لَفْح الحروبِ
بأيديهمْ صوارمُ مُرْهَفـاتٌ ... وكلُّ مُجَرَّب خاطى الـكُعوبِ
بنو الأَوْس الغطارف وازرَتْها ... بنو النَّجـار فى الدين الصَّليبِ
فغـادرنا أبا جهل صريعـا ... وعُتْبة قد ترَكْنا بالجبوبِ (١)
وشيبةَ قد تركنـا فى رجال ... ذوى حسب إذا نُسبوا حسيبِ
ينـاديهم رسولُ الله لمّـا ... قذفنـاهم كبا كبَ فى القَليبِ
ألم تجـدوا كلامى كان حقًّا ... وأمرُ الله يأخـذ بالقلوبِ
فمـا نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقتَ وكنت ذا رأىٍ مصيبِ

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْقوا فى القَليب أُخذ عتبة بن ربيعة فسُحب فى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغيَّر لونه فقال : « ياحذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء ؟ » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا والله يارسول الله ، ما شـكَـكْتُ فى أبى ولا فى مَصْرعه ، ولـكنى كنت أعرف مِن أبى رأياً وحلماً وفضلا ، فـكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أَصابه ، وذكرت ما مات عليه من الـكفر بعدَ الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك .

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً .

---

(١) الجبوب : وجه الأرض .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « الذين بَدَّلوا نعمة الله كُفراً » قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش،ومحمد نعمة الله : « وأحَلُّوا قومَهم دارَ البوار » قال : النار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قومى الذين همُ آوَوْا نبيَّهم ... وصدَّقوه وأهلُ الأرضِ كفارُ

إلا خصائصَ أقوامٍ همُ سَلَفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصارُ

مستبشرين بقَسْمِ الله قولَهم ... لمّا أتاهم كريمُ الأصل مختارُ

أهلاً وسهلا ففى أَمْنٍ وفى سعةٍ ... نعم النبىُّ ونعم القَسْم والجارُ

[فأنزلوه بدار لا يُخاف بها ... من كان جارهُم دارا هى الدار[1]]

وقاسَموهم بها الأموالَ إذ قَدِموا ... مهاجرين وقَسْمُ الجاحد[2] النارُ

سِرْنا وساروا إلى بدر لحَيْنِهم ... لو يعلمون يقينَ العلم ماساروا

والاهمُ[3] بغرورٍ ثم أسْلَمهم ... إن الخبيث لمن والاه غَرَّارُ

وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدهم ... شرَّ الموارد فيه الخزىُ والعارُ

ثم التقينا فولَّوا عن سَراتهم ... مِنْ مُنْجدين ومنهم فرقةٌ غارُوا

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بكر وعبد الرزاق ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له : عليك العير ليس دونها شىء . فناداه العباس وهو فى الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال : لم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ماوعدك .

* * *

---

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : الجاهل . وما أثبته عن ابن هشام

(٣) ابن هشام : دلاهم

وقد كانت جملة مَن قُتل من سَراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة .

وكان قَدَرُ الله السابق فيمن بَقى منهم أنْ سيُسْلم منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم ملَكا واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قَتلوا من لا خير فيه بالكلِّية .

وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائنَ قوم لوط ، وكنَّ سَبْعا فيهن من الأمم والدواب والأراضى والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنانَ السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التى سوِّمت لهم . كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط .

وقد شرع الله جهادَ المؤمنين للكافرين ، وبيّن تعالى حكمه فى ذلك فقال : « فإذا لقيتم الذين كَفروا فضَرْبَ الرِّقاب ، حتى أَثْخَنْتموهم فشُدُّوا الوَثاق فإمّا مَنًّا بعدُ وإما فداءً ، حتى تَضع الحربُ أَوْزارَها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصرَ منهم ولكن لِيَبْلو بعضَكم ببعض » (١) الآية . وقال تعالى : « قاتِلوهم يُعذِّبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم ويَنْصركم عليهم ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين . ويُذْهب غيظَ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء » (٢) الآية .

فكان قتلُ أبى جهل على يدى شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقَف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له : لقد رقيتَ مرتقًى صعبا يارُوَيْعى الغنم . ثم بعد هذا حَزَّ رأسَه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله .

---

(١) سورة محمد ٤ .

(٢) سورة التوبة ١٤، ١٥ .

فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغَ من أن تأتيه صاعقة أو أن يَسْقط عليه سقفُ منزله أو يموت حتف أنفه ! والله أعلم .

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قُتل يوم بدر مع المشركين ، ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقيــة منهم ، لأنه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه ، جماعة منهم : الحارث بن زَمْعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] (١) وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن مُنَبه بن الحجاج .

قال : وفيهم نزل قوله تعالى : « إن الذين توَفاهم الملائكةُ ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم . قالوا : كنا مُسْتَضْعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » (٢) .

وكان جملة الأسارَى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عَقِيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كلُّ مَنْ مَلَكَ ذا رحم مَحْرم يَعْتق عليه ، وعارضوا به حديثَ الحسن ، عن ابن سمرة فى ذلك . فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من ابن هشام .

(٢) سورة النساء ٩٧ .

فصـــــل

وقد اختلف الصحابة فى الأسارى : أيُقتلون أو يُفادون على قولين .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، عن حُميد، عن أنس ، وذُكر رجل ، عن الحسن ، قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى الأسارى يوم بدر فقال: « إن الله قد أمكنكم منهم » .

قال : فقام عمر فقال: يارسول الله اضرب أعناقهم ، قال : فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد النبى فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال : يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء .

قال : فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم وقَبل منهم الفداء .

قال وأنزل الله تعالى : « لولا كتابٌ من الله سبَق لمسَّكم » الآية .

انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه وكذا علىّ ابن المَدِيْنى وصحَّحه، من حديث عِكْرمة بن عمار ، حدثنا سِماكٌ الحنفى أبو زُمَيل ، حدثنى ابن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمئة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة .

فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا .

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليّا وعمر ، فقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفديةَ ،

فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزةَ من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هَوداة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

فهَوِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ولم يَهْوَ ماقلت وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما يبكيان فقلت : يارسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيتُ ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للذى عَرض علىّ أصحابُك مِنْ أَخْذهم الفداء ، قد عُرض علىّ عذابُكم أدنَى من هذه الشجرة » . لشجرة قريبة .

وأنزل الله تعالى : « ما كان لنبىٍّ أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن فى الأرض ، تريدن عرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتابٌ مِن الله سبَق لمسّكم فيما أخذتم » من الفداء ، ثم أحلّ لهم الغنائم. وذكر تمام الحديث .

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ قال : فقال أبو بكر : يارسول الله قومُك وأهلك استَبْقهم واسْتَأْنِ بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يارسول الله أخرجوك وكذبوك ، قرِّبهم فاضرب أعناقهم .

قال : وقال عبد الله بن رَواحة : يارسول الله انظر وادياً كثيرَ الحطب فأدْخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يردّ عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس: يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال : « إن الله ليلين قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَن من اللّين وإن الله ليشد قلوبَ رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : « فمن تَبِعنى فإنه منِّى ومَن عَصانى فإنك غفور رحيم » ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : « إنْ تعذِّبهم فإنهم عبادُك ، وإنْ تَغفر لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيم » وإن مثلك ياعمر كمثل نوح قال : « ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ من الكافرين دَيَّارا » وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال : « ربَّنا اطمسْ على أموالهم واشدُدْ على قلوبهم فلا يُؤمنوا حتى يروا العذابَ الأليم » أنتم عالة فلا يبقينَّ أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله : فقلت : يارسول الله إلا سُهيل بن بيضاء فإنى قد سمعته يذكر الإسلامَ . قال : فسكت .

قال : فما رأيتنى فى يومٍ أخوفَ أنْ تقع علىّ حجارة من السماء من ذلك اليوم . حتى قال : « إلا سهيلَ بن بيضاء » .

قال : فأنزل الله : « ما كان لنبى أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِنَ فى الأرض ، تريدون عرضَ الدنيا والله يريد الآخرةَ والله عزيز حكيم ، لولا كتابٌ من الله سبق لمسَّكم » إلى آخر الآيتين .

وهكذا رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى معاوية ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبى هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى بنحوه .

وقد روى ابن مردويه والحاكم فى المستدرك ، من حديث عبيد الله بن موسى ،

حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أُسر العباس فيمن أسر ، أسَره رجل من الأنصار . قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنى لم أَنم الليلة من أجل عمى العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر : أفآتيهم؟ قال : نعم .

فأتى عمر الأنصارَ فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإنْ كان لرسول الله رضاً ؟ قالوا فإن كان له رضا فخُذْه . فأخذه عمر ، فلما صار فى يده قال له عمر : ياعباس أسْلم ، فوالله لئن تُسْلم أحبّ إلى من أن يسلم الخطّاب . وماذاك إلا لمـاَ رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

قال : واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشيرتُك فأرسلْهم . واستشار عمر فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ما كان لنبيٍّ أَنْ يكون له أَسْرَى حتى يُثْخن فى الأرض » الآية .

ثم قال الحاكم فى صحيحه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث سفيان الثورى ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن على ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : خيِّر أصحابك فى الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلا منهم مثلهم . قالوا : الفداء أو يقتل منا .

وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة . والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله : « لولا كتابٌ من الله سبَق لمسَّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم » يقول : لولا أنى لا أعذِّب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وهكذا روى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أيضا . واختاره ابن إسحاق وغيره .

وقال الأعمش : سبَق منــه ألا يعذِّب أحداً شهد بدراً . وهكذا روى عن سعد بن أبى وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح .

وقال مجاهد والثورى : « لولا كتابٌ من الله سبَق » أى لهم بالمغفرة .

وقال الوالبىّ : عن ابن عباس ، سبق فى أُمّ الـكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لـكم ، ولهذا قال بعده : « فـكُلوا مما غَنمتم حلالاً طيِّبا » .

وهـكذا روى عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن جُبير وعطاء والحسن وقَتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير .

وقد ترجَّح هذا القول بما ثبت فى الصحيحين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلى ؛ نُصرت بالرعب مَسيرة شهر ، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وحَلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قَبْـلى ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » .

وروى الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « لم تحل الغنائم لسُود الرءوس غيرنا » .

ولهذا قال تعالى : « فـكُلوا مما غَنِمْتم حلالاً طيِّبا » فأذِن الله تعالى فى أكل الغنائم وفداء الأسارى .

وقد قال أبو داود : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العَبْسى ، حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة ، عن أبى العَنْبس ، عن أبى الشّعْثاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقلَّ ما فودى به أحدٌ منهم من المـال ، وأكثر ما فُودِى به الرجلُ منهم أربعة آلاف درهم .

* * *

وقد وعد الله من آمَن منهم بالخلَف عما أُخذ منه فى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : « يا أيها النبىُّ قل لِمن فى أيديكم من الأَسْرى إنْ يَعْلَمِ الله فى قلوبكم خيراً يُؤْتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفر لكم » الآية .

وقال الوالبىّ ، عن ابن عباس ، نزلت فى العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب . قال العباس : فآتانى الله أربعين عبداً . يعنى كلهم يتجر له . قال : وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد[1] ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : لما أمسَى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبى صلى الله عليه وسلم ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : سمعت أنينَ عمى العباس فى وثاقه » فأطلَقوه ، فسكت ، فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان رجلا موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه عَقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فِهْر ، كما أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى أنه كان قد أسلم ،فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادَّعى أنه لا مال عنده .

قال : « فأين المال الذى دفنته أنت وأمّ الفضل وقلت لها : إنْ أُصبت فى سفرى فهذا لبنىّ الفضل وعبد الله وقثم ؟ » .

فقال : والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إنّ هذا شىء ما عَلمه إلا أنا وأم الفضل .

رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة ، قال الزهرى : حدثنى أنس

(١) الأصل : معقل . وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى المدنى .

ابن مالك ، قال : إن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا إيذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تَذَرُون منه درهما » .

قال البخاري : وقال ابراهيم بن طَهْمان ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُوتى بمال من البحرين فقال : « انثروه فى المسجد » فكان أكثَرَ مالٍ أُتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه العباس فقال : يارسول الله أعطنى ، إنى فاديت نفسى وفاديتُ عقيلاً . فقال : خذ. فحثا فى ثوبه ، ثم ذهب يقلّه فلم يستطع ، فقال مُرْ بعضَهم يرفعه إلىّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علىّ . قال : لا . فنثَر منه ثم ذهب يقلّه فلم يستطع ،فقال: مُرْ بعضَهم يرفعه إلىّ .قال : لا .قال: فارفعه أنت علىّ . قال : لا.فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يُتْبِعه بصرَه حتى خَفِى علينا عجباً من حرصه !

فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثَمَّ منها درهم .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدى ، قال : كان فداء العباس وابنى أخويه عَقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كلُّ رجل أربعمائة دينار ، ثم توعَّد تعالى الآخرين فقال : « وإنْ يريدوا خيانتَك فقَدْ خانوا الله مِنْ قَبْلُ فأمْكَن منهم والله عليمٌ حكيم » .

فصـــل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد فى غير ماحديث ممـا تقدم وسيأتى إن شاء الله ، وكما فى حديث البراء بن عازب فى صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قُتل يومَ بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار

ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسر منهم تسعة وثلاثون .

هكذا رواه البيهقى عنه .

قال : وهكذا ذكر ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، فى عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا أربعة من قريش وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا .

وقال فى موضع آخر : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقى ، من طريق أبى صالح ، كاتب الليث ، عن الليث ، عن عُقَيل ، عن الزُّهرى ، قال : وكان أول قتيل من المسلمين مِهْجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار وقتل يومئذ من المشركين زيادةٌ على سبعين ، وأُسر منهم مثل ذلك .

قال : ورواه ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : قال البيهقى : وهو الأصح فيما رويناه فى عدد من قُتل من المشركين وأُسر منهم.

ثم استدلّ على ذلك بما ساقه هو والبخارى أيضا من طريق أبى إسحاق ، عن البَراء ابن عازب ، قال : أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أُحد عبدَ الله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين . وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسير ، وسبعين قتيلا .

قلت : والصحيح أن جملة المشركين كانوا مابين التسعمائة إلى الألف .

وقد صرَّح قَتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وكأنه أخذه من هذا الذى ذكرناه . والله أعلم .

وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول ، لقوله عليه السلام « القومُ مابين التسعمائة إلى الألف » .

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى ، أسمائهم إن شاء الله .

وتقدم فى حديث الحكم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسُّدى الكبير وأبو جعفر الباقر .

وروى البيهقى ، من طريق قتيبة ، عن جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عبدالله بن مسعود فى ليلة القدر ، قال : « تحرُّوها لإحدى عشرة بَقِين فإن صبيحتها يوم بدر » .

قال البيهقى : وروى عن زيد بن أرقم ، أنه سئل عن ليلة القدر فقال : ليلة تسع عشرة ما شك . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقى : والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السَّماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصارى عن يوم بدر ، فقال : إما لسبع عشرة خلَتْ ، أو ثلاث عشرة خلت ، أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت .

وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قُباث بن أَشْيم الليثى ، من طريق الواقدى

وغـيره بإسنادهم إليه ، أنه شهد يوم بدر مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وجعلت أقول فى نفسى : ما رأيت مثل هــذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بالسِّهاء(١) ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد . وقد وقع فى نفسى الإسلام، قال : فقدمتها فسألت عنه ، فقالوا : هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه . فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلمت فقال : يا قباث بن أَشْيَمَ ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منــه إلا النساء ؟ فقلت : أشهــد أنك رسول الله فإن هــذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ولا تزمزمت به ، إلا شيئاً حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك عليــه ، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت(٢)] .

فصـــــــل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بــدر فى المغانم من المشركين يومئذ لمن تــكون منهم .

وكانوا ثلاثة أصناف حين ولَّى المشركون : ففرقة أَحْدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه ، خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه .

وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون .

وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن .

فادَّعى كلُّ فريق من هؤلاء أنه أحقُّ بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغـيره عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبى أمامة الباهلى قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفل وساءت فيــه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا

---

(١) السهاء : جمع سهوة . وهى القوس المواتية . (٢) سقط من ا .

فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بين المسلمين عن بواء . يقول : عن سواء.

وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : « على البواء » أى ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتبعوا العدو ، وبين الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها

ولا ينفى هذا تخميسَها وصرف الخُمس فى مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء ، منهم أبو عبيدة وغيره ، والله أعلم . بل قد تنفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار من مغانم بدر .

قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملا لأبى جهل كان فى أنفه بُرَةٌ من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبى سَلاَّم ، عن أبى أمامة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبَّت طائفة على المَغْنَم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غِرَّةً فاشتغلنا به . فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بَيْنِكم وأطيعوا الله ورسولَه إن كنتم مؤمنين » .

فقسمها رسول الله بين المسلمين : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار فى أرض العدو نفَل الربع ، فإذا أقبل راجعا نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى الترمذى وابن ماجه ، من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذى : هـذا حـديث حسن . ورواه ابن حبان فى صحيحه والحـاكم فى مستدركه من حديث عبـد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

وقـد روى أبو داود والنسـائى وابن حبان والحاكم من طرق ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صَنع كذا وكذا فله كذا وكذا . فسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات،فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم ، قال الشيوخ : لا تستأثروا علينـا ، فإنا كنا ردْءا لـكم لو انـكشفتم لفئتم إلينـا . فتنـازعوا ، فأنزل الله تعـالى : « يسألونك عن الأنفالِ ، قل الأنفـالُ لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينـكم وأطيعوا الله ورسولَه إنْ كنتم مؤمنين » .

وقد ذكرنا فى سبب نزول هـذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هاهنا

ومعنى الـكلام : أن الأنفال مَرْجعها إلى حـكم الله ورسوله يحـكمان فيها بما فيـه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : « قل الأنفالُ لله والرسولِ فاتقوا الله وأصْلحوا ذاتَ بَيْنـكم وأَطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين » .

ثم ذكر ماوقع فى قصة بدر ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : « واعلموا أنَّ ماغَنمتم من شىء فأنّ لله خُمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحـكم الله فى الأنفال الذى جعل مردَّه إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبيَّنه تعالى وحـكَم فيـه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد .

وقـد زعم أبو عُبيد القاسم بن سَلاَم رحمـه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم

قسم غنائم بدر على السَّواء بين الناس ، ولم يخمِّسها . ثم نزل بيان الخُمْس بعد ذلك ناسخا لما تقدم .

وهكذا روى الوالبيّ ، عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسُّدى ، وفى هذا نظر . والله أعلم . فإن فى سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر ، فيقتضى أن أن ذلك نزل جملةً فى وقت واحد غيرِ متفاصل بتأخر يقتضى نَسْخَ بعضه بعضاً .

ثم فى الصحيحين عن على رضى الله عنه ؛ أنه قال فى قصة شارِفَيه اللذين اجتَبَّ أَسْنِمتهما حمزة ، أن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ، مايردُّ صريحا على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمَّس . والله أعلم . بل خمِّست كما هو قول البخارى وابن جَرير وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح . والله أعلم .

فصل

فى رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ، وما كان من الأمور فى مسيره إليها مؤيَّداً منصوراً ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة ثلاثةَ أيام ، وقد أقام عليه السلام بعَرْصة بَدْر ثلاثةَ أيام كما تقدم ، وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قَليب بدر ، فقرع أولئك الذين سُحبوا إليه كما تقدم ذكره .

ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالى المدينة ، والثانى زيد بن حارثة إلى السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوَّينـا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قـد احتبس عنـدها يمرِّضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره فى بدر .

قال أسامة : فلما قدِم أبي زيدُ بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى وقـد غشيه الناس وهو يقول :قُتل عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البَخْترى العاص بن هشام ، وأميـة بن خلف ، ونُبيه ومُنَبّه ابنا الحجاج . قال : قلت : ياأبة أحقٌّ هذا ؟ قال : إى والله يابنى .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيـه ، عن أسامة ابن زيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمانَ وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيدُ بن حارثة على العَضْباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبِشارة ، قال أسامـة : فسمعت الهَيْعة فخرجت ، فإذا زيد قـد جاء بالبشارة ، فوالله ماصدَّقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله صلى الله عايه وسلم لعثمان بسهمه .

* * *

وقال الواقدى : صـلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم مرجعـه من بدرٍ العصرَ بالأُثيل ، فلما صلى ركعة تبسَّم ، فسُئل عن تبسمه فقال : يرى ميكائيل وعلى جناحه النّقْع فتبسم إلىّ وقال : إنى كنت فى طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عَصم ثَنْيَيْه الغبار فقال : يامحمـد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى ألاَّ أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : نعم.

قال الواقدى : قالوا : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وعبدَ الله ابن رواحة من الأُثيل فجاءا يوم الأحد حين اشـتد الضحى ، وفارق عبدُ الله بن رواحة زيدَ بن حارثة من العَقِيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته : يامعشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَتْل المشركين وأسرهم ، قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زَمعة بن الأسود، وأمية بن خلف،وأُسر سهيل بن عمرو.

قال عاصم بن عَدى:فقمت إليه فنَحوْته فقلت : أحقًّا يابن رواحة ؟ فقال: إى والله، وغداً يَقْدَم رسولالله صلى الله عليه وسلم بالأسرى مُقَرَّنين . ثم تتبَّع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً ، والصبيان ينشدون معــه يقولون : قُتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدمزيد بن حارثة على ناقة رسولالله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البَخْتَرى وَزمْعة بن الأسود ، وأُسِر سهيل ابن عمرو ذو الأنياب ، فى أَسْرى كثير .

فجعل بعض الناس لايصدقون زيداً ويقولون : ماجاء زيد بن حارثة إلا فَلاًّ[1] حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا .

وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبــكم ومن معه . وقال آخر لأبى لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لايجتمعون فيه أبداً ،وقد قُتل عليه أصحابه،قُتل محمد ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لايدرىماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاًّ . فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك. وقالت اليهود : ماجاء زيد إلا فلاًّ .

قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبى فقلت : أحــق ما تقول ؟ فقال: إى والله حق ماأقول يابنى .

فقويت نفسى ، ورجعت إلى ذلك المنــافق فقلت : أنت المرجــف برسول الله وبالمسلمين لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضرِبن عنقك . فقال : إنما هو شىء سمعته من الناس يقولونه .

قال : فجىء بالأسرى وعليهم شقرانُ مولَى رسول الله صل الله عليه وسلم ، وكان قد شهد معهم بذراً ، وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أُحْصُوا .

---

(١) فلا : منهزما .

قال الواقدى : وهم سبعون فى الأصل مُجْتَمعٌ عليه لا شك فيه .

قال : ولقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الرَّوحاء رءوسَ الناس يهنِّئون بما فتح الله عليه . فقال له أُسَيد بن الُحضَير : يارسول الله الحمد لله الذى أظفَرَك وأقرَّ عينك ، والله يارسول الله ما كان تخلُّفى عن بدر وأنا أظن أنك تَلْقَى عدواً ، ولكن ظننت أنها عِيرٌ ، ولو ظننتُ أنه عدوٌّ ماتخلفتُ .

فقال له رسول الله : « صدَقْتَ » .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الأسارى ، وفيهم عُقبة بن أبى مُعيط ، والنضر بن الحارث ، وقد جعل على النَّفل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار .

فقال راجز من المسلمين . قال ابن هشام : [يقال إنه] هو عدى بن أبى الزَّغْباء :

أَقِمْ لهــا صدورَهـا يابَسْبَس ... ليس بذى الطَّلْح لها مُعَرَّسُ(١)

ولا بصحراءِ عُمَيْرٍ مَحْبَسُ ... إنّ مطـايا القوم لا تُحَبَّسُ

فَحَمْلُها على الطريقِ أَكْيَسُ ... قد نَصر الله وفَرَّ الأَخْنَسُ

قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَرٍ إلى سَرْحة به ، فقَسم هنالك النفلَ الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وَقْش ، كما حدثنى عاصم بن عمر ويزيد بن رومان : ما الذى تهنئوننا به ؟! والله إنْ لقينا إلاعجائز صُلْعا كالبُدْن المعقّلة فنحرناها .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أىْ ابنَ أخى أولئك الملأ » .

---

(١) معرس : مقام .

قال ابن هشام : يعنى الأشرافَ والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفراء قُتل النَّضر ابن الحارث ، قتله على بن أبي طالب ، كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبية قُتل عقبة بن أبى معيط .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمَنْ للصِّبْية يامحمد ؟ قال : « النار ! » .

وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

وكذا قال موسى بن عُقْبة فى مغازيه ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره .

قال : ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت قال : يامعشر قريش ، علام أُقْتل مِن بين مَنْ هاهنا ؟

قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب ، عن الشَّعبى ، قال : لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال : أتقتلنى يامحمد من بين قريش ؟

قال : نعم أتدرون ماصَنع هذا بى ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينىّ ستَنْدران ، وجاء مرةً أخرى بسَلا شاة فألقاه على رأسى وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى .

قال ابن هشام : ويقال بل قَتل عُقْبةَ علىٌّ بن أبى طالب ، فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله ، وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله . لعنهما الله ، وقد فعل !

قال ابن هشام : فقالت قُتَيلة بنت الحارث ، أخت النَّضْر بن الحارث ، فى مقتل أخيها[1]

يا راكباً إنّ الأُثيلَ[2] مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ
أبلغْ بها مَيْتاً بأن تحيةً ... ما إنْ تزالُ بها النجائبُ تخفقُ
منّى إليك وعَبْرةً مسفوحةً ... جادَتْ بوابلها وأخرى تَخْنُقُ
هل يَسمعنَّ النَّضْرُ إنْ ناديته ... أم كيف يَسمع ميِّتٌ لا يَنْطقُ
أمحمدٌ ياخيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... مِنْ قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرَقُ[3]
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المُحْنَقُ
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلَيُنْفقَن ... بأعزِّ ما يغلو به ما يُنْفقُ[4]
والنضر أقربُ مَنْ أسرتَ قرابةً ... وأحقُّهم إنْ كان عِتقٌ يُعتَقُ
ظلَّت سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لله أرحامٌ هنالك[5] تُشَقَّقُ
صَبْراً يقاد إلى المنيةِ مُتْعباً ... رَسْفَ المُقَيَّدِ وهو عانٍ موثقُ

قال ابن هشام : ويقال ، والله أعلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قَتْله لَمَنَنْتُ عليه ! » .

***

قال ابن إسحاق : وقد تلقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع أبو هند مولى فَروة بن عمرو البَيَاضى حَجَّامه عليه السلام ، ومعه زِقٌّ خمر[6] مملوء حَيْساً ،

---

(١) ابن هشام تبكيه . (٢) الأثيل ، موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء .
(٣) الضئ : الأصل . وتروى : ضنء . والمعرق الكريم (٤) الأغانى ١/١٩ :

لو كنت قابل فدْية فلَنأْتِيَنْ ... بأعزِّ ما يَغلو لديْك ويُنْفقُ

(٥) ابن هشام : هناك (٦) ابن هشام : ولقى رسول الله .. بحميت مملوء حيسا . والحميت : الزق

وهو التمر والسَّويق بالسمن ، هـدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منه ووصى به الأنصار .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى قَدِم المدينةَ قَبل الأسارى بيوم .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى نبيه بن وهب أخو بنى عبد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيراً » .

قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى ، قال أبو عزيز : مرَّ بى أخى مُصْعَبُ بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى فقال : شُدَّ يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تَفْديه منك .

قال أبو عزيز : فكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصُّونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردُّها فيردها علىّ ما يمسُّها !

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هـذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبى اليُسْر ، وهو الذى أسَره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخى هذه وصاتك بى ! فقال له مُصْعَب : إنه أخى دونك .

فسألتْ أمُّه عن أغْلَى مافُدِى به قُرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدَتْه بها .

قلت : وأبو عزيز هـذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير فى غابة الصحابة ، وعدَّه خليفةُ بن خَياط فى أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لهما أخ آخر

لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير ، وقد غَلِط مَنْ جعله قُتـل يوم أحد كافراً ، ذاك أبو عَزة ، كما سيأتى فى موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة قال : قُدم بالأسارى حين قدم بهم وسَوْدة بنت زَمْعة زوج النبى صلى الله عليـه وسلم عند آل عَفْراء فى مناحتهم على عوف ومعوّذ ابنى عفراء ، قال : وذلك قبـل أن يُضْرب عليهن الحجابُ . قال : تقول سودة : والله إنى لَعندهم إذ أُتينا فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتى ورسول الله صـلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فلا والله ما ملَـكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أنْ قلت : أَىْ أبا يزيد ، أعْطيتم بأيديكم ، ألا مِتّم كراما ؟ !

فوالله ماأنْـبَهنى إلا قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن البيت : « ياسَوْدَة أعلى الله وعلى رسوله تحرِّضين ! ! » قال : قلت : يارسول الله والذى بعثك بالحق ماملَـكْت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أنْ قلتُ ماقلتُ .

ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ماسيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد ، من كيفية فدائهم وكميته . إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشى بوقعة بدر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو القاسم عبـد الرحمن بن عبيد الله الُحرْفِىّ ببغداد ، حدثنا أحمد بن سلمان النَّجاد ، حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا ، حدثنى حمـزة بن العباس ، حدثنا عَبْدان بن عثمان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا عبـد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، عن عبـد الرحمن ، رجل من أهـل صنعاء ، قال : أرسل النجاشى ذات يوم إلى

جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب .
قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما فى وجوهنا قال : إنى أبشّركم بما يسُرُّكم ، إنه جاءنى مِن نحو أرضكم عينٌ لى فأخبرنى أن الله قد نصر نبيَّه وأهلك عدوَّه وأُسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بَدْر كثير الأَراك كأنى أنظر إليه ، كنت أرعى لسيدى رجل من بنى ضَمْرة إبله .

فقال له جعفر : مابالك جالساً على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقًّا على عباد الله أن يُحْدِثوا لله تواضعا عندَ ما يُحْدث لهم مِنْ نعمة . فلما أحدث الله لى نصرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثتُ له هذا التواضع [١] .

فصل فى وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا له : ماوراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأمية بن خلف ، وزَمْعة بن الأسود ، ونُبَيه ومُنَبِّه ، وأبو البَخْتَرِى ابن هشام .

فلما جعل يعدد أشرافَ قريش قال صفوان بن أمية : والله لن [٢] يعقل هذا ، فسَلُوه عنى . فقالوا : مافعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحِجْر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعُقرت خيولٌ كثيرة ورواحل .

---

(١) يبدو على هذا الخبر الافتعال والصنعة . وفى سنده من هو مجهول الحال . وأبو القاسم الحرفى كان مضطرب السماع .
(٢) ابن هشام : والله إن يعقل .

وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أزارَ الحنيفيون بَدْراً وقيعة ... سينقَضُّ منها رُكنُ كسرى وقيصَرا

أبادَت رجالا من لؤيٍّ وأبرزت ... خرائدَ يضربن الترائبَ حُسَّرَا

فياويح من أمسى عدوَّ محمـدٍ ... لقد جار عن قَصْد الهُدَى وتحـيَّرَا

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومَه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرقٍ في قومه . وكان أبو لهب قد تخلَّف عن بدر فبعث مكانه العاصَ ابن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا .

فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً ، قال : وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشَرٍّ حتى جلس على طُنُب (١) الحجرة فكان ظهره إلى ظَهري ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ، واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِم . قال : فقال أبو لهب : هلم إليَّ ، فعندك لَعمري الخبر .

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرْني كيف كان أمر الناس ؟

قال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنَحْناهم أكتافَنا يقتلوننا كيف شاءوا ،

(١) الطنب : الطرف .

ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لَقينا رجالاً بِيضاً على خيل بُلْق بين السماء والأرض ، والله ما تُليق(١) شيئا ولا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع : فرفعت طُنُب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك والله الملائكة !

قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال وثاوَرْته(٢) فاحتملني وضرب بى الأرض ثم برك علىّ يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفْته أنْ غاب عنه سيدُه !

فقام موليًا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة(٣) فقتلته .

زاد يونس عن ابن إسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتَن . وكانت قريش تتقى هذه العدسةَ كما تتّقى الطاعون ، حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه ؟ فقالا : إنا نخشى عدْوة هذه القرحة ، فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ما يدْنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة .

[قال يونس عن ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها كانت لا تمرُّ على مكان أبى لهب هذا إلا تستَّرت بثوبها حتى تَجُوز(٤)] .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد قال: ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا :

---

(١) تليق : تبقى . (٢) ثاورته : واثبته . وفى ا : بادرته .

(٣) العدسة : قرحه قاتلة كانت تتشاءم بها العرب . (٤) سقط من ا .

لا تفعلوا يبلغ [١] محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسْرا كم حتى تستأْنسوا بهم لا يَأْرب[٢] عليكم محمد وأصحابه فى الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت وهو ترْكهم النوحَ على قتلاهم ، فإن البكاء على الميت مما يبلُّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زَمْعة وعَقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى على بنيه قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ، وكان قد ذهب بصره ، انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعَلِّى أبكى على أبى حَكيمة ، يعنى ولدَه زَمْعة ، فإن جوفى قد احترق !

قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلَّته . قال : فذاك حين يقول الأسودُ :

أتبْكى أنْ أُضِلَّ[٣] لها بعيرٌ	ويَمْنعها مِن النوم السُّهودُ
فلا تبْكى على بَكْرٍ ولكنْ	على بَدْرٍ تقاصَرت الُجدودُ[٤]
على بَدْرٍ سَراة بنى هُصَيْص	ومخزومٍ ورهطِ أبى الوليدِ
وبَكِّى إنْ بكيتِ أبا عَقيلٍ[٥]	وبَكى حارثاً أسدَ الأُسودِ
وبَكِّيهم ولا تَسَمى جميعاً	وما لأبى حَكيمة مِن نَديدِ[٦]
ألا قد سادَ بعدهمُ رجال	ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودوا[٧]

(١) ابن هشام : فيبلغ . (٢) لا يأرب : لا يشتد . (٣) ابن هشام : أن يضل .
(٤) البكر . الفتى من الإبل . والجدود : الحظوظ . (٥) ابن هشام : على عقيل .
(٦) تسمى : تسامى . والنديد . الشبيه . (٧) هنا إقواء .

فصـــل

فى بَعْث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسراهم

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو وَداعة بن ضُبَيرة السَّهمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له بمكة ابنا كيِّسا تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجَلوا بفداء أسراكم لا يأْرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطَّلب بن أبى ودَاعة ، وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنَى : صدَقتم لا تَعْجَلوا . وانسلَّ من الليل وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هـذا أول أسير فُدى ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم فقدم مِكْرَز ابن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدُّخْشُم أخو بنى سالم بن عوف ، فقال فى ذلك :

أسرتُ سُهَيلاً فلا أبتغى ... أسيراً به مِنْ جميعِ الأُممْ

وخِندِفُ تَعْلم أنّ الفتى ... فتاها سُهيلٌ إذا يُظَّـلَمْ

ضربت بذى الشَّفْر حتى انثنَى ... وأكرهت نفسى على ذى العَلم

قال ابن إسحاق : وكان سهيل رجلا أعْلَم من شفته السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى ، أن عمر ابن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنى أنزع ثَنيَّة سهيل بن عمرو يَدْلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثِّل به فيمثِّل الله بى وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل مُعْضَل .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذى قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاقُ بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس وثبّتهم على الدين الحنيف . كما سيأتى فى موضعه .

قال ابن إسحاق : فلما قاولهَم فيه مِكْرز وانتهى إلى رضائهم ، قالوا : هات الذى لنا . قال : اجعلوا رِجْلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم .

وأنشد له ابن إسحاق فى ذلك شعراً أنكره ابن هشام ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : وكان فى الأسارى عمرو بن أبى سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق: وكانت أمه بنت عقبة بن أبى مُعيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبى معيط .

قال ابن هشام : وكان الذى أسره على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال : فقيل لأبى سفيان : افْدِ عَمْراً ابنك ، قال : أيجتمع علىَّ دمى ومالى ! قَتلوا حنظلةَ وأفْدِى عَمراً ؟ دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أَكَّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية ، معتمراً ومعه مُرَيَّة[1] له ، وكان شيخا مسلما ، فى

(١) مرية : تصغير امرأة .

غنم له بالبقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يُحْبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهدُ قريش أنّ قريشا لا يَعْرِضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدَا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، وقال فى ذلك :

أرهْطَ ابن أكالٍ أجيبوا دعاءه ... تعاقدتمُ لا تُسْلموا السَّيدَ الكَهْلاَ

فإنّ بَنى عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئنْ لم يكُفُّوا[1] عن أسيرهم الكَبْلاَ

قال : فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعدٌ يومَ مكة مُطْلَقا ... لأَكْثَرَ فيكم قبلَ أن يُؤْسَر القَتْلاَ

بعَضْبٍ حُسَام أو بصفراء نَبْعةٍ ... تحنُّ إذا ما أُنْبضَتْ تَحْفِزُ النَبْلاَ[2]

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبى ، فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيلَ سعد .

* * *

قال ابن إسحاق: وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ، خَتن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذى أسره خِراش بن الصِّمة أحد بنى حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالةُ بنت خُويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هى التى سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها ، وذلك قبلَ الوحى .

وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ، أو أم كلثوم ، من عتبة بن أبى لهب ، فلما جاء الوحى قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه . وأمَر ابنه عتبة فطلّق ابنة رسول الله صلى

---

(١) وتروى : يفكوا .

(٢) الصفراء : القوس . والنبع : شجر تصنع منه القسى . تحن : يصوت وترها . أنبضت : حركت .

الله عليه وسلم قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومشوا إلى أبى العاص فقالوا : فارقْ صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت . قال : لا والله إذاً لا أفارق صاحبتى وماأحب أن لى بامرأتى امرأةً من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى .

قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح ، كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايُحِلُّ بمكة ولا يُحرِّم ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى العاص ، وكان لايقدر على أن يفرِّق بينهما .

قلت : إنما حرَّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بِقِلَادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رقةً شديدة وقال : « إنْ رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرَها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا : نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

* * *

قال ابن إسحاق : فكان ممن سمى لنا ممن مَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بنى أمية : أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المُطَّلب بن حَنْطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أَسَره بعضُ بنى الحارث بن الخزرج ، فتُرك فى أيديهم حتى خلّوا سبيله فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلِّى

سبيل زينب ، يعنى أن تهاجر إلى المدينة ، فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ها هنا فأخَّرناه لأنه أنسب . والله أعلم .

وقد تقدم ذِكْر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم نفسَه وعَقِيلا ونوفلا ابنى أخويه بمائة أوقية من الذهب .

وقال ابن هشام : كان الذى أسر أبا العاص أبو أيوب خالد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وصَيْفِى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك فى أيدى أصحابه ، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يَفِ لهم . قال حسان بن ثابت فى ذلك :

ما كان صَيْفِى ليُوفى أمانةً قَفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارِدِ

قال ابن إسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات ، قال : يارسول الله لقد عرفتَ مالى من مالٍ ، وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنُن على ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك :

مَنْ مُبْلغٌ عنى الرسولَ محمداً بأنك حقٌّ والمليكُ حَميدُ

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك مِن الله العظيمِ شهيدُ

وأنت امرؤ بوئت فينا مَباءةً لها درجاتٌ سَهْلة وصعودُ

فإنك مَنْ حاربته لَمُحَارب شقىٌّ ومَنْ سالمته لسعيدُ

ولكن إذا ذُكِّرْتُ بَدْراً وأهلَا تأوَّب ما بى حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع إليهم ، فلما كان يوم أحد أسر أيضاً ، فسأل من النبى صلى الله عليه وسلم أن يمنَّ عليه أيضاً فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا أدعك تمسح عارضَيْك وتقول : خدعت محمدا مرتين ! » ثم أمر به فضربت . عنقه كما سيأتى فى غزوة أحد .

ويقال : إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرتين » وهذا من الأمثال التى لم تسمع إلا منه عليه السلام .

***

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مُصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويَلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر .

قال ابن هشام : والذى أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زُريق .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة فذكر أصحاب القَليب ومصابهم ، ، فقال صفوان : والله ما إنْ فى العيش [بعدهم] خير . قال له عمير : صدَقْتَ ، أما والله لولا دَين علىّ ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بَعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علةً ، ابني أسير فى أيديهم .

قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : علىّ دَينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بَقوا ، لا يسعنى شىء ويَعْجِز عنهم .

فقال له عمير : فاكتم علىّ شأنى وشأنك . قال : سأفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم فى عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ماجاء إلا لشرٍ ، وهو الذى حرّش بيننا وحزَرنا[١] للقوم يوم بدر .

---

(١) حرزنا : قدرنا .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله هذا عدو الله عُمير بن وَهْب قـد جاء متوشحا سيفه . قال : فأدخله علىّ . قال: فأقبل عُمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبَّبه بها وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هـذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادْنُ يا عمير » فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحيـة أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خيرٍ من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لَحديث عهد .

قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهـذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيـه .

قال : « فما بال السيف فى عنقك ؟ »

قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ! .

قال : « اصدقنى ما الذى جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجْر ، فذكرتما أصحابَ القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمـداً ، فتحمَّل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك »

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نـكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المَساقَ . ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقِّهوا أخاكم فى دينه ، وعلِّموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان

على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدَم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة .

وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ،حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عُمير مكةَ أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، هو الذى رأى عدوَّ الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفرّ هاربا وقال : إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون ، وكان إبليس يومئذ فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم أمير مُدْلج .

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على مانزل من القرآن فى قصة بدر ، وهو مِن أول سورة الأنفال إلى آخرها ، فأجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثَمّ ، ولله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق فى تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوْسِها وخزرجها إلى أن قال : فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، مَن شهدها ومن ضُرب له بسهمه وأجْره ، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا .

من المهاجرين ثلاثة وثمانون .

ومن الأوس : أحدٌ وستون رجلا . ومن الخزرج : مائة وسبعون رجلا .

وقد سردهم البخارى فى صحيحه[١] مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بأبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

وهـذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المُعْجم وذلك من كتاب الأحكام الـكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدسى وغـيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ذكر البخارى منهم أربعة وثلاثين غير رسول الله .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أُبَىّ بن كعب النَّجارى سيد القراء ، الأَرْقَم بن أبى الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى ، أسعد بن يزيد بن الفاكِه بن يزيد بن خَلدة بن عامر بن العَجْلان .

أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غَنْم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال موى : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق : سواد بن زُريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ : سواد بن زيد .

أسير بن عمرو الأنصارى أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لَوْذَان بن سالم بن ثابت الخزرجى ، ولم يذكره موسى بن عقبة

أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسى ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الأموى فى السيرة : أنيس .

قلت : وأنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، لمَا روى عمر بن شبّة النميرى حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أبيه ، عن ثُمامة بن أنس ، قال : قيل لأنس بن مالك أشهدتَ بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدر لا أمّ لك !

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى ، عن مولى لأنس ابن مالك ، أنه قال لأنس : شهدتَ بدراً ؟ قال : لا أمَّ لك ! وأين أغيب عن بدر .

قال محمد بن عبد الله الأنصارى : خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّى فى تهذيبه : هكذا قال الأنصارى ، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى .

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أَنَسة الحبشى مَوْلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى .

أَوْس بن خَوْلىّ بن عبدالله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البُكَير بن عبدياليل بن ناشب بن غَيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بُجَير بن أبى بجير حليف بنى النجار ، بَحَّاث[1] بن ثعلبة بن خَزَمة بن أَصْرم بن عمرو بن عمارة البَلوَى حليف الأنصار ، بَسْبسَ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرَشة بن زيد ابن عمرو بن سعيد بن ذُبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى حليف بنى ساعدة ، وهو أحد العَيْنَيْن هو وعَدىّ بن أبى الزَّغباء كما تقدم ، بِشْر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بَشِير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ، ويقال إنه أول من بايع الصِّديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لُبَابة الأوسى ، ردَّه عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن

(١) ويقال له : نحاب وهى رواية ابن إسحاق . وما هنا قول ابن هشام .

الخزرج ، تميم مولى خِرَاش بن الصِّمة ، تميم مولى بنى غَنم بن السَّلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

حرف الثاء

ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عَدى بن العَجْلان ، ثابت بن ثعلبة ، ويقال لثعلبة هذا : الجذَع بن زيد بن الحارث بن حَرام بن غنم بن كعب بن سلمة .

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غَنم بن مالك ابن النجار النجارى ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى .

ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سَواد بن مالك بن غَنم بن عدى بن النجار النجارى ، ثابت بن هزّال الخزرجى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النَّجارى ، ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن الخزرجى ، ثعلبة بن عَنمة[1] بن عدى بن نابى السُّلمى ، ثَقف بن عمرو من بنى حجر آل بنى سليم ، وهو من حلفاء بنى كثير بن غَنم بن دُودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى ، جابر بن عبد الله بن رِئاب بن النعمان بن سِنان بن عبيد بن عدى بن غَنم بن كعب بن سلمة السُّلمى أحد الذين شهدوا العقبة .

قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام السُّلمى أيضا ، فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الأعمش ، عن أبى سفيان ع جابر ، قال : كنت أمتح لأصحابى الماء يوم بدر .

(١) ويقال : ابن غنمة كما فى الاستيعاب .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ، لكن قال محمد بن سعد : ذكرت لمحمد بن عمر يعنى الواقدى ، هذا الحديث فقال : هذا وَهم مِن أهل العراق . وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أُحداً، منعنى أبى ، فلما قُتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة .

ورواه مسلم عن أبى خَيثمة عن رَوح .

جبَّار بن صخر السُّلمى ، جَبْر بن عَتِيك الأنصارى ، جُبير بن إيَاس الخزرجى .

حرف الحــاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجى ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ الأوسى ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردَّه عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خَزمة بن عدى بن أبى غَنم ابن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبنى زَعُورا بن عبد الأشهل، الحارث بن الصِّمة الخزرجى ، ردَّه عليه السلام لأنه كُسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرْفُجة الأوسى ، الحارث بن قيس بن خَلدة أبو خالد الخزرجى ، الحارث ابن النعمان بن أمية الأنصارى ، حارثة بن سُراقة النجارى أصابه سهمٌ غَرْبٌ وهو فى النَّظَّارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصارى حاطب بن أبى بَلْتعة اللَّخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى بن قصى .

حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأَشْجَعى من بنى دهمان . هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق . وقال الواقدى : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ،

كذا ذكره ابن عائذ فى مغازيه . وقال ابن أبى حاتم : حاطب بن عمرو بن عبد شمس، سمعته من أبى وقال : هو رجل مجهول .

الُحبَاب بن المنذر الخزرجى ، ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ .

حبيب بن أسود مولى بنى حرام من بنى سلَمة ، وقال موسى بن عقبة : حبيب ابن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبى حاتم : حبيب بن أسلم مولى آل جُشم بن الخزرج ، أنصارى بدرى .

حُرَيث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصارى ، أخو عبدالله بن زيد الذى أُرى النداء ، الحصَين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرف الخـاء

خالد بن البُكَير أخو إياس المتقدم . خالد بن زيد أبو أيوب النجارى ، خالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان الأنصارى ، خارجة بن الحمير حليف بنى خنساء من الخزرج ، وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجةَ . فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجى صِهر الصِّديق ، خَبَّاب بن الأرتّ حليف بنى زهرة ، وهو من المهاجرين الأولين وأصـله من بنى تميم ويقـال من خزاعة ، خَبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان من المهاجرين الأولين ، خِرَاش بن الصِّمة السُّلمى ، خُبيب بن إساف بن عِنَبة الخزرجى ، خُرَيم بن فاتك ذكره البخارى فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجى ، خُليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصارى السُّلمى ، خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عـدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى السَّهْمى ، قتل يومئذ فتأيَّمت منه حفصةُ بنت عمر بن الخطاب ، خَوَّات بن جُبير الأنصارى ضرب له بسهمه وأجره لم يشْهدها بنفسه ، خَولى بن أبى خولى العِجْلى حليف بنى عدى من المهاجرين الأولين ،

خَلاَّد بن رافع ، وخَلاَّد بن سُويد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون .

حرف الذال

ذَكْوان بن عبد قيس الخزرجى، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نَضلة من غبشان ابن سليم بن ملكان بن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بنى خزاعة حليف لبنى زُهرة قتل يومئذ شهيداً . قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشّمالين لأنه كان أعسر .

حرف الراء

رافع بن الحارث الأوسى ، رافع بن عُنجدة . قال ابن هشام : هى أمه ، رافع بن المعلّى بن لوذان الخزرجى قتل يومئذ ، رَبعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضُبيعة وقال موسى بن عقبة : ربعى بن أبى رافع ، ربيع بن إياس الخزرجى ، ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم دُودان ابن أسد بن خزيمة حليف لبنى عبد شمس بنى عبد مناف وهو من المهاجرين الأولين ، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بيَاضة الخزرجى، رفاعة بن رافع الزُّرقى أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زُنَير الأوسى أخو أبى لُبابة ، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجى .

حرف الزاى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه .

زياد بن عمرو . وقال موسى بن عقبة : زياد بن الأخرس بن عمرو الجهنى . وقال الواقدى : زياد بن كعب بن عمرو بن عدى بن رفاعة بن كليب بن بَرْذَعة بن

عدى بن عمرو بن الزِّبَعْرَى بن رشدان بن قيس بن جهينة .

زياد بن لَبِيد الزُّرقى ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة ابن عَدى بن عَجْلان بن ضُبَيعة ، زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام النجاريّ أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى ، شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عَيْشة الخزرجى ، سَبرة بن فاتك ذكره البخارى ، سراقة بن عمرو النجارى ، سراقة بن كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الأولين ، سعد بن خيثمة الأوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً ؛ سعد بن زيد بن مالك الأوسى ، وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد الأنصارى ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة ، وقال ابن عائذ : أبو عبيدة .

سعد بن معاذ الأوسى وكان لواء الأوس معه .

سعد بن عُبَادة بن دُليم الخزرجى ، ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى ملتقى النفير من قريش ، فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث. والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ .

والمشهور أن أسعد بن عبادة ردَّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة وقيل لدغته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر .

حكاه السهيلى عن بن قتيبة فالله أعلم .

سعد بن أبى وقاص . مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل ، قال الواقدى : تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدَوى ابن عم عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعه من بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره .

سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجى ، سلمة بن أسلم بن حُريش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وَقْش بن زغبة ، سلمة بن سَلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجارى ، سليم بن عمرو السُّلمى ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجى ، سليم بن مِلحان أخو حَرام بن ملحان النجارى ، سِماك بن أوس بن خرشة أبو دُجَانة ، ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجى وهو أخو بشير بن سعد المتقدم . سَهْل بن حُنيف الأوسى ، سهل بن عَتيك النجارى ، سهل بن قيس السُّلمى ، سهيل بن رافع النجارى الذى كان له ولأخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم ، سهيل بن وهب الفِهرى ، وهو ابن بيضاء وهى أمه ، سنان بن أبى سنان بن مِحْصن بن حرثان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفى السلمى ، سَواد بن زُريق بن زيد الأنصارى. وقال الأموى : سواد بن رزام . سواد بن غَزية بن أُهَيب البلَوى ، سُويبط بن سعد بن حَرملة العبدرى ، سويد بن مَخْشِى أبو مخشى الطائى حليف بنى عبد شمس ، وقيل اسمه أَزيَد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدى ، أسد بن خزيمة حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الأولين . شَمّاس بن عثمان المخزومى . قال ابن هشام: واسمه عثمان بن عثمان وإنما

سمى شَماساً لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية ، شَقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدى : لم يُسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئاً ، فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صُهيب بن سِنان الرومى من المهاجرين الأولين ، صَفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السُّلمى .

حرف الضاد

ضحَّاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحاك بن عبد عمرو النجارى ، ضَمْرة بن عمرو الجهنى . وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التَّيمى أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، طُفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين ، وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذى قبله ، طُليب بن عمير بن وهب بن أبى كَبير بن عبد بن قصى . ذكره الواقدى .

حرف الظاء

ظُهير بن رافع الأوسى ذكره البخارى .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارى ، الذى حمته الدَّبْر [1] حين قُتل بالرَّجيع عاصم بن عدى بن الجدّ بن عجلان ، ردَّه عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمة وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى ، عاقل بن البُكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحسْحاس النجارى ، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ . وقال موسى بن عقبة وزياد عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العَنزى حليف بنى عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر ابن عبد الله البَلوى القُضَاعى حليف بنى سالم بن مالك بن سالم بن غَنْم . قال ابن هشام : ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، عامر بن مَخْلد النجارى ، عائذ بن ماعِض بن قيس الخزرجى ، عبَّاد بن بشر بن وَقْش الأوسى ، عَبّاد بن قيس بن عامر الخزرجى ، عَبَّاد بن قيس بن عَيْشة الخزرجى أخو سُبَيع المتقدم ، عباد بن الخشخاش القضاعى ، عبادة بن الصامت الخزرجى ، عُبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أمية بن عُرْفُطة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بَحَّاث المتقدم ، عبد الله بن جحش بن رِئَاب الأسدى ، عبد الله بن جُبَير ابن النعمان الأوسى .

عبد الله بن الجدّ بن قيس السلمى ، عبد الله بن حقّ بن أوس الساعدى . وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ : عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام : عبد ربه بن حق .

---

(١) الدبر : النحل .

عبد الله بن الحمير حليف لبنى حَرام ، وهو أخو خارجة بن الحمير من أشْجع ، عبد الله ابن الربيع بن قيس الخزرجى ، عبد الله بن رواحة الخزرجى عبدالله بن زيد بن عبد ربه ابن ثعلبة الخزرجى ، الذى أُرى النداء .

عبد الله بن سُرَاقة العدَوى لم يذكره موسى بن عُقبة ولا الواقدى ولا ابن عائذ ، وذكره ابن إسحاق وغيره .

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بنى زَعُورا ، عبد الله بن سُهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فرَّ من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم ، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى حليف الأوس ، عبد الله بن عامر من بَلِىّ ، ذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سَلول الخزرجى وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة ، قُتل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عبس ، عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرَّة بن كعب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عبد الله بن عُرْفطة بن عَدى الخزرجى .

عبد الله بن عمر بن حَرام السَّلمى أبو جابر ، عبد الله بن عُمير بن عَدى الخزرجى ، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حَرام السلمى . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجار ، جعله النبى صلى الله عليه وسلم مع عَدى بن أبى الزَّغْباء على النَّفَل يوم بدر .

عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهُذَلى حليف بنى زُهْرة من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مَظْعون الجمحى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة السلمى ، عبد الله بن أُنَيْسَة بن النعمان السلمى ،

عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القُضاعى البلَوى .

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التَّيِّهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ،ويقال عَتيك بدل عبيد .

عبيد بن ثعلبة من بنى غَنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العَجْلان بن عامر ، عبيد بن أبى عبيد .

عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحُصَين والطُّفيل ، وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة ،رضى الله عنه .

عِتْبان بن مالك بن عمرو الخزرجى ، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البَهْرانى حليف بنى أمية بن لَوذان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن غَزوان بن جابر من المهاجرين الأولين .

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرّضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره .

عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب ،أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين .

عَدى بن أبى الزَّغْباء الجهنى ، وهو الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَسْبَس بن عمرو بين يديه عَيْناً .

عِصمة بن الحصين بن وَبرة بن خالد بن العَجْلان ، عُصَيمة حليف لبنى الحارث بن سِوار من أَشْجَع ، وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نُويرة بن عامر بن عطية الخزرجى ، عُقبة بن عامر بن نابى السلمى ، عقبة بن عثمان بن خَلدة الخزرجى أخو سعد بن عثمان .

عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى ، وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ، ولهذا لم يذكروه .

عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى، أسد خزيمة، حليف لبنى عبد شمس وهوأخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عُقبة بن وَهب بن كَلْدة حليف بنى غطفان .

عُكَّاشة بن مِحْصَن الغَنْمى من المهاجرين الأولين ،وممن لا حساب عليه .

على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه .

عمَّار بن ياسر العنَسى المذحِجى من المهاجرين الأولين ،عمارة بن حزم بن زيد النجارى .

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهما رضى الله عنهما .

عمر بن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لَوذان بن عمرو بن سالم، وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم .

عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبشة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سُراقة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سَرْح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائذ : مَعمر بدل عمرو .

عمرو بن طَلْق بن زيد بن أمية بن سِنَان بن كعب بن غَنْم ، وهو فى بنى حَرام، عمرو ابن الجُموح بن حَرام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سَواد بن مالك بن غَنْم . ذكره الواقدى والأموى .

عمرو بن قيس بن مالك بن عَدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عَدى بن عامر أبو خارِجة ،ولم يذكره موسى بن عقبة .

عمرو بن عامر بن الحارث الفهرى ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن مَعْبد بن الأزعر الأوسى ، عمرو بن معاذ الأوسى أخو سعد بن معاذ ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لَبدة بن ثعلبة السلمى ، عمير بن حَرام بن الجموح السلمى ، ذكره ابن عائذ والواقدى .

عُمَير بن الُحمَام بن الَجُموح ابن عم الذى قَبْله ، قُتل يومئذ شهيداً ، عُمير بن عامر بن مالك ابن الخنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنم بن مازن أبو داود المازنى .

عمير بن عوف مولَى سُهيل بن عمرو ، وسماه الأموى وغيره : عمرو بن عوف . وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بَعْث أبى عبيدة إلى البحرين .

عمير بن مالك بن أُهَيْب الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنترة مولى بنى سليم وقيل إنه منهم ، فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النَّجارى وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عُوَيْم بن ساعدة الأنصارى من بنى أمية بن زيد ، عِيَاض بن غَنْم الفهرى من المهاجرين الأولين . رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنَّام بن أوس الخزرجى . ذكره الواقدى وليس بمُجْمَع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بِشر بن الفاكه الخزرجى ، فَرْوة بن عمرو بن ودَفة[1] الخزرجى .

حرف القاف

قَتادة بن النعمان الأوسى . قُدامة بن مظعون الجمحى من المهاجرين أخو عثمان وعبدالله

(١) فى الاشتقاق ٤٦١ : ابن وذفة . قال : والوذفة زعموا الروضة .

قُطْبة بن عامر بن حَديدة السلمى . قيس بن السَّكن النجارى ، قيس بن أبى صَعْصعة عمرو بن زيد المازنى كان على الساقَة يوم بدر . قيس بن مُحْصن بن خالد الخزرجى ، قيس ابن مُخَلَّد بن ثعلبة الفجارى .

حرف الكاف

كعب بن حمان[١] ويقال جمَّار ويقال جمَّاز . وقال ابن هشام : كعب بن غُبْشان[٢] ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز . وقال الأموى : كعب بن ثعلبة بن حبَالة بن غنم الغسَّانى من حلفاء بنى الخزرج بن ساعدة .

كعب بن زيد بن قيس النجارى ، كعب بن عمرو أبو اليُسر السلمى ، كَلَفة بن ثعلبة أحد البكاَّئين ذكره موسى بن عقبة ، كَنَّاز بن حُصين بن يربوع أبو مَرْثد الغنوى ، من المهاجرين الأولين .

حرف الميم

مالك بن الدُّخْشُم ويقال ابن الدُّخشن الخزرجى ، مالك بن أبى خَوْلى الجعفى حليف بنى عدى ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعِدى ، مالك بن قدامة الأوسى ، مالك بن عمرو أخو ثَقْف بن عمرو وكلاهما مهاجرى ، وهما من حلفاء بنى تميم بن دُودان بن أسد، مالك بن قدامــة الأوسى ، مالك بن مسعود الخزرجى ، مالك بن ثابت بن نُميْـلة المزنى حليف لبنى عمرو بن عوف ، مبشّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر الأوسى أخو أبى لبابة ورفاعة ، قتل يومئذ شهيداً ، المجذَّر بن ذِياد[٣] البلوَى مهاجرى ، مُحْرز بن عامر النجارى ، مُحْرز ابن نَضْلة الأسدى حليف بنى عبد شمس مهاجرى ، محمـد بن مَسْلمة حليف بنى عبـــد

---

(١) ابن هشام : ابن حمار . (٢) ابن هشام : ويقال : كعب بن جماز وهو من غبشان .

(٣) الأصل زياد . وهو تحريف وما أثبته عن الاشتقاق لابن دريد ٥٥٠ .

الأشهل ، مُدْلج ويقال مِدْلاج بن عمرو أخو ثَقْف بن عمرو مهاجرى ، مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغنَوى ، مِسْطَح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين ، وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصارى النجّارى ، مسعود بن خَلدة الخزرجى ، مسعود بن ربيعة القارِى حليف بنى زهرة مهاجرى ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جُشم بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى ، مُصعب بن عُمير العبْدرى مهاجرى كان معه اللواء يومئذ ، معاذبن جبل الخزرجى ، معاذ بن الحارث النجّارى وهذا هو ابن عَفْراء أخو عوف ومُعَوّذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى ، معاذ بن ماعِص الخزرجى أخو عائذ .

مَعْبَد بن عبّاد بن قُشير بن القِدَم [1] بن سالم بن غَنم ، ويقال مَعْبَد بن عُبادة بن قيس وقال الواقدى : قَشْعر بدل قشير . وقال ابن هشام : قشعر أبو خميصة .

مَعْبد بن قيس بن صخر السلمى أخو عبد الله بن قيس ، مُعتِّب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى ، معتب بن عوف الخزاعى ، حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، مُعتِّب بن قشير الأوسى ، مَعْقل بن المنذر السلمى ، معمر بن الحارث الجمحى من المهاجرين ، مَعْن ابن عدى الأوسى ، مُعوّذ بن الحارث الجمحى وهو ابن عفراء ، أخو معاذ بن عوف ، معوذ ابن عمرو بن الجموح السلمى لعله أخو معاذ بن عمرو ، المِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وهو المقداد ابن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ، ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مُلَيْل بن وَبرة الخزرجى ، المنذر بن عمرو بن خُنَيْس الساعدى ، المنذر بن قدامة بن عَرْفجة الخزرجى ، المنذر بن محمد بن عُقْبة الأنصارى من بنى جَحْجَبى مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

---

(١) الأصل : الفدم . وما أثبته من الاشتقاق ٤٥٩ . والقدم : السيد المعطاء .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظُفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجارى ، وهو أخو الضَّحاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجارى ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبنى الأوس ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجى ، ويقال له قَوْقل ، نعمان بن يسَار مولى لبنى عبيد ، ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن نَضلة الخزرجى .

حرف الهـاء

هانىء بن نِيَار أبو بُرْدة البَلَوى ، خال البراء بن عازب .

هلال بن أمية الواقِفى ، وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى .

هلال بن المعلّى الخزرجى ، أخو رافع بن المعلى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمى ، حليف بنى عدى من المهاجرين ، وَديعة بن عمرو بن جَراد الُجهنى، ذكره الواقدى وابن عائذ ، ورقة بن إيَاس بن عمرو الخزرجى أخو ربيع بن إياس ، وهب بن سعد بن أبى سَرْح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن اسحاق .

حرف اليـاء

يزيد بن الأخنس بن جَنَاب بن حبيب بن جرّة السُّلمى .

قال السُّهيلى : شهد هو وأبوه وابنه يعنى بدراً ، ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق والأكثرون ، لـكن شهدوا معه بيعة الرضوان .

يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجى ، وهو الذى يقال له ابن فُسْحم[1] وهى أمه ، قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى ، يزيد بن المنذر بن سَرح السلمى وهو أخو مَعْقل بن المنذر .

باب الـكنى

أبو أُسَيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى ، وقال ابن هشام : أبو الأعور الحارث بن ظالم . وقال الواقدى : أبو الأعور كعب بن الحارث ابن جُنْدَب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، تقدم ، أبو حَبَّة بن عمرو بن ثابت ، أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصارى . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مِهْشَم ، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء ، أبو خزيمة ابن أوس بن أَصْرَم النجارى ، أبو سَبْرة مولى أبى رُهْم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرثان ، أخو عُـكَّاشة ومعه ابنه سِنان من المهاجرين .

أبو الصياح بن النعمان وقيل : عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس ابن ثعلبة ، رجع من الطريق وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عَرْكَجة من حلفاء بنى جَحْجَبى ، أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو لُبَابة بَشير بن عبد المنذر ، تقدم ، أبو مَرْثَد الغَنَوى كَنَّاز بن حُصين تقدم ، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد الأوسى .

فصـــل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا ، منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : قسحم . وصوابه عن القاموس . وفسحم أمه .

كما قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت البرّاء بن عازب يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ممن شهد بدراً ، أنهم كانو عِدَّةَ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

ثم رواه البخارى من طريق إسرائيل وسفيان الثورى ، عن أبى إسحاق عن البراء نحوه .

قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .

وقال أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا وهب ، عن شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : استُصغرت أنا وابنُ عمر يومَ بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نَيِّفا على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين .

هكذا وقع فى هذه الرواية .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن عُبيد المُحاربى ، حدثنا أبو مالك الُجنبىّ ، عن الحجاج ، وهو ابن أرْطَاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان حامل راية النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة .

وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال .

قال ابن جرير : وقيل : كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عدَّ معهم النبى صلى الله عليه وسلم والأول عدَّهم بدونه فالله أعلم .

وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسرَدهم .

وهذا مخالف لما ذكره البخارى ، ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم .

وفى الصحيح ، عن أنس أنه قيل له : شهدتَ بدراً ؟ فقال : وأين أَغيب .

وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرام أنه قال : كنت أمْتح لأصحابى المـاء يوم بدر .

وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء . فالله أعلم .

***

قلت : وفى الذين عدَّهم ابن إسحاق فى أهل بدر من ضُرب له بسهم فى مَغْنَمها وإنه لم يحضرها ، تخلف عنها لعذر أُذن له فى التخلف بسببها ، وكانوا ثمانية أو تسعة وهم :

عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرِّضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيـل كان بالشـام فضرب له بسهمه وأجره .

وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره .

وأبو لُبَابة بَشير بن عبد المنذر رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرَّوحاء حين بلغه خروج النفير من مكة ، فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن حاطب بن عُبيـد بن أمية ، رده رسول الله صلى الله عليـه وسلم أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن الصِّمة ، كُسر بالرَّوحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدى : وأجره .

وخَوَّات بن جبير لم يحضر الوقعة وضُرب له بسهمه وأجره .

وأبو الصياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب ساقه فصيلُ حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره .

قال الواقدى : وسعد أبو مالك ، تجهز ليخرج فمات وقيل : إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ستةوهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعُمير بن أبى وقاص ،أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال إنه كان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشِّمالَين ابن عبد عمرو الخزاعى ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البُكَير الليثى حليف بنى عدى ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ .

ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سُراقة رماه حَبَّان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ،ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ، ويقال : ابن فُسْحُم ، وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لَوْذَان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بَعْزجة ، ويقال سَبْحة ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليَعْسوب .

وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين على ابن أبى طالب ، والتى للأنصار يحملها سعد بن عبادة .

وكان رأس مشورة للمهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد ابن معاذ .

***

وأما جَمْع المشركين : فأحسن ما يقال فيهم : إنهم كانوا مابين التسعمائة إلى الألف وقد نصّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا .

وقال الواقدى : كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا .

وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدم فى بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف ، فلعله عدَّد أتباعهم معهم والله أعلم .

وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنه قُتل منهم سبعون وأُسر سبعون .

وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك فى قصيدة له :

فأقام بالعَطن المعطّنِ منهمُ   سبعون عُتْبة منهمُ والأسودَ

وقد حكى الواقدى الإجماع على ذلك . وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا خلاف ذلك ،وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح . والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابنُ إسحاق وغيره ، وحرَّر ذلك الحافظ الضياء فى أحكامه جيداً .

وقد تقدم فى غضون سياقات القصة ذكر أول من قُتل منهم ،وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وأول من فرَّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعى ، أو العقيلى ، حليف بنى مخزوم ، وما أفاده ذلك ، فإنه أُسِر ، وهو القائل فى شعره :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنا   ولكنْ على أقدامنا يَقْطُر الدمُ

فما صدق فى ذلك .

وأول من أَسروا عقبةُ بن أبى مُعيط والنضر بن الحارث ، قُتلا صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى ، وقد اختلف فى أيهما قُتل أولاً على قولين .

وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم أبو العاص بن

الربيع الأموى ، والمطَّلب بن حُنْطَب بن الحارث المخزومى ، وصَيْفى بن أبى رفاعة كما تقدم ، وأبو عَزَّة الشاعر ، ووهب بن عُمير بن وهب الجمحى كما تقدم ، وفادَى بقيّتهم حتى عمه العباس أَخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى ، لئلا يحابيه لـكونه عمه ، مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا تتركوا منه درهما .

وقـد كان فداؤهم متفاوتا ، فأقلُّ ما أُخذ أربعمائة ، ومنهـم من أُخذ منه أربعون أوقية من ذهب .

قال موسى بن عقبة : وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب .

ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، قال : قال داود : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلِّموا أولادَ الأنصار الـكتابة ، قال : فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلِّمى فقالت : الخبيث يَطْلب بذَحْل (١) بَدْر ! والله لا تأتيه أبداً .

انفرد به أحمد وهو على شرط السنن . وتقدم بسطُ ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصــل فى فضل من شهد بدرا من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حُميد ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله قد عرفتَ منزلةَ حارثة منّى فإن يكُ فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى ماأصنع . فقال : « ويحك أوَ هَبِلْت أوَ جنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس » .

(١) الذحل : الثأر . وفى الأصل : بدخل . محرفة .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس ، وأنّ حارثة كان فى النَّظَّارة وفيه : « إن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى » .

وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا الذى لم يكن فى بُحْبُوحة القتال[1] ولا فى حَومة الوغَى ، بل كان من النَّظارة من بعيد ، وإنما أصابه سَهْمٌ غَرْب وهو يشرب من الحوض ، ومع هـذا أصاب بهـذا الموقف الفردوسَ التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنـه تفجَّر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمتـه إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها .

فإذا كان هذا حالَ هذا ، فما ظنُّك بمن كان واقفاً فى نَحْر العدو ، وعدوُّهم على ثلاثة أضعافهم عَدداً وعُدداً ؟ !

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهوَيْه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى ، عن على بن أبى طالب قصة حاطب بن أبى بَلْتَعة وبَعْثه الـكتابَ إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد شَهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لـكم » .

ولفظ البخارى : « أليس مِنْ أهلِ بدر ؟ ولعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد وجَبت لـكم الجنة ، أو قد غفرت لـكم » .

فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

---

(١) تبحبح : تمكن فى المقام والحلول . وبحبوحة المـكان وسطه . وفى الأصل : بجبحة . محرفة

وروى مسلم عن قتيبة ، عن الليث ،عن أبي الزبير ،عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً قال : يارسول الله لَيَدْخلن حاطبٌ النارَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذبْتَ ، لا يدخلُها ، إنه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل النار رجلٌ شَهد بدراً أو الحديبية » .

تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النُّجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال : إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد ابن هارون به .

وروى البزار فى مسنده :حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة ، عن يحيي بن أبي كثير ، عن أبي سلَمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن لا يَدخل النارَ من شهد بدراً إن شاء الله » .

ثم قال : لا نعلمه يُرْوى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح . والله أعلم .

وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماتعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : مِن أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها .

قال : وكذلك مَن شهد بدراً من الملائكة

انفرد به البخارى .

فصـــل

فى قدوم زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرةً من مكة إلى المدينة

بعد وقعة بدر بشهر ، بمقتضى ما كان شرَط زوجُها أبو العاص للنبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم

قال ابن إسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلِّى سبيله ، يعنى كما تقدم ، بعث رسول الله صلى الله عليـه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال : كُونا ببطن يأْجج حتى تمرّ بكما زينب فتصحباها فتأتيانى بها . فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه [1] .

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر ؛ قال : حدِّثت عن زينب أنها قالت: بَيْنا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك . فقالت : أىْ ابنة عم ، لا تفعلى ، إن كان لك حاجة بمتاع مما يَرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عنـدى حاجتك فلا تَضْطَنى [2] منىِّ فإنه لا يَدخـل بينَ النساء مابين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولـكنى خِفْتها فأنـكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق : فتجهزَت ، فلمافرغت من جهازها قدّمإليها أخو زوجها كنانةُ بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها ، وتحدَّث بذلك رجالٌ من قريش ،فخرجوا فى طلبهاحتى أدركوها بذى طوًى ، وكان أول

---

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) لاتضطني : لاتنقبضى منى . وأصله : اضطأ .

من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهرى، فروّعها هبار بالرمح وهى فى الهودج، وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت، وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو منى رجل إلا وضعتُ فيه سهما. فتكركر الناس عنه.

وأتى أبو سفيان فى جِلّة من قريش فقال: يا أيها الرجل كُفَّ عنا نَبْلك حتى نكلّمك. فكف، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية، وقد عرفتَ مصيبتنا ونَكْبتَنا وما دخَل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس مِنْ بين أَظْهرنا، أن ذلك عن ذُلٍّ أصابنا، وأن ذلك ضعفٌ منا ووَهْن، ولَعمرى مالنا بحبْسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثُؤْرة[1]، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدَّث الناسُ أنْ قد رددناها فسُلَّها سرًّا وألحقها بأبيها. قال: ففعل.

وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك:

أفى السّلم أعْياراً جَفاءً وغلظةً ... وفى الحربِ أشباه النساءِ العواركِ[2]

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ماقُتِل منهم الذين قتلوا.

قال ابن إسحاق: فأقامت ليالىَ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلا حتى أسْلَمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها ليلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * *

وقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن

---

(١) الثؤرة: طلب الثأر. (٢) العوارك: الحوائض.

عروة ، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردَّهم لها ووَضْعها مافى بطنها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيدَ بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجىء معه فتلطَّف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزينب ، فلما رأته عرفته فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجل فى ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هى أفضلُ بناتى أُصيبَتْ فىّ » .

قال : فبلغ ذلك علىّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ماحديثٌ بلَغنى أنك تحدِّثه ؟ فقال عروة : والله ما أحب أنّ لى ما بين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقًّا هولها ، وأمّا بعد ذلك أنْ لا أحدِّث به أبداً .

قال ابن إسحاق : فقال فى ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خَيْثمة أخو بنى سالم بن عوف . قال ابن هشام : هى لأبى خيثمة :

أتانى الذى لا يَقْدر النـاس قدرَه ... لزينب فيهم مِن عُقوقٍ ومَأْثَمِ
وإخراجهـا لم يُخْزَ فيهـا محمدٌ ... على مَأْقط وبَيْننا عِطْرُ مَنْشَمِ (١)
وأمسَى أبو سفيان من حِلْف ضَمْضَمٍ ... ومن حربنا فى رَغْم أَنْفٍ ومَنْدَمِ
قرنَّا ابنَه عَمراً ومولَى يمينه ... بذى حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصل مُحْكَمِ (٢)
فأقسمتُ لا تنفكُّ منـا كتائبُ ... سُراةُ خميسٍ من لُهامٍ مُسوَّمِ (٣)
نروع قريشَ الكُفْر حتى نَعلَّها (٤) ... بخاطمةٍ فوقَ الأُنوف بميسَمِ

(١) المأقط : معترك الحرب ، وعطر منشم : كناية عن شدة الحرب . ومنشم : كانت امرأة تبيع العطر فيشترى منها الموتى ، حتى تشاءموا بها .
(٢) ذو حلق : أراد به الغل . والصلاصل جمع صلصلة ، وهى صلصلة الحديد .
(٣) اللهام : الكثير . والمسوم : المعلم . (٤) نروع : نفزع . ونعلها : نذيقها الحرب مرة بعد مرة .

نُنزِّلهم أكنـافَ نجدٍ ونَخْلةٍ ... وإنْ يُتهِموا بالخيل والرَّجْلِ نُتهِمِ

يَدَ(١) الدهرِ حتى لا يعوّج سِربُنـا ... ونُلحقهم آثارَ عاد وجُـرْهمِ

ويَنْدم قومٌ لم يطيعوا محمـداً ... على أمرهمْ وأيّ حين تَنَدَّمُ

فأبلغْ أبا سفيـانَ إمّا لقيتـه ... لئن أنت لم تُخْلص سجوداً وتُسْلمِ

فأبشرْ بخزىٍ فى الحيـاة معجَّلٍ ... وسِربالِ قارٍ خالداً فى جهنمِ

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان الذى عناه الشاعر هو عامر بن الحَضْرمى .

وقال ابن هشام : إنما هو عُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فإنه قُتل يوم بدر .

* * *

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ ، عن سليمان بن يسَار ، عن أبى إسحاق الدَّوْسى ، عن أبى هريرة . قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سَرية أنا فيها فقال : «إنْ ظفرتم بهبَّار بن الأسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » .

فلما كان الغد بعث إلينا فقال : إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » .

تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث ، عن بُكير ، عن سليمان بن يسَار ، عن أبى هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث فقال : « إن وجدتم فلانا وفلانا فأحرقوهما بالنار » ثم قال حين أردنا الخروج : إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذِّب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما .

---

(١) يد الدهر : مد زمانه . وفى الأصل : يدى . وما أثبته عن ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سَرية فأخـذوا مامعه وأعجزَهم هربا ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبّر وكبر الناس صرخت من صُفَّة النساء: أيها الناس أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع .

فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعتُ ؟ » قالوا : نعم. قال : « أمَا والذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشىء حتى سمعت ماسمعتم ، وإنه يُجير على المسلمين أدْناهم ». ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته زينب فقال : « أىْ بُنية أكرمى مثواه ولا يَخْلصن إليك فإنك لا تحلّين له » قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثَّهم على رد ما كان معه ، فردوه بأَسْره لا يَفقد منه شيئا .

فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كلَّ إنسان ما كان له ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيًّا كريما .

قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله مامنعنى عن الإسلام عندَه إلا تخَوُّف أنْ تظنوا أنى إنمـا أردت أن آكل أموالـكم ، فلما أداها الله إليـكم وفرغتُ منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى داود بن الحصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : ردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النـكاح الأول ولم يُحْدث شيئاً .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد ابن إسحاق ، وقال الترمذى : ليس بإسناده بأس .

ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قِبَل حِفْظ داود بن الحصين

وقال السهيلى : لم يقُلْ به أحد من الفقهاء فيما علمت .

وفى لفظ : ردَّها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين ، وفى رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول. رواه ابن جرير. وفى رواية : لم يُحْدث نكاحا .

وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجُها كافر ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفُرْقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يُسلم انفسخ نكاحها

وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر ، وحُرِّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان

فمن قال : ردَّها عليه بعد ست سنين ، أى من حين هجرتها فهو صحيح . ومن قال : بعد سنتين . أى من حين حُرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا .

وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها ، فكيف ردَّها عليه بالنكاح الأول ؟

* * *

فقال قائلون : يحتمل أن عدَّتها لم تنقَض ، وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال .

وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّ بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد و نكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف واهٍ ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العَرْزَمى ، والعرزمى لا يساوى حديثه شيئا ، والحديث الصحيح الذى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الأول .

وهكذا قال الدارقطنى : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بالنكاح الأول .

وقال الترمذى : هذا حديث فى إسناده مقال . و[الذى] العمل عليه عند أهل العلم ، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة ، وهو قول مالك والأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحاق . وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن رَوى أنه جدَّد لها نكاحا فضعيف .

* * *

فى قضية زينب ، والحالة هذه ، دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها ، فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك ، بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أى وقت كان ، وهى امرأته ما لم تتزوج .

وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة . الفقه والله أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كانوا مشركى أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركى أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه. فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تُخْطَب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، وإن هاجر عبد منهم أو

أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين .

ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد .

هذا لفظه بحروفه .

فقوله : « فـكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر » يقتضى أنها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا .

وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره ، كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى صلى الله عليه سلم ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء . والله أعلم .

فصــل

فيما قيل من الأشعار فى غزوة بدر العظمى (١)

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق ، عن حمزة بن عبد المطلب، وأنكرها ابن هشام :

ألم تَرَ أمراً كان مِنْ عَجب الدهر ... وللحَيْن أسبابٌ مبيَّنة الأمرِ

وما ذاك إلا أنّ قوما أفادَهم (٢) ... فخانوا (٣) تَواصٍ بالعقُوق وبالكُفْرِ

عشيــةَ راحوا نحو بدرٍ بجَمْعهم ... وكانوا رُهوناً للرَّكيَّة مِنْ بدر (٤)

وكنا طلَبْنا العيرَ لم نَبْغ غيرَها ... فساروُا إلينـــا فالتقينا على قَدْرِ

فلما التقينا لم تــكن مَثْنَويَّةٌ (٥) ... لنا غــيرَ طَعْنٍ بالمثقَّفة السُّمْرِ

وضربٍ ببيض يَخْتلِى الهامَ حدُّها ... مشهَّرة الألوان بيِّنة الأثر (٦)

ونحن تركنا عُتْبة الغَىَّ ثاوياً ... وشَيْبةَ فى قَتْلَى تَجرجَمُ فى الجَفْر (٧)

وعمرو ثوَى فيمن ثوَى مِن حُماتِهم ... فشُقَّت جيوبُ النائحاتِ على عمرو

جيوبُ نساءٍ من لؤىِّ بن غالب ... كرام تفرَّعْن الذوائبَ مِن فهرِ

أولئك قوم قُتِّلوا فى ضــلالهم ... وخلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضر النصرِ

لواء ضلال قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس بهم إنَّ الخبيث إلى غَدْر

وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا ... برئْتُ إليكم مابىَ اليوم مِنْ صبرِ

---

(١) أكثر ماذكره ابن اسحق من الأشعار التى قيلت فى غزوة بدر مصنوع مختلق ، لاتبدو عليه مسحة ذلك العصر ، كما نبه على ذلك ابن هشام ، وهو من صنع بعض النظامين الذين كانوا يتصورون الحادث ثم يصوغون الأشعار على مقتضاه .

(٢) أفادهم : أهلكهم . (٣) الأصل : فخافوا . وما أثبته عن ابن هشام .

(٤) رهونا : جمع رهن ، والركية : البئر التى لم تطو بالحجارة . (٥) المثنوية : أراد الرجوع .

(٦) يختلى : يقطع . والأثر : فرند السيف . (٧) تجرجم : تسقط . والجفر : البئر لم تطو .

فإنى أَرى مالا تَرون وإننى ... أخاف عقابَ الله والله ذو قَسْرِ
فقدَّمهم للحَيْن حتى تورّطوا ... وكان بما لم يَخْبُر القومُ ذا خُبْرِ
فكانوا غداةَ البئر ألفاً وجمعُنا ... ثلاثُ مئين كالمُسَدَّمة(١) الزُّهْرِ
وفينا جنود الله حين يُمدُّنا ... بهم فى مقام ثَمّ مُسْتوضَح الذِّكرِ
فشدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا ... لدَى مأزق فيه مناياهمُ تجرى

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا .

* * *

وقال على بن أبى طالب وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أنّ الله أبلَى رسوله ... بلاء عزيزٍ ذى اقتدار وذى فَضْلِ
بما أنزل الكفارَ دارَ مَذَلةٍ ... فلاقَوا هواناً من أسارٍ ومن قَتلِ
فأمْسَى رسولُ الله قد عزّ نصرُه ... وكان رسول الله أُرسل بالعدلِ
فجاء بفرقان من الله مُنْزَلٍ ... مبينةٍ آياتُه لذوى العقلِ
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فأمسَوا بحمد الله مجتمعى الشَّملِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم ... فزادهمُ ذو العرش خَبْلاً على خَبلِ
وأمكن منهمْ يومَ بدر رسولَه ... وقوما غضاباً فعلهُم أحسنُ الفعلِ
بأيديهمُ بيضٌ خفافٌ عصَوا بها ... وقد حادثوها بالجلاء وبالصّقلِ
فكم تركوا من ناشئٍ ذى حميّةٍ ... صريعا ومن ذى نَجْدة منهمُ كهلِ
تَبيت عيونُ النائحاتِ عليهمُ ... تجود بأسبالِ الرّشاش وبالوَبْلِ(٢)
نوائح تَنْعى عتبةَ الغىِّ وابنه ... وشيبة تَنْعاه وتَنْعى أبا جهلِ
وذا الرِّجل(٣) تنعى وابنَ جدعان فيهم ... مُسَلَّبة حرّى مبيّنة الثُّكلِ

(١) المسدم : الفحل الهائج . والزهر : المشرقة اللون .
(٢) الرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير . استعارة للدمع .
(٣) يريد بذى الرجل الأسود بن عبد الأسد الذى قطعت رجله وهو يقتحم الحوض .

ثوى منهمُ فى بئر بدر عصابةٌ ذوو نجداتٍ فى الحروب وفى المَحْلِ
دعا الغىُّ منهم من دعا فأجابه وللغىِّ أسبابٌ مُرمَّقة الوَصْلِ [1]
فأضحَوا لدى دار الجحيم بمَعْزِلٍ عن الشَّغْب والعدوان فى أسفل السُّفل [2]

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث أيضا تركناها قصداً .

***

وقال كعب بن مالك :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ على ما أراد ليس لله قاهرُ
قضى يومَ بدرٍ أنْ نلاقىَ مَعْشراً بغَوا وسبيلُ البَغْى بالناس جائرُ
وقد حشَدوا واستنفروا مَن يليهمُ من الناس حتى جَمْعهم متكاثرُ
وسارت إلينا لا تُحاول غيرَنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَهُ له مَعْقِل منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمعُ بنى النجار تحتَ لوائه يُمَشّون فى الماذِىِّ [3] والنقعُ ثائرُ
فلمّا لقيناهمْ وكلٌّ مجاهدٍ لأصحابه مُسْتبسلُ النفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره وأنّ رسول الله بالحق ظاهرُ
وقد عَريتْ بيضٌ خِفافٌ كأنها مقابيسُ يُزهيها لعينيك شاهرُ
بهنّ أبَدْنا جمْعهم فتبدَّدوا وكان يلاقى الحَيْن مَن هو فاجرُ
فكُبّ أبو جهل صريعاً لوجهه وعتبةُ قد غادرتُه وهو عاثرُ
وشيبةَ والتَّيْمى غادرتُ فى الوغَى وما منهمُ إلا بذى العرش كافرُ
فأمْسَوا وقودَ النار فى مستقرِّها وكلٌّ كفورٍ فى جهنم صائرُ

---

(١) مرمقة : ضعيفة واهية . (٢) ابن هشام : فى أشغل الشغل .
(٣) الماذى : الدرع اللينة السهلة ، وتطلق على السلاح كله .

تلظى عليهم وهى قد شُبَّ حَمْيُها ... بزَبْر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وكان رسول الله قد قال أقْبِلوا ... فولَّوا وقالوا إنما أنت ساحرُ

لأمرٍ أراد الله أن يَهْلكوا به ... وليس لأمرٍ حمَّهُ الله زاجرُ

وقال كعب فى يوم بدر :

ألا هل أتى غسانَ فى نَأْى دارها ... وأخبرُ شىء بالأمور عليمُها

بأنْ قد رمتْنا عن قِسِىٍّ عداوةً ... معدٌّ معاً جُهالُها وحليمها

لِأنَّا عبدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه ... رجاءَ الجنان إذ أتانا زعيمُها

نبىٌّ له فى قومه إرثُ عزةٍ ... وأعراقُ صدقٍ هذَّبتها أرومُها

فساروا وسِرْنا فالتقينا كأننا ... أسودُ لقاء لا يرجَّى كَليمُها

ضربناهمُ حتى هوَى فى مكرِّنا ... لَمَنْخرِ سوء من لؤىٍّ عظيمُها

فولَّوا ودُسْناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواء علينا حِلفُها وصميمُها

وقال كعب أيضا :

لَعمْرُ أبيكما يابْنَىْ لؤىٍّ ... على زَهْوٍ لدَيكم وانتخاء

لَما حامت فوارسكم ببدرٍ ... ولا صَبروا به عندَ اللقاء

ورَدْناه ونورُ الله يَجْلو ... دُجَى الظلماء عنَّا والغطاء

رسولُ الله يَقْدُمنا بأمرٍ ... مِن أمر الله أحْكم بالقضاء

فما ظَفرت فوارسكم ببدر ... وما رجعوا إليكم بالسَّواء

فلا تَعْجَل أبا سفيانَ وارقُبْ ... جيادَ الخيل تَطْلع من كُدَاء

بنصر الله روحُ القدس فيها ... وميكالٌ فيا طيبَ المَلَاء

* * *

وقال حسان بن ثابت ، قال ابن هشام ويقال هى لعبد الله بن الحارث السهمى :

مُسْتَشْعِرى حَلَقِ المـاذِىِّ يَقْدُمُهم ... جَلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رِعْديدِ[1]

أعنى رسولَ إله الخَلْق فضَّـله ... على البريَّة بالتقوى وبالجودِ

وقد زعمتم بأنْ تَحْمُـوا ذماركم ... وماءُ بدرٍ زعمتم غـير مورود

[ثم وردْنا ولم نَسْمع لقولـكم ... حتى شربنا رَواءً غير تصريد[2]]

مستعصمين بحبـلٍ غير منجذمٍ ... مُسْتحـكمٍ من حبال الله ممدودِ

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نَتْبعه ... حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محدودِ

وافٍ وماضٍ شهابٌ يُسْتضاء به ... بدرٌ أنار على كلِّ الأماجيـدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا ليت شعرى هل أتى أهلَ مكةَ ... إبادتُنا الـكفّارَ فى ساعة العُسْرِ

قتلنا سَراةَ القوم عندَ مجالنـا ... فلم يَرجعوا إلا بقاصمةِ الظَّهر

قتلنا أبا جهلٍ وعُتبةَ قَبْـله ... وشيبةَ يَـكْبو لليدين وللنَّحْرِ

قتلنا سُوَيداً ثم عُتبةَ بعـدَه ... وطُعْمةَ أيضا عندَ ثائرةِ القَتْرِ[3]

فكم قد قتَلْنا مِن كريمٍ مُسَوَّدٍ[4] ... له حسَبٌ فى قومه نابهُ الذِّكر

تركناهم للعاوياتِ يَنُبْنَهم[5] ... ويَصْلون ناراً بعدُ حاميةَ القعْرِ

لعَمْرُكَ ما حامَتْ فوارسُ مالكٍ ... وأشياعُهم يومَ التقينا على بدرِ

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى يوم بدر ، فى قطع رِجْله فى مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة . وأنـكرها ابن هشام :

ستَبْلُغ عنَّا أهلَ مـكةَ وقعةٌ ... يهبُّ لها مَن كان عن ذاك نائيا

---

(١) المـاذى : الدروع اللينة . والمستشعر : اللابس على جسمه بغـير حاجز . والنحيزة : الطبيعة . والرعديد : الجبان .

(٢) من ابن هشام .

(٣) القتر : الغبار .

(٤) ابن هشام : مرزأ .

(٥) ينبنهم : يعاودنهم .

بعُتْبة إذ ولَّى وشيبةُ بعــدَه ... وما كان فيها بِكْرُ عتبةَ راضيــاَ
فإنْ تَقْطعوا رِجْلى فإنِىَ مسـلم ... أرجِّى بها عَيشاً من الله دانيــاَ
مع الحور أمثال التماثيل أُخْلصتْ ... من الجنة العُلْيا لمن كان عاليـاَ
وبعتُ بها عيشاً تعرَّفتُ صَفْوه ... وعاجَلْتُه حتى فقدْتُ الأدانياَ
فأكرمَنى الرحمنُ مِن فضلِ مَنِّه ... بثوبٍ من الإسلام غطَّى المساويا
وما كان مكروها إلىّ قتــالهُم ... غداة دعا الأكْفاءَ من كان داعياَ
ولم يَبْغ إذ سألوا النبىَّ سواءنا ... ثلاثتَنا حتى حضرْنا المنـــاديا
لقيناهمُ كالأُسد تخطر بالقَنـــا ... نُقاتل فى الرحمنِ مَن كان عاصياَ
فما برحتْ أقدامنا من مُقَامنـا ... ثلاثتنا حتى أُزِيروا المنائـــيا(١)

***

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارثَ بن هشام على فراره يوم بدر وترْكه قومَه لا يقاتل دونهم :

تبلَتْ فؤادَك فى المنام خَريدةٌ(٢) ... تَشْفى(٣) الضجيعَ ببارِدٍ بَسَّــامِ
كالمسْك تَخْلطه بمــاء سحابة ... أو عاتقٍ كدَم الذَّبيح مُدَامِ
نُفُج الحقيبة بوصُهــا مُتَنضّدٌ ... بَلْهاء غيرُ وَشيكة الأقسام(٤)
بُنيتْ على قطَنٍ أجمَّ كأنه ... فُضُلا إذا قعَدتْ مَداكُ رُخام(٥)
وتكاد تَـكْسل أن تجىءفراشَها ... فى جسم خَرْعبةٍ(٦) وحُسْن قَوامِ

(١) المنائيا : المنايا ، فزيدت فيه الهمزة .
(٢) الخريدة : الحسناء الناعمة . (٣) رواية الديوان : تسقى .
(٤) نفج : عالية . وأراد بالحقيبة الأرداف. والبوص : الردف . ومتنضد : يعلو بعضه بعضاً . والبلهاء : الغافلة . والأقسام : جمع قسم . أى أنهـا لا تمضى قسمها . (٥) القطن : الوسط . والأجم : الذى لا عظام فيه . وفضلا : نصب على الحال . والمداك : مدق الطيب . (٦) الخرعبة : الحسنة القوام .

أمّا النهــارَ فلا أُفتِّر ذِكْرَها ... والليل تُوزِعنى بها أحــلامى
أقسمتُ أنساها وأترك ذِكرها ... حتى تغيَّب فى الضريح عظــامى
بل مَنْ لِعــاذلةٍ تلوم سفــاهةً ... ولقد عصَيْت على الهوى لُوّامِى
بكَرتْ إلىّ بسُحْرة بعدَ الكَرى ... وتقــاربٍ مِن حادث الأيامِ
زعمــت بأن المرء يَكْرُبُ عمرَه ... عدْمٌ لمعتْــكر من الأصرامِ (١)
إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثـتِنى ... فنجوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشام
ترك الأحبــةَ أنْ يقاتل دونهم ... ونجَا برأسِ طِمرّةٍ ولجامِ (٢)
يذَر العنَاجيجَ الجيَاد بقفْرة ... مَرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجامِ (٣)
ملأَت به الفرْجين فارمَدَّت به ... وثوىَ أحبتُه بشرِّ مُقــامِ
وبنو أبيــه ورهطُه فى مَعْرَكٍ ... نصرَ الإله به ذَوى الإســلامِ
طحنَتْهمُ واللهُ يُنفِــذ أمره ... حربٌ يُشَبُّ سعيرُهــا بضرامِ
لولا الإله وجَرْيُهــا لتركْنَه ... جَزَر السِّباع ودُسْنه بحَوامِى (٤)
مِن بَين مأسورٍ يُشدُّ وَثاقُه ... صَقْرٍ إذا لاقى الأسنــةَ حامِى
ومجــدَّلٍ لا يستجيب لدعوةٍ ... حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلِّ المبين إذا رأى ... بيضَ السيوفِ تَسوقُ كلَّ هُمام
بيدَىْ أغرَّ إذا انتمَى لم يُخْزه ... نَسَبُ القِصار سَمَيْدعٍ (٥) مِقْدامِ
بيضٍ إذا لاقت حديداً صُمِّمت ... كالبرق تحت ظلالِ كلِّ غمامِ

---

(١) يكرب : يحزن . والأصرام : جمع الجمع لصرمة، وهى القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الأربعين . والمعتكر : المختلط لا يستطاع عده .
(٢) الطمرة : الفرس الجواد .
(٣) العناجيج : جياد الخيل . والدموك : البكرة السريعة المر يستق بها على السانية . والمحصد : الحبل المفتول . والرجام : حجر يشد بطرف الدلو لتسرع فى البئر . يصف الفرس بسرعة الجرى . هذا وفى الأصل: « مر الدمول » وهو تحريف . صوابه من ابن هشام والديوان .
(٤) الحوامى : ميامن الحافر ومياسره .
(٥) السميدع : السيد .

قال ابن هشام : تركنا فى آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها .

قال ابن هشام :فأجابه الحارث بن هشام أخو أبى جهل عمرو بن هشام فقال :

القومُ[1] أعْلَم ما تركتُ قتالَهم حتى رمَوا فرسى[2] بأشقرَ مُزْبدِ
وعرفت أنى إنْ أقاتل واحداً أُقْتَل ولا يَنْكى عدوِّى مَشْهدِى
فصَدَدْت عنهم والأحبةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مُفْسِدِ

وقال حسان أيضا :

ياحارِ قد عوّلتَ غيرَ معوّلٍ عندَ الهياج وساعةَ الأحسابِ
إذ تمتطى سُرُحِ اليدين نجيبةً مَرْطَى الجراء طويلة الأَقْرابِ[3]
والقومُ خلفَك قد تركتَ قتالهم ترجو النَّجاءَ وليس حين ذهابِ
ألاَّ عَطفْتَ على ابن أمك إذ ثوى قَعْصَ الأسِنّة[4] ضائع الأسلابِ
عَجِلَ المليكُ له فأهلك جمعَه بشنَارِ مُخْزيةٍ وسوءِ عَذابِ

وقال حسان أيضا :

لقد علمت قريشٌ يومَ بدر غداة الأَسْر والقتلِ الشديدِ
بأنّا حين تَشْتَجر العوالِى حماةُ الحرب يومَ أبى الوليدِ
قتلنا ابنَىْ ربيعة يومَ سارا إلينا فى مُضاعفةِ الحديدِ
وفرَّ بها حكيمٌ يومَ جالَتْ بنو النَّجار تَخْطِر كالأسودِ
وولَّت عند ذاك جموعُ فِهْرٍ وأسلمَها الُحويرثُ مِن بَعيدِ
لقد لاقيتُم ذلاًّ وقتلاً جَهيزاً نافذاً تحت الوريدِ
وكلُّ القومِ قد ولَّوا جميعاً ولم يَلْوُوا على الحسبِ التَّليدِ

---

(١) ابن هشام : الله أعلم . (٢) ابن هشام : حتى حبوا مهرى .

(٣) السرح : السريعة . ومرطى الجراء : سريعة الجرى . والأقراب جمع قرب وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن . (٤) القعص : أن يصاب برمية فيموت مكانه .

وقالت هند بنت أُثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمَّن الصفراءَ مَجْداً وسُؤدداً ... وحِلما أصيلاً وافرَ اللُّب والعقلِ

عبيدةُ فابكيه لأضيـاف غُربةٍ ... وأرملةٍ تهوى لأشعث كالجذلِ

وبكِّيه للأقوام فى كل شَتْوةٍ ... إذا احمرَّ آفاقُ السماء من المَحْلِ

وبكِّيه للأيتامِ والريحُ زَفزفٌ ... وتَشْبيب قِدْرٍ طالما أزبدت تَغلى

فإنْ تُصبح النيرانُ قدمات ضَوؤها ... فقد كان يُذْكيهن بالحطَب الجزْلِ

لطارقِ ليلٍ أو لملتمس القِرَى ... ومُسْتَنبحٍ أضحى لديه على رسْلِ

***

وقال الأموى فى مغازيه : حدثنى سعيد بن قطن قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذْكر بدراً :

ألمَّا تكن رؤيایَ حقاً ويأتكمْ ... بتأويلها فَلٌّ من القوم هاربُ

رأى فأتاكم باليقين الذى رأى ... بعينيه ما تفرِى السيوفُ القواضبُ

فقلتم ولم أكْذب عليكم وإنما ... يكذِّبنى بالصدق مَن هو كاذبُ

وما جاء إلا رهبةَ الموت هارباً ... حكيمٌ وقد أعيتْ عليه المذاهبُ

أقامت سيوفُ الهند دون رءوسكم ... وخَطِّية[1] فيها الشَّبا والتغالُبُ

كأنَّ حريق النار لَمْعَ ظُباتها ... إذا ما تعاطَتْها الليوثُ المَشاغبُ

ألاَ بأبى يومَ اللقاء محمداً ... إذا عضَّ مِن عَوْن الحروبِ الغواربُ

مَرى بالسيوف المرهَفاتِ نفوسَكم ... كِفاحًا كما تَمْرى السحابَ الجنائبُ[2]

فكم بَرَّدت أسيافُه مِنْ مَليكةٍ ... وزُعْزِع وِرْدٌ بعدَ ذلك صالبُ

---

(١) الخطية : الرماح (٢) الجنائب : الرياح التى تهب جنوبا ، وهى تمرى السحاب تستنزل مطره . وأصل المرى مسح ضرع الناقة ليدر لبنها .

فما بالُ قتلَى فى القَليبِ ومثلُهمْ ... لدَى ابنِ أخى أَسْرى له ما يضاربُ

فكانوا نِساءً أمْ أتَى لنفوسهم ... من الله حَينٌ ساقَ والحَيْن حالبُ

فكيف رأى عندَ اللقاءِ محمدًا ... بنو عمِّه والحربُ فيها التجاربُ

ألم يَغشكم ضَرْباً يَحارُ لوقْعه الـ ... ـجَبانُ وتبدو بالنهار الكواكبُ

حلفتُ لئن عادوا لنَصْطلينَّهم ... بجاراً تردَّى تَجْرِ فيها[1] القَانبُ

كأنّ ضياء الشمس لَمْعُ ظُبَاتِها ... لها مِن شُعاع النورِ قَرنٌ وحاجبُ

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموى :

هَلاَّ صبرتمْ للنبيِّ محمد ... ببدرٍ ومَنْ يغشى الوغَى حقُّ صابرِ

ولم تَرْجعوا عن مُرْهفاتٍ كأنها ... حريقٌ بأيدى المؤمنين بواترِ

ولم تَصبروا للبيض حتى أَخذتمُ ... قليلا بأيدى المؤمنين المشاعرِ

ووليتمُ نَفْراً وما البَطَلُ الذى ... يقاتِل مِن وَقْع السلاحِ بنافرِ

أتاكم بما جاء النبيّون قبلَه ... وما ابنُ أخى البَرُّ الصدوقُ بشاعرِ

سيكفى الذى ضيعتمُ من نبيكم ... وينصره الحَيَّان عمرٌو وعامرُ

***

وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قُتلوا يومئذ من قومه ، وهو بعدُ على دين قومه إذ ذاك :

ألا إنّ عينِى أنفدَت دمعها سَكْباَ ... تبكّى على كعب وما إنْ ترى كعبَا

ألا إن كعباً فى الحروب تخاذلوا ... وأَرْداهمُ ذا الدهرُ واجترحوا ذَنبَا

وعامرُ تَبكى للمُلِمَّات غُدْوةً ... فياليت شِعْرى هل أَرى[2] لهمُ قُرْبَا

---

(١) المطبوعة : تجربتها . وهو تحريف . (٢) ابن هشام : لهما .

[هما أخواىَ لن يُعَدَّا لغيَّةٍ ... تُعدّ ولَن يُسْتام جارُهما غصباَ[1]]
فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ و نوفلاً[2] ... فداً لـكما لا تبعثوا بيننا حَربا
ولا تُصْبحوا مِن بعدِ ودٍّ وألْفة ... أحاديث فيها كلُّكم يَشْتكى النَّكْبا
ألم تعلموا ما كان فى حربِ داحسٍ ... وحرب[3] أبى يَكْسوم إذ ملأوا الشِّعْبا
فلولا دفاعُ الله لا شىء غـيرُهُ ... لأصبحتُم لا تَمْنعون لـكم سِرْبا
فما إنْ جَنينا فى قريشٍ عظيمةً ... سِوى أنْ حَمينا خيرَ من وَطىء التُّربا
أخا ثقةٍ فى النائباتِ مُرَزَّإٍ ... كريماً نَثاه لا بخيلا ولا ذَرْبَا[4]
يُطيف به العافون يَغْشَون بابه ... يؤمُّون نهراً لا نَزُوراً ولاصَرْبَا[5]
فو الله لا تنفكُّ نفسى حزينةً ... تَمَلْمل حتى تَصْدُقوا الخزرجَ الضَّرْبا

فصـــل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعارا من جهة المشركين قوية الصَّنعة يرثون بها قتلاهم يومَ بدر .

فمن ذلك قول ضِرَار بن الخطاب بن مِرْداس أخى بنى مُحارب بن فهر ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخر الأوس والحَيْن دائر ... عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
ونخرِ بنى النَّجار إنْ كان مَعْشَرٌ ... أُصيبوا ببدرٍ كلُّهم ثَمَّ صائرُ
فإنْ تك قتلى غُودرت مِن رجالنا ... فإنّا رجالا بعـدَهم سنُغادَرُ

(١) من ابن هشام .	(٢) الأصل : ونوفل . وهو تحريف .
(٣) ابن هشام : وجيش أبى يكسوم .	(٤) النثا : العطاء . والذرب : الفاسد .
(٥) الصرب : المنقطع .

وتُرْدى بنا الجُرْد العَناجيج[1] وسْطَكم   بنى الأوس حتى يشفى النفسَ ثائرُ
ووسط بنى النجار سوف نكرُّها   لها بالقَنا والدارِعِين زَوافرُ
فنترك صَرْعى تَعْصبُ الطيرُ حولهم   وليس لهم إلا الأمانىَّ ناصرُ
وتَبكيهمُ من أرضِ يثرب نسوةٌ   لهن بها ليلٌ عن النوم ساهرُ
وذلك أنا لا تزال سيوفنا   بهن دمٌ ممن يحاربْن مائر[2]
فإنْ تَظفروا فى يوم بدرٍ فإنما   بأحمد أمْسى جَدُّكم وهو ظاهرُ
وبالنفر الأخيارِ هم أولياؤه   يُحامون فى اللَّأْواء[3] والموتُ حاضرُ
يُعدُّ أبو بكر وحمزةُ فيهمُ   ويُدْعى علىٌّ وسط من أنت ذاكرُ
أولئك لا مَن نتَّجت من ديارها   بنو الأوس والنجار حين تفاخرُ
ولكنْ أبوهم مِن لؤىٍّ بن غالبٍ   إذا عَدَّت الأنسابَ كعبٌ وعامرُ
هم الطاعنون الخيلَ فى كل مَعْركٍ   غداةَ الهياجِ الأَطْيَبون الأكابرُ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التى أسلفناها وهى قوله :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ   على ما أراد ليس لله قاهرُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر واسمه شدَّاد بن الأسود بن شُعوب .

قلت : وقد ذكر البخارى أنه خلَف على امرأة أبى بكر الصديق حين طلَّقها الصديق وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تحيِّى بالسلامة أمُّ بكرٍ   وهل لى بعدَ قومى مِن سلامِ
فماذا بالقَلِيب قليبِ بدرٍ   من القَيْنات والشَّرْبِ الكرامِ

---

(١) العناجيج : جياد الخيل .   (٢) المائر : السائل .
(٣) اللأواء : شدة البأس .

وماذا بالقَليبِ قليب بَدْرٍ ... من الشِّيزَى تكلّل بالسنام (١)
وكم لك بالطَّوِىِّ طَوىّ بدرٍ ... من الحَوْمات والنَّعم المُسام (٢)
وكم لك بالطَّوِىِّ طَوىِّ بدرٍ ... من الغايات والدُّسُع (٣) العِظامِ
وأصحاب الكريم أبى علىٍّ ... أخى الكأس الكريمة والنِّدَامِ
وإنك لو رأيت أبا عَقيلٍ ... وأصحابَ الثَّنيَّة من نَعامِ (٤)
إذاً لَظَلْتَ مِن وَجْدٍ عليهم ... كَأُمِّ السَّقْبِ جائلةَ المرامِ (٥)
يخبّرنا الرسولُ لَسوف نَحْيَا ... وكيف حياةُ أَصْدَاء وهامِ

قلت : وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصَّلت يرثى من قُتل من قريش يوم بدر :

ألاَّ بكَيْت على الكرا ... م بنى الكرام أولى المَادحْ
كبُكَا الحمام على فرو ... ع الأَيْك فى الغصُن الجَوانحْ (٦)
يَبكين حَرَّى مستكيـ ... نات يَرُحْنَ مع الروائحْ
أمثالهن الباكيا ... تُ المُعْوِلات مِن النوائحْ
مَن يبكيهمُ يبكى على ... حُزن ويَصْدُق كلَّ مادحْ
ماذا ببدرٍ فالعقَنْـ ... قل مِنْ مَرازبةٍ جحاجح (٧)
فمدافع البرقَيْن فالحَنَّان من طَرف الأواشح (٨)

---

(١) الشيزى : جفان من خشب . والسنام لحم ظهر البعير . وأراد أصحابها المطعمين فيها .
(٢) الحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . (٣) الدسع : العطايا .
(٤) النعام : موضع . (٥) السقب : ولد الناقة حين تضعه . (٦) الجوانح : الموائل .
(٧) العقنقل : الكثيب المنعقد من الرمل . والمرازبة : الرؤساء . والجحاجح : السادة .
(٨) البرقين والحنان والأواشح : مواضع .

شُمُط وشُبَّـان بَهَا ليـلٌ مَغاويرٌ وَحاوح [1]
ألاّ تَرون لِمـا أرى ولقـد أبانَ لـكلٍّ لامحْ
أنْ قد تغـيَّر بطنُ مكـة فهى مُوحشةُ الأباطحْ
مِنْ كل بِطْريقٍ لبطـريق نقىِّ الودِّ [2] واضحْ
دُعْمُوص أبواب الملو كِ وجائبٌ للخَرْق فاتح [3]
ومن السَّراطمة الخَـلا جمـة المَلاوثة المنـاجح [4]
القـائلين الفـاعلـ ين الآمرين بكل صالح
المطعمين الشَّحْمَ فـو ق الخبز شحماً كالأنافح [5]
نُقُـل الجفَانَ مع الجفا ن إلى جفانٍ كالمنَاضح [6]
ليست بأَصفـار لمن يعفو ولا رُحٍّ رحارحْ [7]
للضيف ثم الضيف بعـد الضيف والبُسط السُّلاطحْ [8]
وهَب المئين من المئيـ ن إلى المئين من اللّواقحْ
سَوْقَ المؤَبل للمؤبـل صادراتٍ عن بَلادحْ [9]
لِـكرامهم فوقَ الـكرا م مزية وزنَ الرواجحْ
كَمثاقل الأرطـال بالـ قسطاس بالأيدى الموائحْ
خذَلَتْهمُ فئـةٌ وهم يحْمُون عوراتِ الفضائحْ

(١) الوحاوح : جمع وحواح وهو القوى . (٢) ابن هشام : نقى اللون .
(٣) الدعموص : دويبة تغوص فى الماء . يصفهم بكثرة الدخول على الملوك . والخرق : الفلاة الواسعة .
(٤) السراطمة : جمع سرطم وهو الواسع الحلق . والخلاجمة : جمع خلجم وهو الضخم الطويل .
(٥) الأنافح : جمع إنفحة . وهو شجر كالباذنجان . والإنفحة أيضا : شىء يستخرج من بطن الجدى الرضيع أصفر فيعصر فى صوفة فيغلظ كالجبن .
(٦) المناضح : الحياض . (٧) الرح : الجفان الواسعة . والرحارح : جمع رحراح ، وهو الواسع المنبسط ، يريد أنها عميقة . (٨) السلاطح : العريضة . (٩) بلادح : موضع .

الضاربين التَّقْدُمِيّة بالمُهَنَّدَةِ الصفائحْ (١)
ولقد عنانى صوتُهم مِن بيْن مُسْتَنْشِقٍ وصائحْ
لله درُّ بنى علىّ أيِّمٍ منهم وناكحْ
إنْ لم يُغِيروا غارةً شعواء تُحْجِر كلَّ نابِحْ
بالمُقْرِبات المُبْعِدا ت الطامحات معَ الطوامحْ
مُرْداً على جُرْدٍ إلى أُسْدٍ مُكالبةٍ كوالحْ (٢)
و يُلاق قِرْنٌ قِرْنَه مَشْيَ المُصَافِح للمصافِحْ
بزُهَاء ألفٍ ثم أَلْ فٍ بيْن ذى بُدْنٍ ورامحْ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المَنْكوس ، الذى حمله كثرةُ جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين .

واستوحش بمكة من أبى جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله ، فَخْر البشر ومن وجهه أَنْوَر من القمر ، ذى العلْم الأكمل والعقل الأشمل ، ومِنْ صاحبه الصِّديق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات .

وكذلك بقية أصحابه الغُرِّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى

---

(١) التقدمية : المقدمة . يصفهم بالتقدم فى القتال أول الجيش .

(٢) المكالبة : بهم الشرة والحدة . والكوالح : جمع كالح . وهو المتجهم العابس .

دار العلم والإسلام . رضى الله عن جميعهم ماالختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والأيام .

وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة. وفيما أوردنا كفاية . ولله الحمد والمنة .

وقد قال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفَا عن شعر الجاهلية .

قال سليمان: فذكر ذلك الزهرى فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأخوص .

وهذا حديث غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروك . والله أعلم .

فصل

فى غزوة بنى سُليم فى سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان ، أو فى شوال .

ولما قدم المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفطة الغِفارى ، أو ابن أم مكتوم الأعمى .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكُدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدَى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

فصــــل

[فى] غزوة السَّويق فى ذى الحجة منها ، وهى غزوة قَرْقرة الـكَدْر

قال السهيلى : والقرقرة : الأرض الملْساء . والـكَدْر : طير فى ألوانها كُدرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثنى محمـد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مـكة ورجع فَلُّ قريش من بَدْر ، نذر ألاَّ يمسَّ رأسَه ماء من جَنابة حتى يغزوَ محمـداً .

فخرج فى مائتى راكب من قريشٍ لتبرَّ يمينهُ ، فسلك النَّجْدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نَيْب من المدينة على بَر مد أو نحوه .

ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حُيَيَّ بن أَخْطَب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكم ، وكان سيدَ بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحبَ كنزهم ، فاستأذن عليـه فأذن له فقَراه وسقـاه وبطَّن له مِنْ خَبر الناس .

ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالا من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيض فحرقوا فى أَصْوارٍ مِن نخلٍ بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين .

فَنَذِر بهم الناس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا لُبَابة بشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلَغ قَرْقرة الـكَدْر ، ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحـابه .

ووجد أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخففَّون منها وعامَّتها سَويق ، فسمِّيت غزوةَ السويق

قال المسلمون : يارسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سَلاَّم بن مِشْكم اليهودى :

وإنِّى تخيرتُ المدينةَ واحداً ... لِحلفٍ فلم أندَمْ ولم أتلوَّمِ
سقَانى فروَّانى كُمْيتاً[1] مُدامةً ... على عجَلٍ منِّى سَلاَم[2] بن مِشْكَم
ولما تولَّى الجيشُ قلت ولم أكن ... لأُفْرِحه[3] : أبْشِرْ بعزٍّ ومغنمِ
تأمّلْ فإنّ القومَ سِرٌّ وإنهم ... صريحُ لؤىٍّ لاشَماطيط[4] جُرْهمِ
وما كان إلا بعض ليلة راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خَلّةَ مُعْدمِ

فصل

فى دخول على بن أبى طالب رضى الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر، لمَا رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن على ، عن على بن أبى طالب قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغْنَم يوم بدر ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ ، فلما أردت أبتنى فاطمةَ بنت النبى صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا

---

(١) الكميت : الخمر التى فيها سواد وحمرة . (٢) خففت اللام لضرورة الشعر .
(٣) لأفرحه : لأثقل عليه .
(٤) الشماطيط : القوم المتفرقة .

صَوَّاغا من بنى قَيْنقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر ، فأردت أن أبيعه من الصَّوَّاغين فأستعين به فى وليمة عُرْسى ، فبَينا أنا أجمع لشارفىّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاى مُنَاختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفىَّ قد أُجِبَّت أَسْنمتهما و بُقرت خواصرهما وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينى حين رأيت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبدالمطلب ، وهو فى هذا البيت وهو فى شِرب من الأنصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت فى غنائها :

* ألا يا حَمْز للشُّرُف النِّواءِ *

فوثب حمزةُ إلى السيف فأجبَّ أسنمتَهما و بقَر خَواصرهما وأخذ من أكبادهما .

قال على : فانطلقت حتى أدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم الذى لقيتُ ، فقال : مالك ؟ فقلت : يارسول الله مارأيت كاليوم ! عدَا حمزة على ناقتىَّ فأجبَّ أسنمتَهما وبَقَر خواصرهما ، وها هو ذا فى البيت معه شِرْب .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشى واتبعتهُ أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء البيتَ الذى فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثملٌ محمرَّة عيناه ، فنظر حمزة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ، صعَّد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيدٌ لأبى !

فعرف النبى صلى الله عليه وسلم أنه ثَمِلٌ ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه .

هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى ، وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة .

وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خُمِّسَت ، لا كما زعمه أبو عُبَيد القاسم بن سلام فى كتاب « الأموال » من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها ، وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير ، وبيَّنَّا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم .

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرَّم الخمر ، بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى ، وذلك قبل تحريم الخمر . والله أعلم .

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبارة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر فى كتاب الأحكام .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليًّا يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت : ما لى من شىء ، ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شىء ؟ » قلت : لا قال : « فأين درعك الحُطَميَّة[1] التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال : هى عندى . قال فأعطنيها . قال : فأعطيتها إياه .

هكذا رواه أحمد فى مسنده ، وفيه رجل مُبْهَم .

وقد قال أبو داود : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى ، حدثنا عَبْدة ، حدثنا سعيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما تزوج علىٌّ فاطمةَ رضى الله عنهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطها شيئا . قال : ما عندى شىء . قال : أين درعك الحطمية ؟

ورواه النسائى ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبى عروبة عن أيوب السَّخْتِيانى به .

(١) منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع .

وقال أبو داود : حدثنا كثير بن عبيد الحِمْصىّ ، حدثنا أبو حَيْوة ، عن شعيب بن أبى حمزة ، حدثنى غَيْلان بن أنس ، من أهل حمص ، حدثنى محمد بن عبدالرحمن بن ثَوْبان عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بهـا فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا ، فقال : يارسول الله ليس لى شىء . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أعطها درعك » فأعطاها درعه ثم دخل بها .

وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حـدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُـكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى عبدالله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن على ، قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لى : هل علمت أن فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قالت : فقد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك . فقلت : وعندى شىء أتزوج به ! فقالت : إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوَّجك .

قال : فوالله ما زالت ترجِّينى حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنْ قعدت بين يديه أُفْحمت فوالله ما استطعت أن أتـكلم جلالة وهيبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماجاء بك ؟ ألك حاجة ؟ » فسكتُّ فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة؟ » ، فقلت : نعم . فقال: « وهل عندك من شىء تستحلها به ؟ » فقلت : لا والله يارسول الله . فقال « مافعلتْ درعٌ سَلَّحْتُـكها ؟ » .

فوالذى نفس علىٍّ بيده إنها لحطمية ماقيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندى . فقال : « قد زوَّجتـكها فابعث إليها بها فاستحلها بها » . فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعلىٍ حَسنا وحسينا ومحسنا ـ مات صغيراً ـ وأم كلثوم وزينب .

ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه عن على قال : جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فى خَميل وقربة ووسادة أَدَم حشوها إِذْخَر .

ونقل البيهقى عن كتاب المعرفة لأبى عبد الله بن منده ، أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية . والله أعلم .

فصل

فى ذكر جُمل من الحوادث فى سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ماذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وذكرنا ماسلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين .

فكان ممن توفى فيها : الشهداء يوم بدر ، وهم أربعة عشر مابين مهاجرى وأنصارى ، تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزَّى بن عبد المطلب، لعنه الله . كما تقدم .

ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة بما أحلَّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقيةَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وساووا عليها التراب .

وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك. ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة .

ثم زوَّجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين . ويقال : إنه لم يُغلِق أحدٌ على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه .

وفيها حُولت القبلة كما تقدم ، وزِيدَ فى صلاة الحضَر ، على ماسلف .

وفيها فرض الصيام، صيام رمضان، كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النُّصب وفرضت زكاة الفطر .

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانَعوا المسلمين، وأظهر الإسلامَ طائفةٌ كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون ، منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلَّ بالكلية فبقى مُذَبْذَبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله فى كتابه .

قال ابن جرير : وفيها كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المَعاقلَ[1] وكانت معلَّقة بسيفه .

قال ابن جرير : وقيل إن الحسن بن على ولد فيها .

قال : وأما الواقدى فإنه زعم أن ابن أبى سَبْرَة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر ، أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها .

قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل . ؟

وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من السيرة النبوية لابن كثير

ويليه الجزء الثالث ، وأوله سنة ثلاث من الهجرة

---

(١) كتب الرسول بين قريش والأنصار كتابا فيه : أنهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى ، أى يكونون على ما كانوا عليه فى الديات .

فهرس الموضوعات

فهرس القوافى

قافية الهمزة

(ث)

(ح)

(د)

« تصويبات »

الصفحة	السطر	الصواب
٤١	٨	يَتَّخذَ
٦٥	هامش	ولهم يقال
٩٧	١٨	البيهقى
١٠٣	٢٠	فقالوا
١٩٢	١	ثم إن
٢٠٩	٣	وَقْش
٢٤١	هامش	يحرك جناحيه ورجليه فويق الأرض
٤١٧	٦	مناشدتُك
٤٤٣	٦	أعمَدُ
٥٢٧	٦	عداوةً

« استدراكات »

١ ـ فى ص٣ س١٢ قال المؤلف : « وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبى » ولكنه لم يتقدم ذلك . ولعله وهم وتابع السهيلى حيث أشار فى الروض ١ / ٢٣٨ إلى تقدم ذلك أيضا .

٢ ـ فى ص ٢٢١ س١٣ « الوليد بن المغيرة » كذا بالأصل . والصواب : الوليد بن الوليد بن المغيرة . كما فى ابن هشام .

٣ ـ فى ص٤٤٢ س ٥ الصواب : بَيْن أضْلَع منهما . هكذا الرواية فى الصحيحين . ومعنى أضلع : أقوى وأشَدّ . وقد فسرتُها فى الهامش بناء على تحريف الأصل : أظلع : أضعف . وهذه آفة التعويل على النُّسخ .

٤ ـ فى ص٥٢٢ س١٠ « قضية زينب » كذا بالأصل ولعلها قصة .

« من تصويبات الجزء الأول »

١ ـ فى صفحات ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ الصواب : وتَطْلابها ، وتَخْبارها ـ وتَجْساسها وتَنْفازها . بفتح أوائل الكلمات .

٢ ـ فى ص ٣٣٥ س ١٥ الصواب : واحتجَنَّاه . ويحذف الهامش ، وكان نتيجة خطأ فى القراءة .

٣ ـ ص ٣٤١ س ٥ الصواب : عليَّ الرجلَ .